مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الثانية - العدد السابع عشر - آذار (مارس) ١٩٨٠، الموافق ربيع الثاني ١٤٠٠





تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الثانية
العدد السابع عشر
١٥ آذار (مارس) ١٩٨٠م.
ربيع الثاني ١٤٠٠هـ.

تصدر عن دار النشر العربية في منتصف كل شهر

رئيس التحرير : فاروق البربير

المستشار : د. أنيس صايغ

المدير المسؤول : محمد مشموشي

ص.ب : ٥٩٠٥ - بيروت، لبنان
بناية أبو هليل - شقة ١١
شارع السادات - تلفون : ٨٠٠٧٨٣

الإنتاج :
مطبعة المتوسط ش.م.ل.

الإعلانات
تمام : الشركة العربية لإنماء الإعلان
ص.ب : ١١/٦٨٨ - بيروت . لبنان

التوزيع :
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

ثمن النسخة

لبنان :	٤ ل.ل.	سوريا :	٦ ل.س
العراق :	٧٠٠ فلس	ليبيا :	٨٠٠ درهم
السعودية :	٧ ريال	الكويت :	٥٠٠ فلس
الاردن :	٥٠٠ فلس	أبوظبي :	٨ درهم
دبي :	٨ درهم	قطر :	٧ ريال
البحرين :	٧٠٠ فلس	المغرب :	٥ درهم
مسقط :	٨٠٠ بيزة	بريطانيا :	جنيه استرليني

الإشتراكات

في لبنان	٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية	١٥٠ ل.ل
في الدول العربية	٧٥ ل.ل
في أفريقيا وأوروبا	١٠٠ ل.ل
دول العالم الأخرى	١٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية في العالم العربي	٢٠٠ ل.ل

HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

EDITED BY FARUK BARBIR
A MONTHLY ILLUSTRATED
MAGAZINE PUBLISHED FROM
SADATE ST. ABOU HLEIL
BLG. P.O.B. 5905
Tel.800783
BEIRUT, LEBANON

VOL. 11
No. 17. March. 1980
PRICE : 4 L.L.
ANNUAL SUBSCRIPTION :
$ 75 IN NON-ARABIC
SPEAKING COUNTRIES

في هذا العدد

● المقالات الواردة توزّع حسب التبويب الفني للمجلة. ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب. مع حفظ المكانة الاجتماعية للكتاب. تراعى في الألقاب الصفات العلمية فقط.

الموضوع	الصفحة
■ ندوة الشهر: الدكاترة م. زيادة - و. كوثراني - ر. الخالدي	
الدولة العثمانية بين الاسلام والقومية اعداد الأستاذ علي حرب	٣
■ سياسة مصر واستراتيجيتها في البحر الأحمر	
على عهد الفرنسية ومحمد علي .... د. محمد عزت عبد الكريم	١٥
■ تطور الفكر السياسي في اوروبا .... د. محمد مخزوم	٢٣
■ وثائق من التاريخ: وثائق سرية حول ما أشيع	
عن انشقاق جمال باشا عن حكومة «الاتحاديين» .... اعداد: د. وجيه كوثراني	٣١
■ حول مؤامرة الصهيونية على مياه لبنان .... موريس الجميل	٣٧
■ ولاية صيدا في العصر العثماني من ١٦١٤ - ١٨٠٤ .... حسين سليمان سلمان	٤٢
■ ملف الوطن العربي: الأردن عبر التاريخ .... اعداد: «قسم الابحاث والدراسات»	٤٨
■ الرجل ذو القدرة العجيبة .... تلخيص واعداد: شذا عدره	٥٥
■ التاريخ الاجتماعي للانارة من حجر الصوان الى ثورة الكهرباء .... إعداد: هدى سكاكيني بربير	٦٢
■ أراجيز عربية قديمة لترقيص الأطفال (الحلقة الثانية) .... ڤيبكه ڤالتير	٦٨
■ صور من التاريخ: الحرب العالمية الأولى .... محمد امين فرشوخ	٧٤
■ نافذة على إفريقيا: شاطئ العاج	٧٨
■ تاريخ الطوابع: المملكة المغربية (الحلقة الرابعة) .... ميشال إسطفان	٨١
■ القراء يكتبون: الوزارة والوزراء في العصر العباسي الأول / طرابلس	٨٥
■ كتب وردتنا: «النظام الاقليمي العربي»	٩٠
■ الحدود الدولية .... ممدوح حلمي	٩٢
■ بريد القراء	٩٤
■ مسابقة الشهر	٩٥
■ رأي حر .... محمد علي حمادة	٩٦



(راجع المقالة ص ٥٥)

● المقالات والدراسات تُرسَل باسم رئيس التحرير على عنوان المجلة: ص. ب ٥٩٠٥ في بيروت.

● المقالات والدراسات التي تُنشر لا تعبِّر بالضرورة عن آراء المجلة.

● المواد الواردة إلى المجلة لا تُردّ إذا لم تُنشر.



الدولة العثمانية بين الإسلام والقومية

ندوة جرت بمشاركة :
- الدكتور معن زيادة
- الدكتور وجيه كوثراني
- الدكتور رشيد خالدي

حرر الندوة وساهم في وضع الأسئلة الأستاذ علي حرب



إن ندوة «تاريخ العرب والعالم» حول «الدولة العثمانية بين الاسلام والقومية» لم تنته عند هذا الحد الذي تضمن آراء ثلاثة من المفكرين العرب .

ذلك أن المجلة تطمح لأن تكون هذه الآراء مادة غنية للنقاش والحوار الهادئين والبناءين لدى جمهرة المفكرين في مختلف أقطارنا العربية ، بحيث يكون الحديث الذي سجلناه ونقلناه بأمانة في الصفحات التالية ، مجرد الحلقة الأولى من ندوة مفتوحة ومستمرة في الاعداد القادمة ، يشارك فيها من شاء من أصحاب الاختصاص في الموضوع ، وخاصة من مؤرخينا ودارسي الفكر السياسي الحديث في وطننا .

وإن كان الدكاترة الثلاثة الذين شاركوا بالثورة قد التقوا في نقاط كثيرة (ولعلهم التقوا في نقاط وعلى أمور أكثر مما كنا نتوقع !) فلا شك أن هناك أساتذة آخرين يخالفونهم الرأي في الكثير من القضايا التي طرحت حول الدولة العثمانية والاسلام والقومية .

لهؤلاء نوجه دعوتنا ، بشكل خاص ، لنسمع رأيهم ، وليسمع هذا الرأي آلاف القراء .

أسرة التحرير

الحوار عنصر لا غنى عنه بالنسبة لكل تطور ثقافي ، وذلك بالمقدار الذي يتيح فيه للأفكار أن تتبلور وتتمايز ، وللمواقف المختلفة أن تتلاقى وتتفاعل وللفرضيات المتباينة أن تتجابه وتمتحن . ومجلة «تاريخ العرب والعالم» ، اقتناعاً منها بأهمية الدور الذي يمكن أن تلعبه المحاورة في استنهاض الفكر وتنميته ، ارتأت أن تفرد من الآن وصاعداً باباً تخصصه لندوات فكرية تعالج موضوعات مختلفة يقوم بها أهل الاختصاص والدراية ، كل في مجاله . على أن تطل هذه الموضوعات في النهاية على التوجه الأساسي للمجلة : التاريخ ، وعلى أن يكون الغرض منها ليس التكرار



الرتيب لموضوعات طرقت أو مماشاة التقليد، أو مجرد إتاحة الفرصة لآراء تعرض كيفما كان، وإنما تهدف قبل كل شيء إلى اختيار قضايا فكرية حيوية هي مثار للجدل والنقاش أو أنها ترمي بالاستناد إلى الوثائق والتحليل إلى اعادة النظر بالمسلمات التي تبنى عليها نظريات ومواقف شاعت وتكرست، أو نفض الغبار عن أحداث ووقائع طمست أو شوهت..

والمجلة تبدأ سلسلة ندواتها هذه بموضوع الدولة كر« الدولة العثمانية بين الاسلام والقومية ». وقد افتتح الاستاذ فاروق البربير، رئيس التحرير، الندوة مرحباً بالاخوة الذين ساهموا فيها وهم الدكتور معن زيادة رئيس قسم الفلسفة في الجامعة اللبنانية والدكتور وجيه كوثراني استاذ التاريخ فيها والدكتور رشيد الخالدي أستاذ التاريخ في الجامعة الأميركية، وأخيراً عرض رئيس التحرير المحاور الرئيسية التي يجب ان يتركز عليها البحث: –

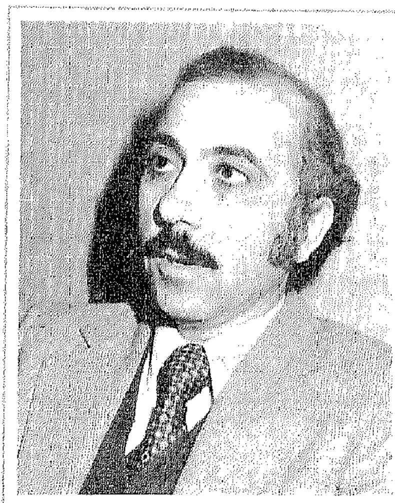
١ – طبيعة الدولة العثمانية وعلاقتها بخط الاستمرار التاريخي للدولة الاسلامية عموماً.

٢ – طبيعة الحكم العثماني من حيث تركيبه الاجتماعي وعلاقة الدولة المركزية بالأطراف (الولايات).

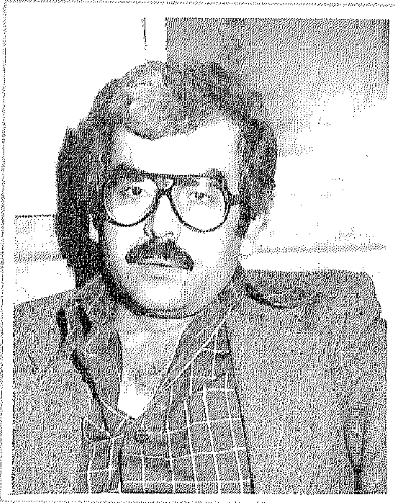
٣ – العلاقات العربية التركية وموقف العرب من نشأة الدولة العثمانية وفتوحاتها وإلحاقها للعالم العربي بمركز الحكم.

٤ – كيفية تفسير نشوء الأيديولوجيات القومية والطائفية وعلاقة ذلك بالتطور الذي مرت به الدولة العثمانية في علاقتها مع الغرب.

٥ – تقييم الانفصال بين العرب والاتراك، والاحتمال التاريخي البديل. وكيف تعقل الوحدة اليوم؟



د. معن زيادة



د. وجيه كوثراني

● من الملاحظ أن فترة العهد العثماني ليست مدروسة بامعان وموضوعية عند العرب. ربما لأنها اعتبرت مرحلة انحطاط وركود. واعتقد أن الضرورة تقتضي إذا أردنا أن نفهم حقيقة واقعنا الراهن بعد مضي فترة طويلة على انفكاك الوضع العربي عن السلطنة أن نعود إلى قراءة تاريخنا في بداية الحقبة الحديثة التي نعيش، وخاصة أن مفاهيم الوعي والنهضة والوحدة والقومية... بمقدار ما تولدت عن الاحتكاك بالغرب حسبما لاحظ العروي، فقد ارتبطت من جهة ثانية بالانفصال بين العرب والأتراك، إذا أردنا أن لا نقول تحرر العرب من السيطرة العثمانية. إذا أردنا أن نعود إلى هذه البداية كيف نفهم نظرة العرب لنشوء الدولة العثمانية، هل اعتبرت يومها استمرارا



للدولة الاسلامية التي بدأت مع ظهور الاسلام ؟

■ د . كوثراني : في الواقع يطل السؤال على موضوعات واسعة سأحاول قدر الامكان اختصارها :

إذا أردنا أن نفهم طبيعة الدولة العثمانية وهل هي شكل من أشكال استمرارية الدولة الاسلامية ، ينبغي العودة قليلا إلى الوراء ، إلى بداية تشكل الدولة الاسلامية والقواعد التي قام عليها هذا التشكل . ونحن إذا عدنا إلى مصادر معرفتنا (تاريخ معلومات ونظريات فقهية) وإذا استنجدنا بالماوردي وابن خلدون نلاحظ أن الدولة الاسلامية قامت في نظر الفقهاء على عصبية ترتكز إلى شريعة (تمثيل ديني) ، وأي سلطة بمعزل عن انتمائها الاتني أو القومي تستطيع أن تشكل عصبية غالبة وتمثل الشريعة يمكنها ، أن تقوم بمهمة الخليفة فتعتبر سلطة شرعية في نظر الاسلام . وقد شرع الماوردي للدولة السلجوقية « إمارة الاستيلاء » . فأمير السلطة . ذلك أن ثمة توزيعاً للسلطات في إطار الخلافة . وإمارة الاستيلاء أو السلطنة هي شكل من أشكال توزيع السلطة . لقد أصبح الخليفة في النهاية رمزاً ، ممثلا شرعياً ، يفوض (حسب الماوردي) هذه السلطات التي تبرر القيام بمهمات السلطة والدولة . ويعتبر الأتراك العثمانيون ضمن هذا الخط امتداداً للسلاجقة الذين هم من الأتراك أيضاً . وتدلنا المعلومات التاريخية العيانية على أن الاتراك كانوا يعملون لدى السلاجقة في وقت تلاشت فيه عصبية هؤلاء وصعدت عصبية الأتراك العثمانيين ملتفة حول بيت عثمان . وقد قامت هذه العصبية على قاعدة شرع لها الاسلام ، قاعدة الفتح وحماية الثغور ... وعثمان كان من أهم الغزاة المجاهدين الذين كانوا على ثغور الدولة البيزنطية .. وهكذا فالدولة العثمانية نشأت من صميم الفقه الاسلامي الشرعي ، خاصة وأن الاسلام ليس ديناً قومياً أو اثنياً وهناك أحاديث وآيات كثيرة تؤكد على شموليته ، والواقع أن



د . رشيد الخالدي



الأستاذ علي حرب

الاستيلاء يقوم بمهمات الشرع الاسلامي ويكون أميراً شرعياً .

● **هل انتقال الخلافة إلى العثمانيين ، الذين ينتمون إلى إثنية جديدة هو استمرار أم انقطاع ؟**

■ **د . كوثراني :**

ليست الخلافة هي التي انتقلت ، وإنما الاسلام عرف فترة وجيزة حكم من من خلالها العرب (العهد الأموي) وفيما بعد احتوى أقواماً وشعوباً غير عربية شاركت في السلطة في اطار صيغة فقهية وقانونية . وباختصار فان الدولة العثمانية هي استمرار للدولة الاسلامية بعصبية غير عربية (بالمعنى الخلدوني) أي مشروع سلطة قائم على قوى اجتماعية معينة تتغلب على قوى أخرى وتستتبعها . وأذكر



بالمناسبة نصاً لابن خلدون كتبه من وحي الدولة السلجوقية يعتبر فيه الأتراك من بناة الدول، في كتابه «تاريخ العرب والعجم والبربر...»

● **إن السؤال نفسه يوجه إلى الدكتور معن زيادة مع امكان توضيح عما اذا كان ثمة عنصر جديد قد دخل على دولة بني عثمان بعد انتقال الخلافة اليهم.**

■ **د. زيادة:**

قبل ان اجيب عن هذا السؤال أبدأ بنوع من المقدمة تتناول القضايا التي طرحت في البداية:

في الواقع عندما يتحدث العرب اليوم عن الدولة العثمانية فانهم في الغالب يتحدثون عنها لكنهم لم يعرفوها في نهايتها، اي في زمن عبد الحميد وجمال باشا. وهي الفترة التي ازداد فيها نقد العرب للأتراك. وحتى هذه الفترة الممتدة من بداية ولاية عبد الحميد ١٨٧٦ حتى نهاية الدولة العثمانية ١٩٢٢ فهي معروفة بشكل متقطع ومشوه اذا جاز التعبير. فالعرب وخصوصا المثقفون العرب، يعرفون الاحتدام الذي وقع بين عرب وترك ولكنهم لا يعرفون أن الدولة العثمانية كان لها أنصار حتى عام ١٩٠٨ وبعد ١٩٠٨ ويمكن ان نقدم بعض الأمثلة: مصطفى كامل زعيم الحزب الوطني المصري، كان من انصار بقاء الدولة العثمانية ومن مؤيدي موقف السلطان عبد الحميد مع البلقان، وله كراس في ذلك نشره في الفيغارو الفرنسية عام ١٩٠٣ بعنوان معبر هو: «اوروبا والاسلام». إذ الاسلام عند مصطفى كامل كما يبدو من مقاله هذا تمثله الدولة العثمانية. من هنا فانه اعتبر أن دعم هذه الدولة هو موقف مناسب للوقوف في وجه مطامع اوروبا. ويمكن ان نتحدث عن موقف سليمان البستاني الذي نشره في كتابه «عبرة وذكرى» (صدر عن دار الطليعة مؤخراً). وموقفه معبر لأنه يعني أن المارونية بجزء منها على الاقل كانت إلى جانب بقاء الدولة العثمانية. والشيء نفسه يقال عن أديب اسحق وغيرهما.

ويمكننا أن نستنتج من خلال كتاب عبد المسيح الانطاكي الشيء الكثير. فقد جمع الانطاكي في كتابه «نيل الأماني في الانقلاب العثماني» (١٩٠٨) جملة كبيرة من مقالات وكتابات المفكرين والكتاب العرب وفيها جميعها تأييد الانقلاب العثماني، حيث اعتقد العرب حسبما يستنتج من الكتاب وكذلك الترك أن ثورة تشبه الثورة الفرنسية قد جرت في اسطمبول فاستبشروا خيراً في اصلاح السلطنة. وما نستنتجه من جملة هذه المواقف أن المفكرين العرب حتى عام ١٩٠٨ كانوا مدافعين عن الدولة العثمانية وعن السلطان عبد الحميد – باستثناء نجيب العازوري بسبب اتصاله بالغرب والكواكبي بسبب العسف الذي لحق له – أما الذين قالوا ما قالوه فبعد ذهاب السلطان عبد الحميد وبتأييد أفكار الانقلابيين الذين تأثروا بأوروبا. طبعاً لا يهمنا هنا الدفاع عن عبد الحميد كشخص. غير أنه أمر له مغزاه بالنسبة لنا أن ينهي خير الدين التونسي حياته كوزير لعبد الحميد وكذلك أن ينهي الافغاني حياته في قصر السلطان العثماني. إذ أن الفكرة القومية كانت لا تزال ضعيفة عند مطلع القرن. ولكن تأييد الدولة العثمانية عند انصار الجماعة الاسلامية أو أنصار استمرار الخلافة لم يكن بالضرورة مناقضاً للدعوة القومية أو للعروبة بمعنى عام. لأن المسألة آنذاك لم تكن مطروحة على هذا المستوى. كما يمكن أن نقول اليوم أن الحماس للاسلام وللاسلامية لا يعني بالضرورة تناقضاً مع العروبة.

بعد هذا أعود للسؤال فأقول بأن الدولة العثمانية مثلت دولة الاسلام حتى القرن العشرين. ولفهم ذلك علينا الوقوف على مفهوم الدولة في الاسلام كما آل إليه في العصور المتأخرة أي القرون ١٦ و ١٧ و ١٨. وليس إلى عصر الراشدين كما تتم العودة إليه اليوم بكل سهولة وذلك بالقفز فوق التاريخ تاريخ خمسة عشر قرنا. لا شك بأن أبرز مفاهيم الدولة، كانت مفاهيم الماوردي الذي أشار إليه الزميل الدكتور وجيه وغيره، حيث يمكننا أن نقول بلغتنا المعاصرة: القبول بالأمر الواقع، وسلطان غشوم خير من فتنة تدوم. لكن السلطان العثماني عموماً لم يكن غشوماً على الدوام إلا بمقدار ما كان استخدام السلطة في عصره يسمح له بذلك كما كان يسمح لأي ملك أوروبي بذلك. والواقع أن السلطان كان عملياً راعي الحرمين. إلا أن اهتمام السلاطين بذلك



كان ضئيلا ولم يتصاعد إلا عندما اشتد الصراع بين السلاطين واوروبا المسيحية . ولم يكن السلاطين من قبل بحاجة للتشديد على أمر مفروغ منه . وينبغي أن نشدد على دور العثمانيين الاسلامي لجهة أمور مجهولة إلى حد بعيد . فمن ناحية انتشر الاسلام مع العثمانيين في اوروبا وكذلك فانهم حموا لفترة طويلة الاسلام في الشمال الأفريقي . وقد اعتبروا أنفسهم حماة للاسلام قبل تبلور القومية التركية أو القومية العربية ., في وقت لم يكن قد نشأ فيه صراع بين عرب وترك . كما ينبغي أن نتذكر جيداً بأن العثمانيين لم يأخذوا السلطة من أيدي العرب بل أخذوها من المماليك . والذي حارب السلطان سليم عام ١٥١٦ هو قانصوه الغوري وليس أي أمير عربي . ولكن السلطان سليم ومن أتى بعده لم يعتبروا العرب محتلين ولم يعتبر العرب الأتراك جيش احتلال . بل على عكس من ذلك ، فالشيء الثابت تاريخيا هو أن السلطان سليم وغيره أرادوا التعريب الأمر الذي يذكرنا بعبد الملك بن مروان الأموي ، ولكنه لم يتم بسبب ضعف الجهاز الاداري . ويمكننا أن نخمن التبدلات التي كان يمكن أن تطرأ على مجرى التاريخ لو أن التعريب قد تم بالفعل . ويمكننا أن نضرب بعض الأمثلة : كاتب جلبي صنف ٢٢ مؤلفا كتب ٦ منها فقط في التركية وأشهر كتبه كشف الظنون كتبه بالعربية ؛ منجم باشي ، وهو أبرز المؤرخين الأتراك ، توفي عام ١٧٠٢ وكتب تاريخه باللغة العربية وترجم إلى التركية في مطلع القرن العشرين .

والشيء الذي ينبغي التركيز عليه أن العرب لم يتناقضوا مع العثمانيين وإنما مع تركيا أتاتورك الذي اعتبر نفسه عدواً للعثمانيين أولا بأول قبل العرب . وخلاصة القول هنا أن العرب في بحثهم عن هويتهم قفزوا فوق التاريخ وأرجعوا تاريخهم إلى بني أمية وبني العباس وأهملوا فترة طويلة من تاريخهم على امتداد العهود السلجوقية والمملوكية والعثمانية . وهذا ما يجعل التاريخ العربي ناقصا حتى الآن . ولهذا نقول بأن العرب لم يعرفوا العثمانيين لأنهم لم يعتبروهم جزءاً من تاريخهم ولأن التاريخ العربي ما زال يكتب ايديولوجيا حتى الآن .

● حسبما يفهم من عرض الدكتور معن أنه يوافق الدكتور وجيه على اعتبار الدولة العثمانية استمراراً للدولة الاسلامية . ولكن ثمة سؤال . لماذا هذا القفز فوق التاريخ المملوكي والعثماني ، ولماذا يصر العرب على العودة للعهود السالفة . كيف نفسر ذلك وعن أية نظرة ينم هذا الموقف ؟

■ د . خالدي :

أظن أن السبب يرجع لأن التاريخ يكتب دائماً في ضوء الحاضر الايديولوجي وفي ضوء الايديولوجيات القائمة . بالطبع إننا نعيش منذ ٦٠ أو ٧٠ سنة في العالم العربي في أجواء القومية العربية وأظن بكل وضوح أن هذا من أهم الأسباب . فالقومية كايديولوجية تحول الماضي ! تغير الماضي وتعيد تفسيره وتحليله . وأظن أن سبب العملية التي تحدث عنها الدكتور معن هو سيطرة القومية العربية كايديولوجية على التاريخ العربي . طبعا هناك أسباب أخرى ، ولكن أحد الأسباب نجده في الفترة الأخيرة من العهد العثماني وهي فترة عصيبة انتهت عام ١٩١٥ - ١٩١٦ ، بمشانق بيروت ودمشق . ولهذا السبب أيضا كان يكتب التاريخ العربي وكأنه هذه الفترة السوداء من تاريخنا وكأنه لا يمكن اعتباره من أمجاد العرب . طبعا لو كنا نكتب عام ١٩٠٠ لما تحدثنا عن أمجاد العرب بل أمجاد الاسلام . ولكن من الطبيعي حاليا أن نتكلم بهذا الشكل .

● يجب أن نتحدث عن فترة الانقطاع أو الانفصال هذه . ماهي الأسباب التي جعلت العرب يفكرون بشكل متمايز ومغاير ، ولماذا بدأوا «يعون» واقعهم القومي ؟ وإلى أي مدى ارتبط ذلك بمحاولة التحرر من السيطرة التركية ؟

■ د . كوثراني :

في الحقيقة إني اتحفظ حول صيغة السؤال ذلك أن الحديث عن «تحرر من سيطرة تركية» إنما منطلق من مفاهيم لا تزال الايديولوجيا راسخة فيها . وهي صيغة ايديولوجية ارتبطت بمقاومة الأتراك . وينبغي برأيي النظر في مفاهيم عصر النهضة : هل كانت فعلا مرتبطة بمعاداة الأتراك أو النضال ضدهم ؟ إن



البحث التاريخي الجاد الذي يدخل في التفاصيل ونبش المهمل يرينا العكس او يرينا صورة مشوهة عن التاريخ.

لقد اشار الدكتور معن الى بعض نماذج من عصر النهضة، البستاني، أديب اسحق، وهذه النماذج حاده فهي لم تعارض الدولة العثمانية مع أنها تنتمي إلى أقليات. وإذا أردنا أن نأخذ أمثلة من بين المسلمين تكون أكثر دلالة نرى أن النهضة لم ترتبط أبداً بالنضال ضد الأتراك نبدأ بالأفغاني الذي كان مجال عمله العالم العربي الاسلامي وإن لم يكن من أصل عربي، ثم محمد عبده ورشيد رضا وشكيب إرسلان .. صحيح أن كثيراً من المفكرين العرب تخلوا عن الدولة العثمانية في مرحلة التتريك. ولكن يجب أن لا تسحب هذه المرحلة على كل تاريخ الدولة العثمانية فهي تمتد من ١٩٠٩ – ١٩١٥ فقط. وبالتالي فان رموز النهضة الفعلية والمفاهيم التي انتجت قبل ذلك ارتبطت بمعاداة الغرب وليس بمعاداة الدولة العثمانية. وهنا تكمن الاشكالية أي حقل العلاقة بالغرب: هل نلتحق بالغرب أم نقاومه اذا ما أردنا أن نصل الى النهضة القومية بمعناها العام أي بمعناها الحضاري وليس بمعناها الضيق.

إن الذين مثلوا هذه النهضة الحضارية الثقافية والذين ينبغي أن يدرسوا من جديد وأن يرى خط التواصل بيننا وبينهم هم الأفغاني ورشيد رضا وشكيب أرسلان. ودراسة هؤلاء ترينا أن المسألة كانت مطروحة وإن بشكل متفاوت بهذه الصورة: كيف نقاوم الغرب؟ وكيف نحافظ على الاصالة ؟ وهذا الخط المعادي للغرب والذي حاول أن يختار الأصالة في عملية الاستنهاض طمس وضرب. لماذا؟ لأن الدولة العثمانية كان قد اخترقها الغرب اختراقاً كاملا، فتفككت وتمزقت بفعل العوامل التي أتت بها الرأسمالية الغربية. فالاقطاع كان قد تقهقر واصبح اقطاعات أي أجزاء مفككة ومبعثرة، تنحو نحو الاقطاعات الانفصالية الغربية. والثقافة لم تعد موحدة ونظام الملل الذي كان متوازناً استقطبته بفعل الارساليات والامتيازات والوكالات والخانات الأجنبية ... فئات اجتماعية غير اسلامية أصبحت تقوم بدور وكلاء للغرب وأصبحت الملة تعني أمة (Nation) بلغة الاستشراق والدبلوماسية الغربية. وهكذا تفككت الدولة العثمانية بفعل التوسع الرأسمالي الى ايديولوجيات لا أقول قومية وانما قوموية وطوائفية تتمثل الايديولوجية الغربية وتلبس القومية الاوروبية على واقعها. ومن الامثلة على ذلك المارونية السياسية الي حد كبير وغيرها من الأقليات غير الاسلامية التي بدأت تتعرف على واقعها كأقليات من خلال الايديولوجيا القومية. من هنا ينبغي اعادة النظر بنشوء القوميات.

● إذا كان نشوء القومية يرد بشكل أساسي إلى الشرخ الذي أحدثه التوسع الأوروبي في جسم الدولة العثمانية، فهل معنى ذلك أنه لم يكن ثمة تناقض بين عرب وأتراك؟ أو أن العرب هم المسؤولون عن الانفصال؟

■ د. زيادة:

أحب أن أعود إلى السؤال الذي طرح على الدكتور وجيه ومن ثم أعود إلى الاجابة عن السؤال المطروح أعلاه.

في الواقع إن المرحلة التي تحدث عنها الدكتور وجيه هي مرحلة مهملة بسبب طغيان الصورة التي قدمها الغرب عن السلاطين وخصوصاً السلطان عبد الحميد. وهذا ما جعل العرب لا يعرفون الدولة العثمانية ولا يعتبرونها جزءاً من تاريخهم كما ذكرت سابقاً. وإذا كان العرب عندما بدأوا الاتصال بأوروبا حاولوا أن يصروا على أن أسباب قرون الظلام مسؤول عنها الأتراك، فالواقع أن الأتراك لم يكونوا أكثر تخلفاً من العرب. إن ابن خلدون كمفسر لأسباب التدهور قد وجد من يهتم به من الأتراك حين نساه العرب في القرنين ١٧ و ١٨، وقد ترجمه إلى التركية بيري زادة (المتوفي عام ١٧٤٥) في مطلع القرن الثامن عشر قبل مئة سنة من اكتشاف الطهطاوي لابن خلدون عن طريق باريس وطبعه في بولاق للمقدمة في منتصف القرن التاسع عشر. وهنا يمكن الاشارة إلى أنه إذا كان اتصال العرب بأوروبا مظهراً من مظاهر التقدم، فقد تم هذا الاتصال عند العثمانيين قبل مئة سنة من اتصال العرب، وبالتالي فأن فكر الاصلاح كان سابقاً عند الأتراك. وهذه الأسباب هي التي أدت إلى تأثر العثمانيين بالنزعات القومية الأوروبية قبل تأثر العرب. نذكر ذلك لنقول أن نشوء الفكر القومي



على أنقاض الدولة العثمانية ليس واقعياً أو حقيقياً. بل على العكس إن فكرة القومية العربية قد نشأت في تناقض مع «تركيا الفتاة» بمساهمة العرب. وعداوة العرب في حينه كانت للذين قوضوا الدولة العثمانية. إذاً كان التناقض بين العروبة والتركية وليس بين العروبة والعثمانية. بالتأكيد فان تفكيك الدولة العثمانية أثر إيجابياً في دعم فكرة العروبة. ذلك أنه إذا كان الأتراك قد اختاروا هم الانفصال فليس على العرب إلا القبول به والاستفادة منه. لكن هذا الأمر لم يتبلور إلا بعد نهاية الحرب الأولى. وقبل الحرب بقليل (١٩١١) كان العرب يخوضون حرب جهاد في ليبيا. هذه الحرب رفع رايتها السلطان وليس الشريف حسين. وعلى كل حال فان ليبيا لم تكن داخلة في خريطة الشريف حسين بعد الحرب الأولى. ولكن عندما أصبح التقسيم أمراً واقعاً فان أحداً لم يعد يطالب بعودة الدولة العثمانية وخاصة أن الأتراك عجلوا في نهايتها. ولكن المرحلة التالية كانت إلى حد بعيد مرحلة تخبط: دعوة سورية ومصرية ولبنانية، غير أن الدعوة العربية كانت تملك أساساً أقوى على أية حال بسبب عامل اللغة بشكل خاص.

● إذا كان التوسع الأوروبي أو التتريك الذي هو أحد نتائجه، قد ساهم بنشوء الفكر القومي لدى العرب، فانه يجب أن تعود من جهة أخرى إلى بنية السلطنة العثمانية التي لم تكن قوية بما فيه الكفاية لكي تقاوم ذلك الحدث الهائل. لذا لا بد من التساؤل حيناً: كيف كانت العلاقات بين الأقليات والملل داخل الدولة العثمانية؟ ألم تشكل هذه العلاقات تربة خصبة لنشوء الايديولوجيات القومية والطائفية؟

■ د. خالدي:

إنني أوافق الزميلين على رأييهما بأن الفترة الأخيرة من العهد العثماني كانت فترة مختلفة بصورة جذرية عما سبقها. صحيح أن هناك جذوراً لنشوء ايديولوجيا قومية (بنية الدولة العثمانية وتركيبها) ولكن اذا حللنا ٤٠٠ سنة من التاريخ العثماني نرى أنه قبل أواخر القرن ١٩ حدث تفكك في الدولة العثمانية من ناحية أوروبا (البلقان) وحدثت تمردات وثورات الأطراف العربية وحدث توسع واحتلالات (الجزائر، مصر، الخليج) قبل احتلال منطقتنا طبعاً، ولكن فترة عبد الحميد أو فترة تركيا الفتاة هي فترة قصيرة جداً بالنسبة للتاريخ العثماني بمجمله. وهذه الفترة شهدت تطورات يجب البحث عن جذورها في الفترة نفسها. صحيح هناك جذور للقومية العربية في أوائل القرن التاسع عشر، إلا أن أساس القومية العربية نجده في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. وإنني شخصياً لا أرى فيما يسمى النهضة جذوراً للقومية العربية لا اجتماعية ولا اقتصادية ولا ثقافية..

■ د. زيادة:

إلا من ناحية واحدة: إحياء عام للغة والثقافة في مواجهة الثقافة الغربية. بهذا المعنى يمكن الحديث عن جذور للقومية العربية ولكنها كايديولوجيةلم تظهر إلا في القرن العشرين.

● كيف تفسر حركة محمد علي باشا في هذا السياق؟

■ د. خالدي:

لا يمكن تفسيرها على أساس قومي إطلاقاً.

■ د. زيادة:

ثمة محاولات لاسقاط مقولات راهنة على تجربة محمد علي. وقد ساهمت هذه التجربة في ذلك لأنها حدثت المجتمع المصري ووضعت المجتمع العربي ككل على أبواب العصر الحديث، الأمر الذي مهد بصورة غير مباشرة لقبول العرب الايديولوجية القومية الآتية من الغرب، لكنه لم يكن يتصرف على أساس قومي لا هو ولا ابنه إبراهيم باشا كما يتخيل البعض، وبهذا المعنى يمكن القول بأن جذور الفكر القومي بدأت في القرن التاسع عشر، وتجدر الاشارة هنا إلى اللمحات الخفيفة التي نجدها عند الكواكبي.

■ د. خالدي:

صحيح أن محمد علي مهد لنشوء القومية ولكن بشكل سلبي. والواقع أن النتيجة النهائية لتجربته هي إدخال اوروبا بشكل أقوى وأضخم إلى المجتمعات العربية، طبعاً حدث هذا على رغم عنه. إن هدفه كان مختلفاً تماماً. فهو لم



يكن يريد إنشاء دولة عربية أو المساهمة في التدخل الأوروبي، بل على العكس من ذلك، كان يحاول مقاومة التدخل الأوروبي.

● **ما كانت لغة محمد علي إذاً؟**

■ **د. خالدي:** – كان ألبانيا.

– **المقصود لغته السياسية.**

■ **د. خالدي:**

إذا شئنا يمكن القول أن ابنه ابراهيم استغل بعض الأفكار القومية بشكل انتهازي. أظن أنه يجب الربط بين نشوء القومية العربية في أواخر القرن التاسع عشر بمعاداة التتريك، وطبعاً بظهور الأفكار الاوروبية في المجتمع العربي. ولكن هناك عملية كانت تتم داخل المجتمع العربي، وهي تطوير هذا المجتمع بطريقة أدت إلى ظهور شرائح وطبقات اجتماعية جديدة، ولن يظهر شيء مثل القومية قبل أن يتحول المجتمع ويتطور بهذا الشكل، ذلك أنه لا يمكن نشوء قومية بالمعنى الاوروبي في مجتمع تقليدي، إذا إردنا أن لا نقول إقطاعياً.

■ **د. كوثراني:**

شبه اقطاعي بالمعنى الوارد لدى الماوردي

■ **د. زيادة:**

شبه اقطاع لأنه عندما نقول: اقطاع يتبادر إلى الذهن المعنى الأوروبي.

■ **د. خالدي:**

والذي حصل قبل هذا المجتمع التقليدي لا يمكن اعتباره بداية نشوء القومية العربية. إن ظهور بعض الأفكار القومية وإحياء اللغة العربية وظهور أول بذور للقومية لدى بعض الفئات المتطورة بمعنى الفئات المتداخلة مع الغرب هو شيء وظهور القومية العربية في منتصف القرن التاسع عشر عشر شيء آخر لا يمكن التكلم عنه.

■ **د. كوثراني:**

سأحاول طرح الموضوع من زاوية نظرية ابن خلدون في الدولة المركزية ودول الأطراف. وهو يفسر هنا كيف ينشأ الانفصال، أي كيف تنشأ الدول البديلة في الدولة الاسلامية.

إن نظرية ابن خلدون تقول بامكان نشوء دولة أطراف ودولة دعاة وخوارج، أي خوارج عن الدولة المركزية: فعصبية دولة الاطراف تكون متواضعة. فهي لا تطالب بسلطة المركز، وإنما تطالب بأن يعترف بها بمعنى أن صاحب هذه العصبية يطالب بأن يقر على ولايته أو مقاطعته شرط أن يعترف بالسلطان. ولكن قد تكون هذه العصبية قوية تحمل دعوة دينية تطرح شرعية السلطة المركزية، أي تطرح نفسها بديلا لها، إن هذه النظرية تكشف لنا عن أوالية الصراعات ونشوء الدول وظهورها وزوالها في تاريخ الدولة العربية الاسلامية وفي تاريخ الدولة العثمانية. لذلك نميز انطلاقا من هذه النظرية بين نوعين من الحركات التي كانت معادية لاسطمبول:

– الحركات التي تتحكم بها قوانين الداخل في العصبية والشريعة.

– الحركات التي تتحكم بها قوانين الخارج: الغرب وأثره.

ومعظم حركات الولاة والأمراء التي كانت تنحو نحو نشوء دويلات أطراف تتحكم فيها قوانين الداخل. وتركيبة الدولة العثمانية تسمح ببروز السلطات المحلية..

■ **د. خالدي:**

كالولايات العربية.

■ **د. كوثراني:**

تماماً، لأن السلطة المركزة منتشرة عبر العنصر الحاكم الذي كان يتعامل مع السلطات المحلية كما كانت تقدم نفسها، أي عبر الأمراء والباشوات المحليين، فيجرى نوع من العقد الاستتباعي بين سلطة الأطراف وسلطة المركز. وهذا العقد يخضع للمد والجزر. قد يقوى وقد يضعف. هذا وضع معظم الامارات التي كانت تصطدم بالمركز بمن يمثله. لكن هناك دعوات تحمل مشروع سلطة بديلة، كالحركة الوهابية التي هي معادية للاتراك ولا علاقة لها بالغرب، فكيف نفهم هذه الحركة؟ نفهمها على أساس عصبية قبلية (المعنى الخلدوني) حاملة ايديولوجية استصلاح الدين، باعتبار أن الأتراك انحرفوا عن الاسلام ولم يعودوا يمثلون الشريعة. فالحركة الوهابية هي مشروع سلطة اسلامية بديلة للسلطة العثمانية قائمة على عصبية عربية، وكذلك حركة محمد علي باشا، التي ليست مشروع سلطة عربية وإنما قامت في بلد عربي هو مصر، بل هي مشروع قائم على عصبية عسكرية (ألبان، شراكسة).



وعبر هذه النواة قام محمد علي بتوسعه وجند القبائل والأطراف وطرح مشروعاً بديلا لدولة اسلامية. وحملة ابراهيم التي وصلت الى داخل الأناضول كانت تهدف إلى اسقاط اسطمبول ولو تم ذلك لتحولت السلطنة من عثمانية الى علوية مركزها القاهرة.

لكن الدول الأوروبية تدخلت فأحبطت المحاولة لأن مصالحها كانت تقضي باقامة نوع من توازن ضعيف في العالم الذي تسيطر عليه الدولة العثمانية. وقيام دولة قوية كالدولة التي كان بصدد تأسيسها محمد علي تصدع التوازن بين الدول الاوروبية وتحمل على إعادة النظر بكل أشكال التوسع الأوروبي في مناطق الدولة العثمانية. لذلك اجمعت الدول الأوروبية كلها على تحجيم محمد علي باشا (نشرت وثيقة بهذا الخصوص في مجلة «تاريخ العرب والعالم»، عدد ١٤). وما ينبغي ذكره هنا أن كلمة «مملكة عربية» وردت لأول مرة على لسان الدبلوماسية الغربية (النمساوية بالتخصيص) ولم ترد أبداً على لسان التوجه السياسي لمحمد علي. لذا فان ثمة ايديولوجية عربية استعادت كلام الدبلوماسية الغربية حول المملكة العربية والامبراطورية العربية. اذن ليس كل مطلب في السلطة المركزية وإن صدر عن عربي هو مطلب قومي، ذلك أن الصراع ما بين الأقوام في الاسلام هو صراع قديم تتحكم به قوانين الداخل قوانين المجتمع القائم والصراعات بين الملل والحرف وغيرها من المؤسسات والتنظيمات التي لم تدرس دراسة علمية. لكن من الذي يتحكم في النهاية في سيرورة التاريخ قوانين الداخل أم الخارج؟ قبل تمكن الغزو الاوروبي بكل جوانبه كانت قوانين الداخل هي التي تتحكم. وبمجرد دخول الرأسمالية تفصلت على النماذج التقليدية وبدأ الصراع ينحو نحواً لا تتحكم به قوانين الداخل، بل القوى الاستعمارية.

■ **د. زيادة:**

أحب أن أعود إلى نظرية ابن خلدون، فأعلق على قضية واحدة خلاصتها أن الوهابية عندما كانت تدعو إلى دولة اسلامية كان هناك قضية وهي العودة بالعرب إلى رأس السلطة. وبالنسبة لابن خلدون فانه لم يتطرق لمحاولة من هذا النوع أعني استرداد مركز الصدارة. إن نظرية ابن خلدون صحيحة بالنسبة لتفسير الحضارات: الحضارة مظلة على رأسها دولة مركزية حولها أطراف ذات انتماءات عصبية مختلفة. ومن جهة أخرى فان الأمر يختلف بالنسبة لمحمد علي لأنه على عكس الوهابية لم يكن يسعى لاسترداد السلطة، بل كان طرفاً يسعى لأن يكون هو مركز الرئاسة والسلطة.

● **من المعلوم أن نظرية ابن خلدون تتناول العلاقات بين عصبيات وليس بين اثنيات وجماعات قومية؛ فكيف يمكن تطبيق هذه النظرية على مراحل لاحقة؟**

■ **د. كوثراني:**

لا تقتصر العصبية على المجال القبلي وإنما يمكن توسيع لتشمل مفهومها مجالات اجتماعية أخرى. فالجند يشكلون عصبية، ولابن خلدون رأي في ذلك ورد في المقدمة عندما يتحدث عن عصبية الجند والموالي. إن ابن خلدون يطلق تعبير العصبية على اللحمة التي تنشأ بين تجمع بشري، عند نشوء مشروع وصول للسلطة. وهنا اختلف قليلا عن الدكتور زيادة. لقد تحدث ابن خلدون أيضا عن عصبيات ناشئة جديدة لا تطالب باسترداد حق، وإنما ينشأ لديها حق باستلام السلطة بسبب شعورها بأن لديها من القوة واللحمة ما يؤهلها لأن تطالب بالسلطة.

■ **د. زيادة:**

الوهابية لم تكن سلطة ناشئة بمعنى الكلمة. فالوهابيون عندما تحدثوا عن الموضوع: (العودة إلى الأصول والسلف) فانهم قصدوا في ذلك عودة السلطة إلى مركزها القديم. أنا لا أنفي القول بامكانية نشوء عصبيات جديدة وإنما أريد القول أن الوهابية هي محاولة لاسترجاع عصبية قديمة.

■ **د. كوثراني:**

هذا صحيح على مستوى تبرير الحق، أي على المستوى الايديولوجي، وهذا ينطبق على محمد علي باشا. ونقطة الضعف عند محمد علي أنه ما حمل ايديولوجية دينية، بينما حملت الوهابية تبريراً شرعياً هو العودة الى الشريعة.

● **لقد حللنا العوامل (داخلية وخارجية) التي ساهمت بتفكيك السلطنة العثمانية بما هي رمز لوحدة اسلامية،**



ورأينا أن الايديولوجية القومية نشأت في هذا السياق . والآن كيف نقيم الانفصال الذي حصل من منظار الوحدة والتجزئة ؟ وما هي حقيقة الفكرة القومية ؟ وكيف نعقل الوحدة اليوم ؟

■ **د . خالدي :**

في الواقع هذا سؤال واسع ، وسائد في هذه المرحلة مع أنه لا يرتبط بالضرورة بموضوعنا ، فهو سؤال مستقبلي أكثر من تاريخي . واذا بحثنا في تاريخ هذه الفترة بالذات عن بعض الأفكار والأدلة للجواب على السؤال رأينا أن القومية العربية والقومية التركية والقوميات الأخرى في الدولة العثمانية نشأت بسبب دوافع داخلية وخارجية : تفكك المجتمع العثماني بسبب تناقضاته الداخلية وبسبب تدخل قوى اقتصادية وسياسية وايديولوجية من الغرب ، ورأينا أيضا أن أساس هذه القوميات هو فرز عناصر اجتماعية جديدة لدى الأتراك والعرب . صحيح أن العرب قبل ١٩٠٨ كانوا مؤيدين للسلطنة العثمانية كما قال د . زيادة . ولكن من الملاحظ أن أهم عناصر المعارضة في البرلمان التركي ١٨٧٧ - ١٨٧٨ كانوا من النواب العرب الذين انتقم منهم عبد الحميد بحل البرلمان . ولكن ما حصل بعد ١٩٠٨ وبشكل خاص بعد حرب التتريك والذي يمكن اعتباره نوعا من تكوين دولة جديدة تمثل مصالح اجتماعية جديدة لدى الأتراك ، هو تطور حركة سياسية عربية كممثل سياسي لفئات ممثلة في المجتمع العربي . وما حصل ويحصل منذ هذه الفترة حتى الآن هو استمرار لتطوير هذه الفئات الاجتماعية الجديدة صاحبة الأفكار القومية في المجتمعات العربية وكذلك لدى الأتراك .

وبالنسبة لمسألة الوحدة أظن أنها تتوقف أولا على استكمال هذه العملية . وحتى الآن فهي لم تستكمل طرازاً جديداً للمجتمع العربي . إننا في مرحلة انتقالية استمرت أكثر من ستين سنة .

■ **د . زيادة :**

ألم نتقدم ؟!

■ **د . خالدي :**

بلى تقدمنا كثيراً . وليس معنى ذلك أنه لم يتغير شيء منذ ١٩١٦ . طبعا نأتي هنا لمسألة ايران . ولكن ما أظنه أن القومية كانت ايديولوجية فترة هيمنة فئة معينة على المجتمع العربي . وقد أصبحنا على وشك الانتهاء من هذه الفترة . وهذا ليس تنبؤاً وإنما هو نوع من تحليل للواقع . ونحن نرى من حولنا ما يدل على ذلك . ونرى أيضا عدم تطوير للايديولوجية القومية ، وهذا شيء لم يحصل في الفترة الأولى من حياتنا . اذا نظرنا إلى ما قبل الحرب الأولى نرى أن هذه الايديولوجية كانت تتطور سنة بعد أخرى ، من ١٩١٠ - ١٩١٤ في خطابات النواب العرب في «مجلس المبعوثان» وفي الصحف والمجلات والكتابات في القاهرة (رشيد رضا) . وقد استمرت الفكرة القومية تتحدث وتتطور حتى الخمسينات باعتبار أنها الفكرة التي حملتها فئات اجتماعية جديدة . أما الآن فاننا على وشك الانتهاء من هذه الدورة وصولا إلى الثبات . طبعا تأتي هنا مسألة الارادة .

■ **د . زيادة :**

إن الحقبة التي نعيش فيها هي حقبة القوميات . ظهرت القوميات في اوروبا أولا ثم في العالم الثالث . فمع صعود البرجوازية حصلت معركة واضحة لتثبيت القوميات والحريات . فالثورة الفرنسية عندما كانت تخوض معركة الحريات فانها كانت تخوض معركة الوجود القومي وتأكيد الذات . هذا في مرحلة أولى . أما في مرحلة ثانية فان القوميات الاوروبية تحولت إلى قوميات مستعمرة بعد أن كانت تناضل في سبيل تقرير الشعوب لمصيرها . وما أريد قوله أن القومية ليست أمراً قديماً أعيد اكتشافه . وبالنسبة للقومية العربية فانها لم تكن موجودة في التاريخ ، ولا يمكن القول بأن العرب كانوا أمة واحدة قبل الاسلام وبأن الاسلام أتى ليؤكد هذه الواقعة ، إن القومية العربية ظاهرة جديدة لا يمكن اسقاطها على الماضي . واذا كانت القومية الاوروبية تحولت الى قومية مستعمرة مع نهوض البورجوازية ، فان ظهور القومية في العالم الثالث يختلف لأنه تأكيد الذات في مواجهة الغير كان الوجود القومي يتحقق من خلال المواجهة بين العالم النامي والغرب ، بين الشمال والجنوب . والأتراك سبقوا العرب في



هذا المضمار. وهم الذين أنهوا وجود الدولة العثمانية قبل العرب، لأن دخولهم في الحقبة التاريخية الحديثة كان قبل دخول العـرب. والواقع أننا ما زلنا بحاجة لتحديـد طبيعـة القومية في العالم الثالث. ومنها القومية العربية، وهذه قضية تحتاج إلى الكثير من البحث.

● ما نريد ايضاحه هنا، الى أي مدى اكتسبت القومية العربية تاريخيتها؟

■ د. زيادة:

اذا استعنا بمقولات غربية استخدمنا كلمة أمة ليس بالمعنى الذي نجده عنـد ساطـع الحصري والذي أصبح متعارفاً عليه وهو أن:

«الأمة هي وجود متميـز لمجموعـة من الناس»، أقول اذا استخدمنا المقولات الأوروبية نجد أن الأمة ليست هذا الوجود المتميز. وأنما هي سلطة الدولة القومية، السلطة السياسية الواحدة. وبهذا المعنى لا وجود لأمة عربية لأن سلطة القومية غير موجودة (مع اصراري على ضرورة أن القومية عندنا متميزة عن القومية الاوروبية في وقتنا الحالي)، وانما ما زالـت الأمة في طور التكون. وهذه الأمة تصنع عبر الارادة المشتركة والمصلحة المشتركة فنحن لنا مصلحة مشتركة في هذا الوجود الواحد. هناك عوامـل لا تكفـي وحدهـا لتكويـن الأمة، كاللغة مثلا وما شابهها. إذا أردنا أن لا نقع في الفخ الذي وقع فيه الباحثون القوميون عندما قالوا: الامة العربية موجودة ولـكن الوحـدة العربية غير موجودة. ينبغـي أن نستخـدم المصطلحات بمعنى جديـد. فالأمـة العربيـة ما زالت في طور التكون كما قلنا، وهي تحتاج لكي تتحقق الى تركيبات وبنى تحتية ملائمة، فما زالت الايديولوجية القومية مقصورة على البنى الفوقية دون التحتية. وهنا يكمن سبب فشل تجربة الوحدة.

● اذا كانت الجماهير لا تزال تعقـل الوحدة من خلال المفهوم الاسلامي، وهـو ما يبدو أنكم متفقون حوله، فما هو الأفق التاريخي أمام القومية؟ وما هو الاحتمال البديل؟

□ د. زيادة:

القومية العربية لم تصل بعد إلى مرحلة التكامل. فالانتماءات السابقة من طائفة وقبيلة وعشيرة ودولة اسلامية تستمد شرعيتها أما من الشريعة أو من الولاءات المختلفة التي أشرت إليها. وفقط في القرن العشرين دخلنا في دول ذات شرعية جديدة: الرغبة في العيش المشترك المبني على عوامل أو ما يسمى المقومات القومية التي تحتاج إلى دراسة. لقد خدمت الفكرة القومية ولكنها لم تصبح حقيقة نهائية. إن فترة ٥٠ سنة غير كافية لتكون القومية. هذه آراء قد تبدو مستغربة عند القوميين العرب، رغم أنها في مصلحة القومية والفكر القومي.

■ د. كوثراني:

سأنطلق في الاجابة على السؤال مما وصل إليه الزميلان: إن الايديولوجيا تنتج. فما هي القوى الاجتماعية التيانتجت القومية

وانطلاقاً من تحديد موقع هذه القـوى الاجتماعية في المجتمع نرى عما اذا كانت هذه الايديولوجيا قوية ومعبئة وحاسمة أو ضيقة وفئوية ومحلية واعتقد بصراحة أنه في مرحلة الهجمة الاستعمارية على الدولة العثمانية كانت الايديولوجيا القومية من نتاج قوى اجتماعية التحقت بالغرب ثقافياً واقتصادياً وسياسياً.. وما انتج على يد مثقفين علمانيين انبهـروا بالغرب انبهاراً كاملا من مقولات وأفكار – عن قصد أو غير قصد – إنما كان يعبر عن اتجاه عام يصب في النهاية في موقف سياسي حملته قوى اجتماعية ارتبطت بأعيان المدن وتجـار المدن وانخرطت بشبكة التبادل مع الغرب. وهذا الموقف كان يصب في عملية تفكيك الدولـة العثمانية لتجزئتها الى ممالك اقليمية وإمارات طائفية، ومن هنا ساهمت الايديولوجية القومية قبل الاحتلالات المباشرة في تسهيل القبضـة الغربية على الشرق الاسلامي، ولو نشأت كرد على محاولات التتريك.

وبعد التجزئة الاقليمية والطوائفية بدأت تنتج عبر قوى اجتماعية مختلفة أو من بقايا القوى الاجتماعية السابقة، ايديولوجية قومية تصارع الاستعمار حول الارضية نفسها التي أوجدها هذا الاستعمار في مرحلة التتريك

لقد انتجت ايديولوجيا قومية معادية للاستعمار، ولكن ضمن حدود ما أسميه بناء السلطة الداخلية، الادارة المحلية، بناء الدولة وفقاً للنموذج الغربي وضمن حدود التجزئـة



النسبية .

وحتى نحاكم الدور التاريخي للفئات التي انتجت الايديولوجيا القومية يجب أن نرى إلى حد كانت قادرة غبر مصالحها وطموحاتها على أن توجد مجموعة واسعة ضمن اطار امة . وما حصل أن هذه القوى الاجتماعية خاضت نضالا ضد الاستعمار ولكنه محدود بحدود مصالحها الفئوية وبطموحاتها المحدودة . ولم تتحول إلى ايديولوجيا شعبية كما أشار الدكتور معن .

● **ماذا تمثل الناصرية بهذا الصدد ؟**

■ **د . كوثراني :**

تمثل الناصرية جانباً من معركة شعوب المنطقة ضد السيطرة الاستعمارية المباشرة . وبالتالي فان أي مشروع يناهض الغرب ويقاوم العدو القاهر والمستبد والمشوه للشخصية ، تقف الجماهير الى جانبه . فالجماهير كانت مع عبد الناصر ليس لأنه قدم شعار العروبة (ظل شعار العروبة في فلسفة الثورة غائماً حيث يبدو عبد الناصر اسلامياً أكثر منه عربياً) ، ولم تتبلور مفاهيم القومية عنده حتى عام ١٩٦١ وانما لأنه قرر مواجهة الغرب الاستعماري وخاض معارك حادة معه .

والواقع أن مفهوم الأمة عند الشعب لم يكن منظراً له : إن شعار من المحيط إلى الخليج كان شعاراً صاغه مثقفون والأمة (بالمعنى الذي يتصوره الجماهير) هي وحدة شعوب تؤمن بنفس العقيدة والأفكار والقيم . وهي التي حطمها الغرب وشوهها . وأي معركة مع الغرب تستعاد عبرها الشخصية الوطنية الذاتية الحضارية هي المعركة التي تلتف حولها الجماهير وتؤيدها .

من هنا ننطلق لنقول بأن الايديولوجيا القومية ليست حقيقة ثابتة وقائمة بذاتها ولها أسسها النظرية ؛ إنها تمثل لقوى اجتماعية . والقوى التي حكمت باسم القومية أصبحت قوى اقليمية وتستخدم الايديولوجيا القومية لتثبيت المواقع الاقليمية . ومن هنا ينبغي اعطاء مفهوم آخر للقومية . فأنا أرى أن القومية هي تعرف على الذات الحضارية من خلال رفض التشويه ومصدر التشويه . وبمعنى آخر إني أعطي القومية معنى شمولياً لدرجة اعتبر معها أن الثورة الايرانية هي رد قومي بالمعنى الشرقي للكلمة ، أي الشرق الذي هزمه الغرب وشوه حضارته وثقافته ونفاه ، وكأنه لانموذج حضارياً الا النموذج الغربي . فأي ثورة تصدر عن هذا العالم المنفي - بالنسبة للغرب - أجد فيها نموذجاً للتعرف على الذات . وهنا يدخل عنصر الاسلام بشكل مهم وأساسي وموحد وفاعل في عملية التعرف على الشخصية القومية (عربية كانت أو تركية أو ايرانية) التي يؤطرها بوحدة ثقافية شاملة . ينبغي الآن البحث عن الأشكال الثقافية في عملية التصدي للعدو الأساسي وأي معطى (لغة ، عبادات ، دين ...) يجب أن يوظف في إطار خوض المعركة مع هذا العدو الذي جزأ الشخصية وفككها وقهرها .

■



● إذا لم تنجح أول مرة فحاول ثم حاول ثانية . ثم تخل عن محاولاتك نهائيا .. فلا فائدة من أن تصبح غبيا بعد هذا كله .

(و . س . فيلدز)

● إنكم لا تشرعون القوانين ، ولكنكم تتعهدونها بالرعاية .

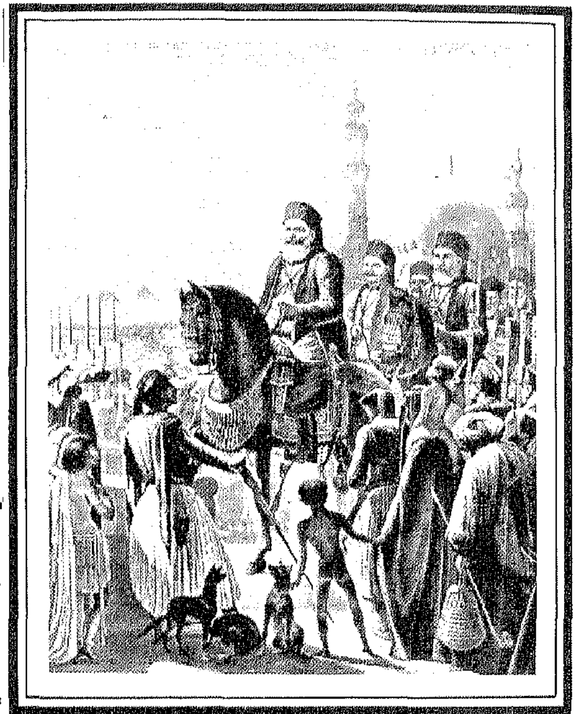
(فنسنت مكدونالد)

● الأحمق شخص يحرمك من الوحدة دون أن يمتعك بالصحبة .

(جيان فنسنزو جراميتا)



سياسة مصر واستراتيجيتها في البحر الأحمر على عهد الحملة الفرنسية ومحمد علي



محمد علي باشا (للفنان هيمي)

أ . د . أحمد عزت عبد الكريم



لم تكن ظروف العصر العثماني مهيأة لقيام نشاط كبير في البحر الأحمر ذلك أن الدولة العثمانية بعد أن أوقفت حركة التوسع والفتوحات التي قامت بها في القرن السادس عشر - استطاعت على نحو ما أن تؤمن البحر الأحمر من التوغل البرتغالي، وان كانت لم تستطع أن تحطم المشروعات البرتغالية في البحار الشرقية الرامية الى مطاردة تجارة المسلمين واحتكارها للبرتغاليين، وتركت هذه المهمة لدول أوروبية أخرى. بعد هذا رأت الدولة العثمانية - تأمينا لسلامة البحر الأحمر من التوغل الأوروبي، أن تأخذ بسياسة قفل المنافذ، بالعمل على منع السفن الأوروبية من اختراق البحر الأحمر وفي الوقت نفسه تمنع حكام البلاد الواقعة تحت نفوذها من أن يدخلوا في علاقات مع دول خارجية وان يمنعوا - بصفة عامة - التجارة والتجار الأوروبيين من استخدام هذا الطريق الحيوي الهام.

وبذلك ران على البحر الأحمر نوع من الركود واطمأنت الدولة العثمانية لذلك، اعتقاداً منها أن هذه هي خير طريقة لتأمين سلامة

* مدير جامعة عين شمس سابقا ومن كبار المؤرخين العرب المعاصرين.

البحر الأحمر. وفي أحد الفرمانات التي أصدرها السلطان العثماني لأحد بكوات المماليك في مصر جاءت هذه العبارة وتكاد تكون بالنص: انظروا الى ما فعله الانجليز في الهند حين نزلوا فيها في أول الأمر كتجار، ثم ما لبثوا أن تحولوا الى مستعمرين وحكام بالاضافة الى أن اضطراب الأمن في هذه البلاد كان يحول دون أن يقدم التجار على التوغل بسفنهم في البحر الأحمر أو نقل متاجرهم عن هذا الطريق حتى ميناء السويس، فظلوا يبحرون حتى مخا ثغر اليمن، او جده ثغر الحجاز. وظل الوضع على هذا النحو رغم المحاولات التي جرت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر اذ عقد بعض أمراء المماليك معاهدات مع شركة الهند الشرقية أشهرها معاهدة هيستنجز - أبو الذهب لتشجيع السفن التجارية الآتية من الهند للوصول حتى مواني البحر الأحمر: القصير أو السويس، ولكن لم تفلح هذه المشروعات - بصفة عامة - لفتح هذا الطريق بسبب معارضة الدولة العثمانية واضطراب الأمن، واعتماد الانجليز - بصفة خاصة - على الطريق البحري المباشر بين الشرق والغرب، وهو طريق رأس الرجاء الصالح.

مشاريع فرنسا في مصر:

غير أن فرنسا لم تقطع الأمل: ففي اكتوبر ١٧٩٥ أوفدت الى القاهرة (Dubois - Thanville) ليسعى لدى الأمراء المماليك للاستئذان بقيام تجارة منتظمة بين الهند والسويس. وقيل أن الفرنسيين كانوا يفكرون كذلك في أن يطلبوا الترخيص بمرور جيش فرنسي في مصر الى الهند لمساعدة تنبو صاحب سلطان ميسور، الثائر على الحكم البريطاني. وبعد ثلاث سنوات من هذه البعثة، اتيح لفرنسا أن تشرف بنفسها على تحقيق أغراضها.

ففي جميع المشروعات التي قدمت الى الحكومة الفرنسية لفتح مصر، تظهر أهمية البحر الأحمر كطريق هام للتجارة الشرقية، يستطيع أن ينافس طريق الرأس الذي تحتكره انجلترا منافسة ناجحة، وكطريق تستطيع فرنسا أن تنفذ منه الى الهند فتديل من الحكم البريطاني وتبسط نفوذ فرنسا في الشرق. ثم يعمل - الفرنسيون - حين يصبح البحر



نابليون

الأحمر تحت سيادتهم - على تيسير النقل فيه، بتنفيذ المشروع الذي طالما استهوى الباب المستغلين بمسائل التجارة الشرقية والاستعمار في الشرق: وهو مشروع شق قناة بين البحرين الأحمر والمتوسط. وقد حشد له بونابرت الجهود، فكون لجنة على رأسها المهندس «لوبير» (Lepere) وعهد اليها بدراسة المشروع، وانفذها عدة مرات الى سواحل البحرين وما بينهما من برزخ. وقد وجد بونابرت - على كثرة مشاغله - من وقته متسعا ليصحب اللجنة في بعض جولاتها. واستغرقت أعمال البحث عام ١٧٩٩ ما عدا بضعة أشهر منه. وقد وضع «لوبير» تصميماً لحفر ترعة من السويس الى البحيرات المرة، ثم يعاد حفر الخليج القديم المعروف بخليج أمير المؤمنين الى أن يلتقي ببحر مويس بقرب تل بسطة من أعمال الشرقية، ومن بحر مويس تمتد الترعة حتى فرع دمياط ومنه الى فرع رشيد ثم الى الاسكندرية بواسطة ترعة الاسكندرية.

كما أن «لوبير» وضع مشروعاً آخر يعد جديداً لأنه يختلف عن الترع القديمة التي كانت تربط البحرين بواسطة فرع النيل الشرقي: وهو مشروع وصل البحرين رأساً، وذلك بحفر ترعة تخترق برزخ السويس فيما بين بيلوز (مكان بورسعيد الحالية) على البحر المتوسط، والسويس على البحر الأحمر. غير أن تقديراته انتهت به الى تأييد فكرة خاطئة، وهي ان البحر الأحمر يعلو على سطح البحر المتوسط بنحو تسعة أمتار (٣٢,٥ قدما) لهذا خيف اذا حفرت القناة أن تغرق مياه البحر الأحمر أرض الدلتا والحق أن الوقت لم يتسع

للفرنسيين في مصر لاصلاح هذا التقدير الذي ظل مسلماً به حتى أصلحه المهندسون في عهد محمد علي .

ولقد كان طبيعياً أن يحتل البحر الأحمر جانباً كبيراً من اهتمام الفرنسيين ، وخاصة بعد أن فرض عليهم الانجليز حصاراً من جهة البحر المتوسط ليحولوا بينهم وبين الاتصال بالوطن الأم فلم يكن أمامهم بذلك لمحاولة الانطلاق من مصر سوى طريقين : طريق الشام في اتجاه القسطنطينية ، وطريق البحر الأحمر في اتجاه الهند . واذا كان الجيش الفرنسي الزاحف الى بلاد الشام قد استعصى عليه فتح عكا ثم ارتد الى مصر ، فكذلك كان طريق البحر الأحمر : ارسل بونابرت عدة رسائل الى بعض أمراء العرب في الحجاز ومسقط وغيرهما للتبشير بنفوذ فرنسا والتمهيد لما قيل عن استعداد حملة فرنسية كبيرة للخروج لغزو الهند .

ولكن هذا كله لم يفلح إلا في اثارة اهتمام البحرية الانجليزية الهندية بالبحار الشرقية وسعيها الى الاستيلاء على المنافذ الجنوبية للبحر الأحمر لقفل الطريق أمام أي محاولة فرنسية كما أنهم عقدوا معاهدة صداقة وتجارة مع أمير لحج ليسبقوا الفرنسيين الى بسط نفوذهم في هذه المناطق العربية .

أما الانجليز فلم يحفلوا كثيراً بالأثر الذي قد يكون لوجود الفرنسيين بمصر على تجارة الشرق طالما بقي في أيديهم طريق الرأس وتحولت متاجرهم القليلة التي كانت تتردد من وقت الى آخر على السويس الى الطريق البري الآخر عبر سوريا وأرض الجزيرة ثم الخليج العربي والهند ولكن الانجليز – مع هذا – ادركوا الخطر من محاولة الفرنسيين الاتصال بالهند فتراهم يعملون ليحولوا دون وصول قوة حربية فرنسية الى الهند عن طريق البحر الاحمر ، باحتلال بريم وعدن عند مدخل البحر الاحمر كما انهم يرسلون من الهند الى البحر الاحمر والقصير قوة بحرية وبرية للاشتراك مع القوات البريطانية التي نزلت من البحر المتوسط لاخراج الفرنسيين من مصر .

وعلى الرغم من أن (قوة) البحر الأحمر لم تشترك فعلا في القتال ، الا أن ارسالها من الهند عن هذا الطريق أمر له دلالته ، اذ يظهر الارتباط الذي بدأ يوجد بين مصر والممتلكات البريطانية في الشرق عن طريق البحر الأحمر .

وظل هذا الارتباط من القواعد الجوهرية في سياسة بريطانيا في الشرق وقد زاده قوة شق قناة السويس .

سياسة محمد علي الانفتاحية

ولأجل أن نفهم سياسة مصر واستراتيجيتها في البحر الأحمر في عصر محمد علي ، يجب أن نربط بين هذه السياسة وسياسة محمد علي العامة في وصل ما بين مصر والعالم الخارجي ، فقد كانت سياسة محمد علي مخالفة مخالفة تماماً لسياسة الدولة العثمانية في القرن الثامن عشر ، فرأى أن خير ما فعله لتنمية مصر ووضعها في مركزها اللائق بها في المنطقة وفي البحر المتوسط وفي العالم ، أن يفتح الطرق والمسالك ما بينها وبين العالم الخارجي ، ليس فقط في الأمور الاقتصادية ، وإنما – أيضاً – في الشئون الثقافية وغيرها . لهذا كون البحر الأحمر جانباً كبيراً وهاماً من سياسة مصر الانفتاحية في عصر محمد علي . واعتقد أن محمد علي اطلع على المعاهدات التي كانت قد عقدت بين بعض الأمراء المصريين – في أواخر القرن الثامن عشر – وبين بعض الحكام الانجليز في الهند وهي المعاهدات التي شجعت على ارسال سفن الى السويس وموانئ البحر الأحمر ، وعلم بما كان من أمر بعض هذه السفن التي حال اضطراب الأمن والسياسة الانعزالية للدولة العثمانية دون ارتيادها هذا الطريق .

ولكن في عصر محمد علي وقد عم الأمن من ناحية ، وتبدلت سياسة الدولة من ناحية أخرى ، فقد كان من المنتظر أن يفتح هذا الطريق . وبالفعل عمل محمد علي على تشجيع استخدام طريق البحر الأحمر لتجارة الشرق والغرب فعقد اتفاقات مع شركة الهند الشرقية ، وشجعهم على ارسال البضائع والمسافرين الى السويس .

ومما ساعد على رواج هذا المشروع الكبير أن البخار كان قد بدأ يستخدم في تسيير السفن في السنوات الأولى من القرن الماضي ، وبذلك أمكن بناء سفن ضخمة ونشطت حركة النقل . وكان طبيعياً أن يتجه الجهد أولا الى استخدام السفن البخارية في الطريق (البريطاني) طريق الرأس . ففي ١٦ اغسطس ١٨٢٥ أقلعت الباخرة (Enterprize) من انجلترا فوصلت كلكتا بعد ١١٣ يوماً ، وعلى الرغم من طول



محمد علي باشا والصناعة الحربية (صورة فرنسية)

الرحلة ومشقتها فقد أصرت شركة الهند الشرقية على استخدام هذا الطريق. ولكن حكومة بومباي كانت ترى المستقبل لطريق البحر الأحمر، فعملت على إقامة مخازن في موانيه : عدن وجدة والقصير والسويس، لتتزود منها السفن التجارية بحاجتها من الوقود. وكانت مخاطر الرحلة في مصر قد زالت بفضل محمد علي الذي ضرب على أيدي العابثين بالأمن من البدو وغيرهم، وشجع على أن تأتي الى الموانيء المصرية تجارة الشرق فيصيب منها الايراد ويكسب تقدير الدوائر البريطانية.

ولم يثبط من عزيمة حكومة بومباي اخفاق أول سفينة بخارية في اكمال الرحلة الى السويس، فبنت سفينة جديدة دعتها (Hugh Lindsay) وأقلعت من بومباي في ٢٠ مارس ١٨٣٠ فوصلت السويس بسلام في ٢٢ أبريل، فكانت بذلك أول سفينة بخارية تجتاز البحر الأحمر. وشجع نجاح الرحلة على الرغم من تكاليفها الباهظة – حكومة الهند على أن تواصل ارسال سفن بخارية الى السويس في فترات متقطعة، وأدخلت تحسينات عدة. وبذل توماس وجهورن التاجر البريطاني الذي أقام مدة طويلة بالقاهرة – جهده في انجلترا والهند لانشاء خط منتظم للملاحة البخارية بين انجلترا والهند عن طريق البحر الأحمر. وأثمرت هذه الجهود ثمرها، فأرسلت البعثات لبحث سواحل البحر الأحمر والكشف عما كان مجهولا منها، ووضعت خرائط مفصلة لها، واقيمت المخازن للفحم، ودخل الانجليز في مفاوضات مع الامراء الوطنيين على سواحل بلاد العرب، واحتلوا سقطرة في عام ١٨٣٥، ثم عدن في يناير ١٨٣٩، ونظمت رحلات شهرية بين الهند والسويس.

وفي مصر، نظم وجهورن قوافل من الابل للخدمة بانتظام بين السويس والقاهرة. وقد صادف في القاهرة منافسين له من بني جلدته هما : (Ravin & Hill) اللذين أقاما في القاهرة وبنيا فيها فندقا لنزول المسافرين، وتعهدا بنقل الركاب ومتاعهم بين القاهرة والسويس في عربات خاصة بالمسافرين وأخرى بالبضائع، وشرعا في انشاء فندق بالسويس، وساهمت معهما لجنة للملاحة البخارية في بومباي في إقامة خمسة منازل للمسافرين في الصحراء احدها كبير في وسط الطريق به فندق ومحلات للخدم واسطبل.. الخ[١]. وقدر أن يقطع المسافر الطريق من السويس الى القاهرة في أربع وعشرين ساعة منها عشرون ساعة في السفر. وتوالت التحسينات فمد خط للتلغراف في

الصحراء، تم حفر ترعة المحمودية لتسير فيها سفن شراعية وبخارية، وتكونت شركة (Peninsular & Oriental Steam Navigation Co.) ومنحت في عام ١٨٤١ حق استخدام سفنها في النيل والمحمودية. وتضافر تقدم الالات البخارية وفن بناء السفن على تحسين وسائل الراحة للمسافرين وتقصير الشقة عليهم. وقد اريد أن تتوج هذه التسهيلات بانشاء خط حديدي من الاسكندرية الى السويس ماراً بالقاهرة. وعرض المشروع على محمد علي فعهد بدراسته الى مهندس انجليزي في خدمته يدعى جالوي بك (Galloway) وأراد محمد علي أن يطمئن الى أن هذا المشروع لن يتخذ يوماً ما ضد مصر، كما أنه أراد أن يستوثق من إيراده قبل الشروع في انشائه. وانقضت عشرون سنة قبل أن يتاح للمشروع أن يتحقق.

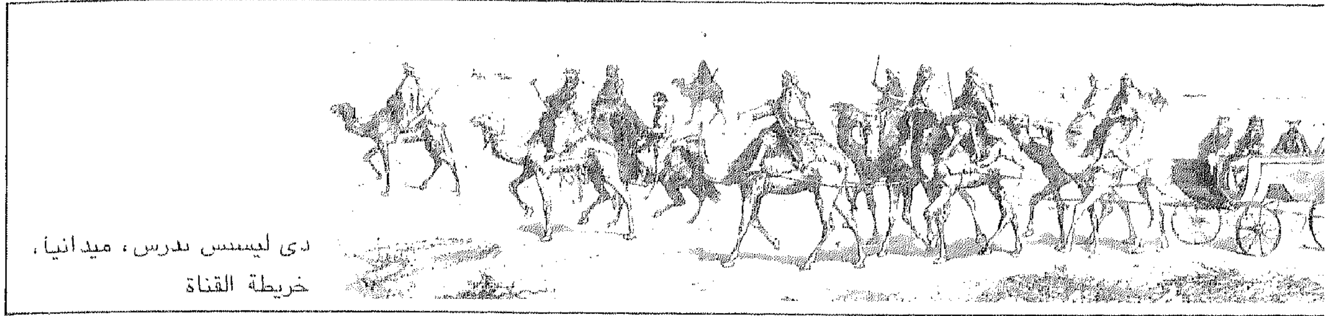
قلق محمد علي لترك هذا النشاط التجاري في داخل بلاده لهيئات أجنبية تحتكر الربح من ناحية وقد تستخدم وجودها لخدمة أغراض أخرى لا تمت الى التجارة والنقل من ناحية أخرى فعمل - تحقيقاً لخطته العامة في إشراف الدولة على جميع مرافق البلاد - على أن تشرف الحكومة المصرية على هذا النشاط، وقد تم هذا على مراحل: بدأ بتكوين شركة النقل المصرية (Egyptian Transit Co.) وعلى رأسها انجليزيان، وقد اشترت شركة هل وشركاه في سنة ١٨٤٣، وبعد ثلاث سنوات صفيت أعمال هذه الشركة بدورها وأصبحت مسائل النقل في داخل البلاد من اختصاص الحكومة فانشيء لها «مصلحة المرور» أو «الامرارية».

أما محمد علي، فقد عمل على تبديد مخاوف الانجليز بشأن قفل الطريق البري المصري وكسب ودهم في العراك السياسي القائم، فظل يشجع النقل فيه. وبينما كان الاسطول الانجليزي يضرب عكا، كان محمد علي يحادث ممثلي شركة (P & O. S. N. Co.) ويعدهم بكل التسهيلات في مصر. وكان من أثر هذه الرعاية أن اضطرد نجاح الطريق: ففي السنة الأولى لافتتاحه بصفة منتظمة (في سنة ١٨٣٩) اجتازه ٢٧٥ مسافراً زادوا الى ٢١٠٠ في سنة ١٨٤٥ ثم الى اكثر من ٣٠٠٠ في سنة ١٨٤٥ واشاد المسافرون بما يلقونه في مصر من رعاية وأمن حتى آثر كثيرون منهم أن يتخلفوا بمصر للسياحة في نيلها ومشاهدة آثارها. وقد قدر الانجليز لمحمد علي موقفه في رعاية التجارة الانجليزية في سنى الحرب، وعبروا عن تقديرهم في ميدالية باسمه ورسمه أهدوها اليه.

محاولات محمد علي للتقرب من انكلترا

والواقع أن محمد علي كان يعمل باستمرار على إقناع انجلترا بأنه عامل حضاري في هذه المنطقة من العالم، وأنها يحسن بها أن تعتمد عليه لا أن تحاربه، ولكن الحكومة البريطانية لم تشأ أن تساير محمد علي في هذه الفكرة، ففضلت أن تعتمد على وسائلها الخاصة على أن تعتمد على حكام شرقيين من نوع محمد علي لأنها تعتقد أن مثل هؤلاء الحكام - مهما طال بهم الزمن - فأمرهم الى زوال، فضلا عن أن الحكومة البريطانية لم تكن ترى في (اصلاحات) محمد علي في مصر إلا ارهاقاً وتضييعاً لمصالح الشعب المصري، هذا الى أن مشروعاته في انشاء الصناعة الحديثة في مصر كان يخشى أن تتطور الى منافسة الصادرات البريطانية الى مصر وسائر أملاك محمد علي، ويمكن أن يقال هذا أيضاً عن مشروعات محمد علي السياسية التي حاول أن يقنع انجلترا باستعداده لوضعها في خدمة السياسة البريطانية. وكان دائماً يقول: إن السياسة البريطانية لو وضعت يدها في يده لفعلا الأعاجيب. ولكن انجلترا - كما قلنا - تفضل استخدام وسائلها وقوتها الخاصة، حتى لا تضطر الى أن تنزل لمحمد علي عن شيء. وعلى العكس قاومت انجلترا سياسة محمد علي التوسعية كما قاومت سياسته (الاحتكارية) متحالفة مع الدولة العثمانية وبروسيا وروسيا والنمسا حتى استطاعت في معاهدة لندن ١٨٤٠ أن تحصر قوته وتحددها - في داخل مصر نفسها. كما عقدت معاهدة تجارية دولية (معاهدة بالطة ليمان) مهدت بها للقضاء على سياسة الاحتكار التي اتبعها محمد علي في مصر وسائر ممتلكاته.

واتماماً لمشروعات محمد علي في إحياء تجارة البحر الأحمر كان لا بد له أن يعمل في سبيل تنفيذ هذا المشروع القديم الحديث معاً، مشروع وصل ما بين البحرين البحرين المتوسط والأحمر كان وصلا مباشراً عبر برزخ السويس


دي ليسبس يدرس، ميدانيا، خريطة القناة

أو وصلا غير مباشر عن طريق النيل وترعه حتى الاسكندرية .

وعرض على محمد علي مشروع قدمه إليه في سنة ١٨٢٥ جالوي بك ويتلخص في حفر قناة تصل النيل بالبحر لأحمر فتخترق بذلك شرقي الدلتا وقد وجد جالوي من محمد علي ميلا الى قبول الفكرة ، ولكنه أخفق في تكوين شركة لتنفيذها ، ومن المشروعات التي قدمت لمحمد علي مشروع انشاء الخط الحديدي وبقيت هذه المشروعات معلقة حتى تمت تسوية ١٨٤٠ - ١٨٤١ ، واتيح لمحمد علي أن ينصرف الى ما كانت تصرفه عنه مشاغل الحرب والسياسة ، ونشطت الجهود لحمل الباشا على الموافقة على مشروع حفر القناة بين البحرين ، ولكن الحكومة الانجليزية عارضت هذا المشروع معارضة قوية ، لما قد يؤدي وقوعها في أيدي دولة أوروبية أخرى من الأضرار بتجارتها ونفوذها في الشرق ، فيحملها هذا على القيام بعمل لم تكن اذ ذاك مستعدة لتقوم به وهو احتلال مصر . وكانت المعارضة الانجليزية مما يحسب له محمد علي الحساب ، فقد خبر مدى قوة انجلترا وتفوقها البحري . وخشي محمد علي ما قد يجره تنفيذ المشروع من مشكلات سياسية ، ومن أن تصبح مصر طريقاً للدول ومحلاً لاطماعها . ومع هذا فانه لم يقطع برأي حتى يستبين الأمر من الناحية الفنية ، ففي سنة ١٨٤٧ عينت لجنة دولية شبه رسمية لفحص المشروع ومن الجدير بالذكر أن بعض المهندسين المصريين ممن درسوا في المدارس التي انشأها محمد علي في مصر وأتموا دراستهم في أوروبا ، وكان لهم باع طويل في هذا المجال ، اشتركوا في اللجنة ، وقد اتفق الأعضاء على اصلاح تقرير مهندس الحملة الفرنسية وأن مسألة ارتفاع مستوى أحد البحرين عن الآخر غير صحيحة ، ولكنهم اختلفوا على امكان حفرها لاسباب أخرى فنية وكان حامل لواء المعارضة المهندس الانجليزي روبرت ستيفنسن صاحب مشروع الخط الحديدي .

نفوذ مصر يقوى حول البحر الأحمر

هذا من الناحية التجارية ، أما من ناحية التوسع وناحية التأمين فاننا لا ننسى أن عصر محمد علي كان عصر التوسع الأوروبي ، وكان عصر محمد علي هو العصر الذي بدأت فيه مصر تعمل على مدافعة الاستعمار الأوروبي عن هذه المناطق ، وقد شاهد البحر الأحمر نشاطاً حربياً مصرياً بدأ في سنة ١٨١١ ، حين أبحر طومسون على ظهر السفن التي صنعت أجزاؤها في بولاق ونقلت مفككة على ظهور الابل الى السويس واستولى المصريون على ساحل البحر الأحمر الشرقي وما يليه من أرض الحجاز ونجد حتى الخليج العربي وكذلك استولوا على أكثر أجزاء اليمن ثم استولوا على الشام وجزء من أرض الجزيرة ، وبذلك أصبح محمد علي متحكماً في كلا الطريقين البريين الى الشرق . وقد اثار هذا التوسع ارتباكات سياسية دولية ، وشرع الانجليز يقاومون التوسع المصري وأنذروا المصريين بالابتعاد عن مناطق الخليج العربي وإلغاء المعاهدة التي عقدوها مع شيخ البحرين وكذلك إيقاف التوسع المصري على ساحل البحر الأحمر الشرقي باحتلال عدن وتحصينها سنة ١٨٣٩ . وهكذا أصبح الأمر في الخليج وجنوب البحر الأحمر نوعاً من السباق بين القوتين المصرية والانجليزية ، فازت فيه القوة الانجليزية معتمدة - قبل كل شيء على بحريتها في تلك الانحاء . وذهبت سدى صرخات الأهالي العرب في أطراف الجزيرة العربية الى محمد علي يناشدونه الاسراع في انقاذهم من الخطر البريطاني .

هذا في الوقت الذي كانت فيه مصر قد استولت على الساحل الغربي للبحر الأحمر

(ساحل السودان) ودخلت موانىء السودان الهامة في حوزة مصر، وأهمها سواكن ومصوع.

وهكذا ورثت مصر النفوذ العثماني القديم الذي حاولت الدولة العثمانية أن تبسطه في تلك الانحاء وتحولت ولاية الحبش العثمانية الى حكم مصري قوي قائم في البحر الاحمر، سواء على شاطئه الاسيوي أو شاطئه الأفريقي، انطلاقاً الى مد النفوذ المصري حتى مداخل البحر الأحمر، وما يليه من شرق أفريقيا ذلك التوسع الذي تم في عصر الخديوي اسماعيل. وكلها مناطق لم يكن اختيارها اعتباطاً لمجرد التوسع، وأنما كانت ترمي الى تنفيذ سياسة كبيرة، وهي سياسة سبق الاستعمار الأوروبي الى هذه المناطق وتأميناً ضده.

ولكن مصر كانت ترى انجلترا أمامها في كل مكان، فقد أنذرتها انجلترا بالابتعاد عن الحبشة أنكرت مصر أنها تكن أية نيات عدوانية نحو تلك المملكة العريقة، وأنذرت مصر – كما رأينا – بالابتعاد عن ساحل اليمن والخليج العربي: كما أنذرتها بالابتعاد عن فتح العراق بعد استيلاء مصر على بلاد الشام والجزيرة ووقوع هذا الجزء البري الهام من طريق الخليج في أيدي المصريين وبذلك يتاح لمصر محمد علي السيطرة على كلا الطريقين بين الشرق والغرب طريق مصر والبحر الأحمر، وطريق الشام – العراق والخليج العربي.

ومهما يكن من شيء فقد استطاعت مصر – رغم أن الظروف الدولية لم تكن مواتية لها في النصف الأول من القرن التاسع عشر – أن تحيل النفوذ العثماني في البحر الأحمر من واقع اسمي الى واقع حقيقي، وإن تدخل تحت السيطرة المصرية الجانب الأكبر من البحر الأحمر، واستطاعت أيضاً أن تفتح هذه الآفاق للتجارة العالمية وأن تعيد لمصر مركزها كدولة بحر أحمر ودولة بحر متوسط مرة أخرى وأن تعيد الى التجارة الشرقية أهميتها بالاضافة الى أن محمد علي لم يعتن فقط باستعادة مركز مصر في هذا الطريق وإنما أعاد أهمية مصر كقاعدة اقتصادية بالتوسع في زراعة المحاصيل التي تدر على البلاد النقد الاجنبي وخاصة القطن وبذلك ربط ما بين الاقتصاد المصري والاقتصاد العالمي كجزء من عملية الانفتاح الاقتصادي، وبذلك اصبحت مصر جزءاً هاماً وأساسيا من الاقتصاد العالمي لا غنى عنه.

وبذلك نرى أن مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر قد لعبت الدور الأول في سياسة البحر الأحمر وفي استراتيجيته، وأعادت هذه الاهمية التي لم تقف عند حد بل زادت بعد ذلك هذه الأهمية حتى وقتنا الحاضر. ■

هامش

(١) ومن أشهر الفنادق التي انشئت في القاهرة في ذلك الوقت، مرتبطة باستخدام الطريق الجديد، الفندق الذي أقامه المواطن الانجليزي شبرد وعرف باسمه، وكان في الأصل قصراً لمحمد بك الالفي يقع أمام بركة الأزبكية، ثم توالت عليه تعديلات كثيرة، والتهمه حريق القاهرة في ٢٦ يناير ١٩٥٢، ثم أقيم الفندق الجديد بالاسم القديم أمام النيل.

صور القناة مأخوذة من كتاب (Suez Story) لمؤلفه (William Longgood) نيويورك.

اجتياز البحيرة الكبرى المرة قبل شق قناة السويس



تطــوّر الفــكر السـياسي في أوروبا


جون لوك

د . محمد مخزوم

تجلى عصر النهضــة الأوروبية بظهــور عدة تيــارات فكرية دعــت الى تحريــر الفــكر الانساني من مخلفات الاقطاع والكنيسة واعراف وتقاليد العصور الوسطى. وقد ظهر اثر البورجوازية واضحاً في هذه التطورات التي ارادت حصر السلطة بيد الملوك على حساب الارستقراطية الاقطاعية ورجال الدين. فقدمت دعمها المادي وتأييدها السياسي لهم. كما نجــح الملوك في استغلال الشعور القومي عند شعوبهم الى أبعد الحدود باشعالهم الحروب التوسعية تدعيمــاً لسلطة الدولة وسيادتهــا. فأقاموا سلطتهــم الاستبدادية على أساس «الحق الالهــي» في الحكم والسيادة. وظلوا يمارسون هذه السلطة حتى سقطت تحت ضربات الثورة الفرنسيــة اواخر القرن الثامن عشر وما تبعها من ثورات في انحاء اوروبا خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر.

عرفت قرون النهضة في اوروبا عدة اشكال للحكم. فبينما كان الحكم في كل من فرنسا واسبانيــا نموذجــاً للملكيــة المعتدلــة سادت المدن الايطالية الحكومات البورجوازية المستبدة. فالملك الفرنسي حاكم مطلق يجمع بيده جميع السلطات بلا حدود. وهو مصدر كل عدل وكل تشريع، يدير سياسة الدولة ويشرف على تعيين الموظفين. وهو قائد الجيش ومصدر الحــرب والسلام، ولذا فهو غير مسؤول الا أمام الله وليس امام اية هيئة مهمتها تنفيذ القانون. هذه السلطة ورثها لويس الخامس عشر فيما بعد باعلانه امام البرلمان «في شخصي وحده تستقر السلطة والي وحدي تعود السلطة التشريعية دون ارتباط ولا مشاركة وعني يصدر النظام العام. وحقوق الأمة ومصالحها هي بالضرورة متحدة مع حقوقي ومصالحي ولا تستريح الا بــين يدي»(١). ومع ذلك فان الملك لم يكن ينفرد في حكم البلاد. فقد كان يساعده عدد من الوزراء والمجالس الاستشارية. وعنــد الأزمــات كان يستعين بممثلين عن الشعــب. امــا النظــام الاداري للحكم الملكي، فكان مزيجاً من المركزية واللامركزية. فالمركزية تأتت من سيطرة الملك واصداره القوانين التي من الواجب تطبيقها وفرضها على جميع الرعايا. بينما اللامركزية تأتت من الأحكام والقوانين الاقطاعية المحلية التي التي ما لبث الاقطاعيون يزاولونهــا في مقاطعاتهم بحكم ما كانوا يتمتعون به من القوة والسيطرة. ومع ذلك نرى ان الملكية بعد القرن السادس عشر استطاعت ان تهدم مفاهيم الحكم الدستوري للاقطاع ودول المدن التي سادت

انظمتها العصور الوسطى كما هدم تطور اوروبا الاقتصادي فيما بعد «شرعية الأسر المالكة».

ومهما تعددت مناهج المفكرين السياسيين في عصر النهضة فقد جاءت جميعها معبرة عن متطلبات العصر في وجوب تركيز السلطة بيد «الأمير» لتحقيق وحدة الأمة والدفاع عن حدودها السياسية، رافضة بذلك ازدواجية السلطة التي كان يمارسها كل من البابا والامبراطور أو أسياد الأرض خلال العصور الوسطى. ومثل مكيافيلي وجان بودان الاتجاه الواقعي في افكارهما التي تتمثل في دولة الأمير المطلق الصلاحيات.

١ - مكيافللي (١٤٦٩ - ١٥٢٧)

ولد مكيافللي في فلورنسا، من أسرة بورجوازية، وقضى فيها اكثر حياته. واذا لم يكن يعتبر مكيافللي في ثقافته التي اكتسبها من أكبر علماء عصره فانه ولا شك نموذج حقيقي لرجل النهضة الايطالية. ترعرع بين رجال السياسة واكتسب من رحلاته الدبلوماسية التي قام بها الى فرنسا والمانيا وروما خبرة واسعة اهلته فيما بعد لأن يضع كتاباً في علم السياسة سماه «الأمير».

استوحى مكيافللي افكاره التي تضمنها كتاب الامير من الحالة السياسية التي كانت تمر بها ايطاليا في تلك الفترة. ففلورنسا في عهد اسرة مدتشي كانت في حالة حرب دائمة مع بيزا، كما انها تعرضت لغزو فرنسي سنة ١٤٩٢ نتيجة للفوضى والاضطراب اللذين وقعت بهما خلال حكم هذه الأسرة. كما ان بقية المدن الايطالية كانت في ذلك الوقت ميداناً لحروب فرنسوا الأول وشارل الخامس حيث حل فيها الخراب والفوضى والانقسام. بالاضافة الى الحروب التي شنها سيزار بورجيا محاولا مد نفوذ البابوية على حساب بقية الولايات.

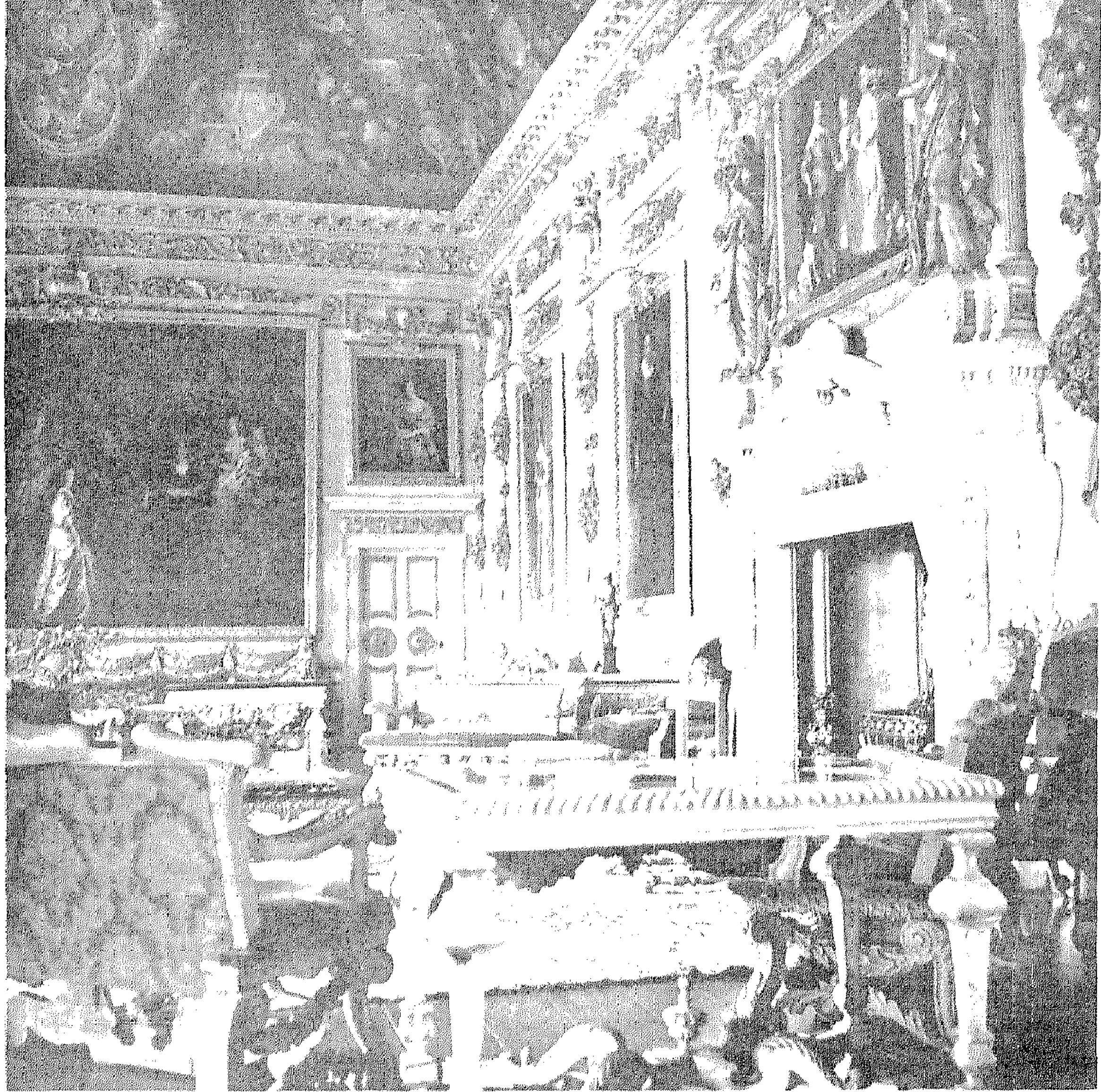
ان اكثر ما كان يؤلم مكيافللي هو الاعتماد على المرتزقة الذين لا يعملون الا على استمرارية الحروب. فلا يعرفون النظام ولا حفظ العهود والمواثيق. فدعا الى انشاء جيش وطني «ميليشيا» يتولى الدفاع عن المدينة «ان السبب الوحيد لأنهيار ايطاليا هو اعتمادها على الجيوش المرتزقة» وكان يرى ان خروج ايطاليا من محنتها هذه لا يتم الا بتحقيق الوحدة والقوة اللذين لا بد منهما لنيل حريتها الجماعية. وهو ينكر على الكنيسة سلطانها الزمن الذي اكتسبته والذي عمل على ابقاء ايطاليا منقسمة لكي لا يفقد البابوات سلطتهم في الشؤون السياسية. «كان مكيافللي، شأنه في ذلك شأن، غاريبلدي، الذي جاء بعد عدة قرون، يرى في وجود دولة دينية في قلب ايطاليا، عقبة كأداء في طريق وحدتها السياسية»[٢] ويذكر مكيافللي في «الخطب» قائلا: «نحن الايطاليين مدينون اذن لكنيسة رومة ولقساوستها بأننا اصبحنا غير متدينين واشراراً، ولكنا ندين لها بدين أكبر، وسوف يكون سبب خرابنا، الا وهو ان الكنيسة ابقت ولا تزال تبقي على انقسام بلدنا. من المؤكد انه لا يمكن لبلد ان يصبح بلداً موحداً وسعيداً الا اذا اطاع تماما حكومة واحدة، سواء أكانت جمهورية ام ملكية، كما هي الحال في فرنسا وفي اسبانيا، والكنيسة هي السبب في ان ايطاليا ليست في الحالة نفسها، ولا تحكمها جمهورية واحدة او يحكمها ملك واحد... اذن فالكنيسة للسيطرة على ايطاليا، ولا تسمح لأية قوة اخرى بأن تفعل هذا، كانت السبب في ان ايطاليا لم تتمكن من الاتحاد في ظل رئيس واحد، ولكن ظلت دائماً يحكمها عدد من الامراء والسادة، مما سبب لها الكثير من الشقاقات والكثير من الضعف بحيث اصبحت فريسة لا للبرابرة الاقوياء فحسب، ولكن لكل من اختار ان يهاجمها»[٣].

ومكيافللي في منهجه يعترف بابتعاده في وصف الأمير عن الجانب الخيالي ليبحث في جوانبه الواقعية، مستمداً فكره السياسي من الحوادث التاريخية. ولكنه في تفكيره يتمتع بالجرأة والاستقلال. ومع ذلك فقد أهمل دور الجماعة واعطى الأولوية في صنع الدولة للأبطال، ولم ير في الأفراد الا اداة لخدمتها.

وكتب مكيافللي كتاباً يعرف بـ «المواعظ» ضمنه قسماً كبيراً من ارائه السياسية. كما كتب «فن الحرب» و«تاريخ فلورنسا» الذي قدمه الى البابا كلمنت السابع. ولكن كتاب «الأمير» يعد من أحسن انتاجه لما ضمنه من دراسة مستفيضة عن اصول الحكم وفن السياسة

كتاب الأمير

يحاول مكيافللي في كتاب الأمير ان يبين ما



داخل احد القصور الانكليزية

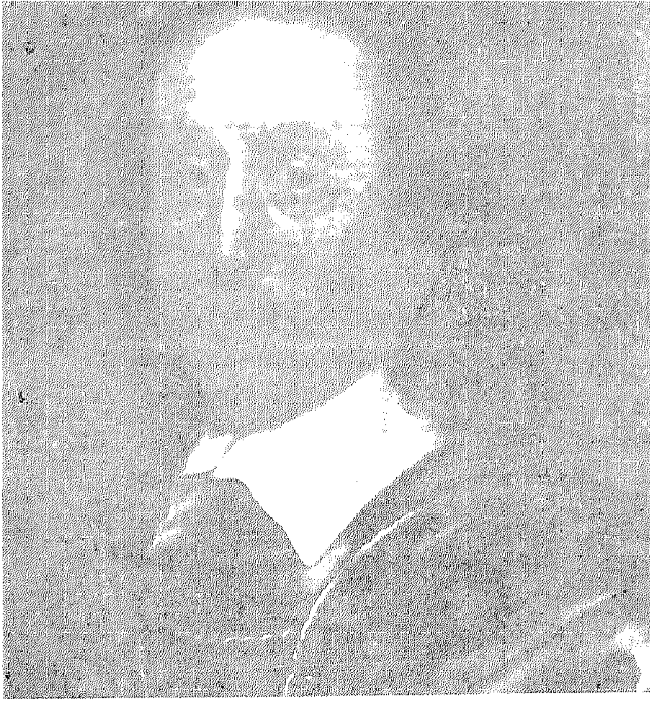
ينبغي ان يكون عليه مسلك الأمير ازاء رعيته وحاشيته واصدقائـه واعدائـه من الداخـل والخارج للمحافظة على دولته «على الأمير الذي يجد نفسه مرغماً على تعلم طريقة الحيوان ان يقلد الثعلب والاسد معاً، اذ ان الاسد لا يستطيع حماية نفسه من الاشراك، والثعلب لا يتمكن من الدفاع عن نفسه امام الذئاب. ولذا يتحتم عليه ان يكون ثعلباً ليميز الفخاخ واسداً ليرهب الذئاب»(٤). هذه الازدواجية في المواقف التي اعتنقها مكيافللي في محاباته احياناً للنظام الجمهوري واحياناً اخرى لعائلة مدتشي تبرز تعاليمه ونصائحه التي يقدمها لأميره: التمتع بالبخل والسخاء والخير والشر والرأفة والقسوة والكذب والصفات الحسنة. ولكن عندما سيكون الامير مجبرا على الاختيار فلا بد له من ان يختار اكثر الحلول صرامة فيفضل عندها البخل على التبذير، والرجل المسلـح على الاعـزل، والشرير على الطيب جدا (٥).

يقدم مكيافللي تعاليمه ونصائحه السلبية والايجابية لأميره لتكون وسيلة لديه لتحقيق غايته في اقامة دولة ايطاليه الموحدة وتخليصها من براثن الأعداء والمحيطين بها والمتنازعين على مقدراتها «وها هي ايطاليا تبتهل الى الله في كل يوم ان يبعث اليها بمن ينقذهـا من هذه

الفظاظة البربرية والحمق الأعمى. انها على استعداد، وتواقة الى اللحاق بكل راية، شريطة ان يكون هناك من يحملها ويرفعها»(٦). وفلسفة مكيافللي تكمن في النتائج التي يصل اليهـا الانسان وليس في الوسائل التي ما تلبث عند تحقيق النصر من ان تصبح وسائل شريفة حتى ولو انها استندت الى الرذائل: «وهكذا فمن الخير ان تتظاهر بالرحمـة وحفـظ الوعـود والشعور الانساني في النبل والاخلاص والتدين، وان تكون فعلا متصفاً بها، ولكن عليك ان تعد نفسك، عندما تقتضي الضرورة، لتكون متصفاً بعكسها. ويجب ان يفهم، ان الامير، ولا سيما الأمير الجديد، لا يستطيع ان يتمسك بجميع هذه الأمور التي تبدو خيرة في الناس، اذ انه سيجد نفسه مضطراً للحفاظ على دولته، لأن يعمل خلافاً للاخلاص للعهود وللرأفة والانسانية والدين»(٧)

ومع ذلك نستنتج ان مكيافللي كان يتمنى لأميره ان لا يضطر الى سلوك الرذيلة او الكذب والخداع لتحقيق مصالح الدولة العليا «على الأمير ان يتحلى بالفضائل ويكون كريماً وفياً بالعهد وشجاعاً وعلى الأمير ان يظهر نفسه دائماً ميالا الى ذوي الكفاءة والجدارة وان يفضل المقتدرين ويكرم النابغين في كل فن وعليه ان يشجع مواطنيه على المضي في اعمالهم وعليه ان يقدم لهم مثلا على انسانية وجوده محتفظاً دائماً بجلال منصبه ووقار مكانته»(٨) ويقول ايضاً: «ان على الأمير ان يتجنب كل ما يؤدي الى تعرضه للاحتقار والكراهية. وعندما يتحاشى الأمير الاعتـداء على امـلاك عامـة النـاس واعراضهم، فانهم يعيشون راضين قانعين، ولا يتعرض الا لمكافحة مطامع القلة من الناس الذين في وسعه ان يكبح جماحهم بمختلف السبل، والوسائل»(٩).

وهكذا حقق مكيافللي في كتابه «الأمير» الفصل التام بين السياسة كعلم وبين الأخلاق. فجعل بذلك فن السياسة علما قائما بذاتـه يستند الى الملاحظة والتاريخ. واذا كان روسو قد اعتمد منهج الملاحظة في علم السياسة فان مكيافللي اوجد المنهج الموضوعي المستقل عن الأخلاق استقلالا تاما(١٠). فالـكذب والغش والوحشية وسائل قد تكون نافعة في امـور السياسة على الرغم من انه كان يراها رذائل من حيث المبدأ وان العبرة ليست في الوسيلة التي



كرمويل

توصل الى الغاية. كما ان ضروب الخداع التي يلجأ اليها الأمير في سبيل الاحتفاظ بدولته كلها «غش شريف، وجرائم مجيدة، لهذا اصبحت لفظة المكيافلليه (Le Mechiavelisme) مرادفة لمعنى الغدر والدهاء والسمعة السيئة بل رديفاً لأبليس نفسه. «يعتبر مكيافللي بان ما يحرم، عن حق، على صعيـد الأخـلاق الشخصيـة - كالعنف والباطل والكذب ونـكث العهـود والاتفاقات.. - يصبح، أحياناً، على صعيد الأخلاق السياسية، مسموحاً به، لا بل واجباً لبلوغ الهدف»(١١).

واخيراً فان مكيافللي في كتابه «الأمير» قد جسد افكار عصر جديد يختلف عن العصر الوسيط بمفاهيمه السياسية واخلاقيته المسيحية وذلك باخضاعه جميع المقومات التي كانت تعتبر انسانية (تعاليم دينية - اخـلاق مثاليـة) لمصلحة الحاكم ومصلحة الدولة معتبراً ان بناء الدولة لا يتم الا بدعامتين اثنتين فقط السياسة والجيش دون الاخذ بعـين الاعتبـار البنـاء الاقتصادي او اي عامل آخر.

تعددت مواقف الباحثين من كتاب «الأمير» وافكاره السياسية التي تضمنهـا. فالبابويـة هاجمته ووضعته على قائمة الكتب الممنوعة. كما ان محاكم التفتيش باقرار مجمع ترانت احرقت جميع كتبه. وكتب اسقف كانتربري ديبـول قائلا: «كتاب انشأته يد الشيطان، واذا كان الشيطان يطلق عليه في انكلترا (Old Nick) اي

نيقولا العجوز، أفليس ذلك اشارة الى نيقولا مكيافللي؟...»(١٢)

كما هاجمه البروتستانت ويدت مذبحة سان برتلمي سنة ١٥٧٢ في نظرهم خدمة للكاثوليك قدمها كتاب «الأمير». كما ان شكسبير نفسه تساءل في مسرحيته «زوجات وندسور» على لسان احدى شخصياته قائلا: «ماذا، أأنا مخادع... أأنا مكيافللي؟»».

وهكذا ساهمت مواقف الملوك المستبدين والطغاة في تجسيد ما علق في اذهان الناس من ان كتاب «الأمير» كان انجيلهم في الحكم. اذ سار على نهجه فريدريك الأكبر ملك بروسيا، وأوصى ريشيليو وزير لويس الثالث عشر الذي كان معجباً بمكيافللي، ان يكتب دفاعاً عنه وعن كتابه. كما كان وليم اورانج يضعه تحت وسادته. اما لويس الرابع عشر فقد اتهم انه نشأ على مذهب مكيافللي. واعتبر نابليون انه اقدر امير مكيافللي. ويذكر فكتور هيجو ان نابليون الثالث عندما يغضب كان يقرأ كتاب «الأمير». أما موسوليني فقد كتب سنة ١٩٢٤ معلقاً على كتاب «الأمير» الذي كان موضوع رسالته لنيل الدكتوراه بوصفه له «ملازم رجل الحكم» وان «مذهب مكيافللي تدب فيه الحياة اليوم اكثر مما كانت تدب فيه منذ اربعة قرون»(١٣). اما هتلر فلم يكن في سياسته يقل تمسكاً عن موسوليني في تطبيق سياسة «الأمير» التي وصفها مكيافللي.

اما الذين دافعوا عن مكيافللي او بالاحرى الذين اعطوا تفسيرات مغايرة للتفسيرات التي اعطاها الملوك والحكام المستبدين لكتاب «الأمير» فقد وجدوه كتاباً للديموقراطيين اراد منه مكيافللي ان يكشف للناس عن سياسة المستبدين وأساليبهم في الحكم ليكونوا منها على حذر شديد خاصة ان مكيافللي لم يكن يعرف الخداع والغش بل كان صادقاً اميناً مستقيماً. وان مسلك الطغاة الذين جاؤوا بعد مكيافللي تجاه رعيتهم لا يقل عن مسلك امثالهم قسوة ووحشية وخداعاً قبل مكيافللي بعهد طويل. ولهذا اتخذ مونتين (Montaigne) موقفاً محايداً من كتاب الأمير، بينما اعتبر بيكون ان مكيافللي قد وصف الحكام كما هم وليس كما يجب أن يكونوا. في حين برر هيجل تصرفات الامير التي وصفها مكيافللي لاقامة دولة ايطالية الموحدة. بينما اعجب الموسوعيون بجرأته فاعتبره روسو في «العقد الاجتماعي» رسول الديموقراطيين بقوله «كان مكيافللي يتظاهر بتقديم الدروس للملوك بينما يكون قد القى على الشعوب دروساً عظيمة. ان كتاب «الأمير» لمكيافللي هو كتاب الجمهوريين»(١٤) كما ينسب الى روسو قوله «كان مكيافللي رجلا مستقيماً ومواطناً صالحاً. لكنه لتعلقه بآل مدتشي كان مضطراً في ظروف قهر وطنه الى اخفاء حبه للحرية. فان اختياره لبطله المقوت وحده يظهر بما يكفي قصده الخفي، ولعل مقارنة المبادئ الأساسية في كتابه «الأمير» بمبادئه في مقالاته عن تيت ليف (tite-Live) وتاريخه عن فلورنسا تبرهن على ان هذا السياسي العميق لم يحظ حتى الآن الا بقراء سطحيين او فاسدين. لقد حرمت المحكمة تداول كتابه تحريماً قاطعاً، ولست اعجب من ذلك فان اوضح تصوير لفسادها كان تصويره هو.»(١٥) اما اليعاقبة فقد اعتبروا ان كتاب «الأمير» قد وضع ليكشف للناس عن اساليب الحكام وحيلهم. ونرى غرامسكي ايضا في دعوته ضد المرتزقة يدعو لتأسيس ميليشيا شعبية تشبه الجيش اليعقوبي «لا وجود للأمير الحديث، للأمير الاسطورة. انه لا يمكن ان يكون فرداً بل تنظيماً فقط.. ولقد رأينا امثلة على هذا التنظيم خلال تطور التاريخ انه الحزب السياسي.»(١٦).

واخيراً فان مكيافللي قد استطاع ان يصور الوضع في ايطاليا كما هو في اوائل القرن السادس عشر. وان الوضوح في رؤياه انما هو ناتج عن تحليله الصحيح لهذا الوضع. ولهذا استمرت اعتباراته في اذهان الايطاليين الذين جعلوا ذكرى مولده عام ١٨٦٩ عيداً قومياً تجسدت فيه ايطاليا الموحدة. فاقامت مدينته فلورنسا على ضريحه نصباً تذكارياً كتبت عليه عبارة «لن يكون اي اطراء كافيا لوفاء مثل هذا الاسم العظيم حقه»(١٧).

٢ - بودان BODIN (١٥٣٠ - ١٥٩٦)

حفل القرن السادس عشر بالمنازعات الدينية التي جعلت المجتمع الأوروبي معسكرين متنافرين. وكان اثر الانقسام الذي يحصل ضمن الدولة الواحدة اشد خطورة منه بين دولتين اثنتين. فبينما انسحاب انكلترة من المعسكر الكاثوليكي البابوي يكاد لا يؤثر على

هيبة الملكية الانكليزية اذا ما استثنينا اضطرابات القرن السابع عشر التي حصلت باسم الدين، نجد خطر الانقسام في فرنسا يهز الحكم المطلق الذي تتنازعه الأسر الأرستقراطية تحت ستار الخلاف الديني. وهكذا تعرضت فرنسا في هذه الفترة لحرب اهلية غير متكافئة ادت الى تدبير مذبحة سان برتلمي ١٥٧٢ التي ذهب ضحيتها اكثر من عشرين الف قتيل.

استمد جان بودان افكاره السياسية من هذا الواقع الذي كانت تجتازه فرنسا. ووضع كتابه «الجمهورية» (La Republique) سنة ١٥٧٦ الذي ضمنه جميع ارائه ونظرياته في السياسة والقانون والاقتصاد. وترجع اهمية هذا الكتاب الى اعتماد مؤلفه على اسلوب جديد في التحليل اخذ به هوبز بعد ذلك، وعلى نظريات تعتمد على ملاحظة الواقع والبحث التاريخي

احد قصور اسرة تيودور التي حكمت انكلترا



المقارن الذي اخذ به مونتسكيو في روح الشرائع فيما بعد[١٨].

كان جان بودان يؤمن بالحكم الملكي المطلق على حساب الاقطاعية. وانه لا سبيل الى انقاذ فرنسا من الانقسام الا بتقوية السلطة الملكية. اذ ان الحكومات الديموقراطية بنظره تكون اكثر تعرضا للثورات بينما الحكومات الارستقراطية اكثرها تعرضا للانقسام.

والدولة عند بودان هي حكومة شرعية تضم عدداً من الأسر ومن فوقها سيادة عليا. لذلك فهي تقوم على ثلاث دعائم: الأسرة والحكومة الشرعية والسيادة. فالحكومة الشرعية ضرورية لكل مجتمع اذ لا وجود للدولة بدونها. اما السيادة فهي القلب النابض بل هي سر حياة الدولة. وهي سلطة دائمة ومطلقة وغير مقيدة ولا مجزأة ولا يمكن التصرف بها. فلا تعلو عليها اية سلطة «سلطة اعلان الحرب وعقد معاهدات السلام. وتعيين كبار الموظفين والقيام بدور محكمة اخر درجة. ومنح الاعفاءات، وسك العملة، وفرض الضرائب.»[١٩]. وهكذا فان السيادة بنظر بودان «هي سلطة عمل القوانين بالنسبة للشعب عامة بل وبالنسبة لكل فرد منه على حدة، وذلك من غير حاجة الى ان يحصل الامير على رضا اي غيره. لأن الأمير اذا كان لا يستطيع سن القوانين الا بعد الحصول على موافقة من هو اعلى منه لما عد اميراً، وانما يكون تابعاً من الرعية. واذا اقتضاه الأمر الحصول على موافقة ند او انداد له لعمل القانون لكان له شركاء في السلطة ثم ما كان صاحب سيادة. وكذلك الحال اذا اقتضى الأمر رضا الرعية. ان الأمير لا يعد اميراً ذا سيادة الا اذا كان عمل القانون متوقفاً على ارادته هو يصدره ويلغيه وفق رغبته. فلا يتوقف على موافقة اي اعلى منه او ند له او على رضا اي دونه»[٢٠].

ويعتبر بودان بنظر اكثر المحدثين انه من اكبر فلاسفة علم السياسة وواضع اسس الحكم المطلق. ففي تفكيره افلاطوني وفي منهجه العلمي ارسطوطاليسي. شارك مكيافللي في اعتماده على الواقع والمشاهدة والتاريخ والاستنتاج[٢١]، كما شاركه في وجوب تخطي السلطة للحرية الفردية والعقد الجماعي مع انه ضد الطغيان الذي يتنافى مع قوانين الحرب والطبيعة.

وكما ادان انصار الديموقراطية والحرية مذهب مكيافللي، فانهم هاجموا اراء بودان السياسية المرتكزة على الحكم المطلق. اذ ان ملوك فرنسا بعد القرن السادس عشر وجدوا في تعاليمه ايضاً ما يسند رغبتهم في التسلط والاستبداد. فاقاموا لهم حكومات مطلقة ذات سيادة الهية على غرار المفاهيم التي وضعها.

لوك LOCKE (١٦٣٢ - ١٧٠٤)

حاول ملوك آل ستيورات بعد عودة الملكية الى انكلترا سنة ١٦٦٠ التمسك بسلطتهم المطلقة الا ان البرلمان ما لبث ان اطاح من جديد بجيمس الثاني سنة ١٦٨٨ عندما تحداه باصدار قوانين التسامح الديني التي الغت القوانين الصادرة من قبل ضد الكاثوليك. ونصب البرلمان مكانه على عرش انكلترا ابنته ماري البروتستانتية وزوجها وليم اورانج (ملك هولندا).

وهكذا استطاع البرلمان في انكلترا في عهد ماري ووليم اورانج من اصدار قانون اشترط فيه على الملكين الجديدين عدم اصدار أو الغاء اي قانون الا بموافقته. كما اصدر فيما بعد عدة قوانين اعتبرت تقييداً للملكية كان منها قانون التسامح الديني للمتطرفين من البروتستانت وقانون التسوية الذي حصر حق العرش بالبروتستانت دون الكاثوليك استبعاداً لأسرة جيمس الثاني وقانون الوحدة الذي اصبحت بموجبه انجلترا واسكتلندا مملكة واحدة سنة ١٧٠٧.

كان جون لوك في تفكيره يكره الاستبداد والحكم المطلق. فقد عاش منفياً في هولندا منذ سنة ١٦٨٣ حتى قيام الثورة المجيدة ضد جيمس الثاني. ولما عاد الى انكلترا وضع كتابه «رسالتان في الحكم المدني» سنة ١٦٩٠ استلهم افكاره فيه من الاحداث السياسية التي وقعت في انكلترا خلال القرن السابع عشر. كما وضع بعدها خطابه عن التسامح وابحاثا في التربية والاقتصاد والصحافة والدين.

لقد حاول لوك في رسالتيه عن الحكم المدني ان ينفي الصفة الالهية للملوك في الحكم. كما حاول ان يبرهن ان الشرعية في الحكم لا يمكن ان تتحقق بوجود الحكام والطغاة اذ لا يعقل ان يركن الناس الى حكومة تقوم على الاستبداد.

وهو بذلك يريد تبرير ثورة ١٦٨٨ ضد (شرعية) ملوك ستيوارت. فيذكر في المقدمة انه يرجو «ان يترسخ عرش ملكنا المعاد العظيم، وليم، وان يصبح لقبه صالحا باسناده الى موافقة الشعب»(٢٢).

تقوم فلسفة لوك السياسية على وجوب احترام الدولة للحرية الفردية والعمل على حمايتها وان اجدى الوسائل بنظره للمحافظة على حرية الأفراد هي بفصل السلطات، لأن الجمع بينها يغري بلا شك بالتحكم كما ينزلق الى الاستبداد. ويطالب لوك ايضاً بالحرية الفردية نتيجة لاحتكار الاقطاعيين للسلطة ومحاولاتهم التمسك بها. وهو يقسم الدولة الى سلطتين: تشريعية مهمتها سن القوانين وتعتبر اعلى سلطة في الدولة لا تعلو عليها سوى سلطة الشعب: «لا يمكن ان يوجد في دولة مستقرة ترتكز على دعائم ثابتة وتعمل، بحسب طبيعتها، على حماية الأمة سوى سلطة عليا واحدة، هي السلطة التشريعية التي تخضع لها سائر السلطات كما ينبغي لها ان تخضع. ومع ذلك وبما ان السلطة التشريعية ليست سوى سلطة ائتمانية تعمل لأغراض معينة، فالشعب يحتفظ بسلطة عليا تمكنه من خلع الهيئة التشريعية او تغييرها، كلما تبين له انها تتصرف خلافاً للأمانة التي عهد بها اليها.»(٢٣) اما السلطة الثانية فهي السلطة التنفيذية للمحافظة على تنفيذ القوانين. وهي تتضمن السلطة القضائية ولا تخضع للسلطة التشريعية: «... ولما كانت (القوانين) تفتقر الى التنفيذ باستمرار او السهر عليه، فقد اقتضى ان يكون ثمة سلطة دائمة تسهر على تنفيذ القوانين الموضوعة وتبقى آمرة. من هنا كانت السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية منفصلتين في الكثير من الأحوال»(٢٤). كما ان لوك أوجد سلطة ثالثة في الدولة هي السلطة الاتحادية (Federative) أو الدولية وهي التي تقوم باعلان الحرب وتقرير السلم وابرام المعاهدات وما يتعلق بالشؤون الخارجية للدولة «وهذه السلطة تشتمل اذن على سلطة اعلان الحرب واقرار السلام والانضمام الى الاحلاف وتوقيع المعاهدات وتنظيم سائر العلاقات مع كل الأفراد والجماعات الخارجة عن الدولة، لذلك يمكن دعوتها بالسلطة الاتحادية او الدولية»(٢٥).

ويتميز الفصل بين السلطات عند لوك بمرونة تكفل تحقيق مصالح الأفراد. فالسلطة التشريعية على الرغم من كونها السلطة العليا في نظره انما يجب ان تبقى متضامنة ومتفاهمة مع السلطة التنفيذية التي يمكنها الاعتراض على القوانين التي لا تروق لها.(٢٦).

تعتبر نزعة كل من هوبز ولوك السياسية على طرفي نقيض. فبينما نرى الأفراد عند هوبز يتخلون عن حقوقهم ليعهدوا بها الى فرد واحد يحقق لهم السلام فان لوك يدعو الى فصل السلطات وعدم وضعها بيد حاكم واحد، حتى لا يجنح الى الاستبداد. اذ ان العقد عنده قد ابرم بين الأفراد باجماع كل الآراء لأقامة حياة سياسية ويتعين على الأفراد بعدها ان يخضعوا للأغلبية فلا يمكنهم التحلل منه او الرجوع لحالة الطبيعة. كما ان هؤلاء الأفراد الذين ارتضوا العقد قد تنازلوا عن بعض حقوقهم وليس كلها. ولهذا يبرر لوك الثورة ويعتبرها حقاً مقدساً عندما يفقد الفرد الثقة التي منحها للسلطة القائمة: «اذا تناولت الأحكام الجائرة عامة الشعب او وقع الأذى والظلم على البعض فقط، ولكن بحيث تهدد سوابقها او عواقبها، سائر الشعب، واستقر في روعهم ان قوانينهم وحرياتهم وحياتهم معرضة للخطر وكذلك دينهم ايضاً، فلست ادري كيف يحال بينهم وبين الثورة على القوة الغاشمة التي تستخدم ضدهم؟»(٢٧) اما طغيان الحكام فيبدأ عند لوك حيث تنتهي سلطة القانون وينزل الضرر بالمواطنين «ولما كان يتصرف (الحاكم) من دون تفويض شرعي جاز الخروج عليه ومقاومته، كما يقاوم كل امرئ اخر يسطو على حق الآخرين بالقوة»(٢٨).

والحرية السياسية التي ينشدها لوك لأفراد المجتمع لا تكتمل الا بالتسامح الديني. فالصلة بين الانسان والاله يجب ان تكون باطنية تتم برضى الفرد. وبهذا فقد نزع عن رجل الدين سلطته الروحية على رعاياه كما نزع عن الكنيسة احقيتها بانزال العقاب الذي يحق للدولة ان تنزله بالمذنبين معتبراً الكنيسة مجتمعاً اختيارياً. وهو يري بهذا ارتباطاً وثيقاً بين الاضطهادات الدينية التي تقوم في انحاء اوروبا وبين الاضطراب السياسي الذي يكون اما وليدا أو نتيجة لها.

وثمة شرط اخر عند لوك لاكتمال حرية الفرد السياسية وهو حق الملكية المقدس الذي

يقرنه بالعمل الذي يعتبره اساسا لكل تملك وانتفاع. فبنظره ان الله قد وهب الأرض للكادح لكي يستثمرها، وجعل العمل اساس حقه بامتلاكها. كما انه يشترط مقدار الملكية بحاجة الفرد لها ومدى ما يستطيع ان يقدم من عمل لها «وقد حددت الطبيعة مقدار الملكية تحديداً عادلا اذ جعلته منوطا بمدى عمل الانسان ومطالب حياته»(٢٩).

امتازت نظرية لوك في الحكم بانها تركت اثرا دائما وبالغا على الوعي السياسي في اوروبا الغربية واميركا. ومع كونها لم تتميز بالفضائل الفلسفية التي تمتاز بالوضوح والتناسق والاصالة الا انها على حد تعبير بترز كانت «خيوطا جمعها من مصادر متنوعة، وحاكها حول مجموعة من المطالب السياسية التي كانت تتفاقم في وجه نوازع آل ستيوارت الاوتوقراطية. واكتسبت نظرياته هذه تلك الشهرة الواسعة، لا لعمقها الفلسفي وسعة افقها، بل لكونها عبرت بشكل نظري عن مشاعر الناس في كل مكان بوجوب لجم السلطة المطلقة»(٣٠).

وهكذا كان لوك احد المصادر الاساسية لفلسفة الانوار الفرنسية التي قامت في القرن الثامن عشر ضد المؤسسات الاقطاعية، ولوك باعتماد الفكر عنده على التجربة بل واعتباره الشرط الاساسي في مجال المعرفة يكون قد طعن علم اللاهوت والميتافيزياء القروسطية طعنة كبيرة فمهد امام مونتسكيو لوضع نظريته عن فصل السلطات وتطويرها. كما مهد امام روسو لوضع اسس «العقد الاجتماعي».

■

هوامش البحث

١ – سوبول: تاريخ الثورة الفرنسية ص ٦٧ (ترجمة جورج كوسى. منشورات عويدات. الطبعة الاولى ١٩٧٠)
٢ – مكيافللي: الأمير. مقدمة للكاتب كريستيان غاوس ص ٢٤ (تعريب خيري حماد – المكتب التجاري الطبعة الثالثة ١٩٨٠)
٣ – سباين: تطور الفكر السياسي ص ٤٧٢ (ترجمة راشد البراوي الجزء الثالث – دار المعارف بمصر ١٩٧١)
٤ – مكيافللي: الأمير ص ١٤٨.
٥ – ڤيدرين: مكيافللي ص ٧٩ (ترجمة اميرة الزين – المؤسسة العربية ١٩٧٤).
٦ – مكيافللي: الأمير ص ١٩٧.
٧ – المرجع السابق ص ١٥٠.
٨ – المرجع السابق ص ١٧٩.
٩ – المرجع السابق ص ١٥٢.
١٠ – DUVERGER. M: Introduction a la Politique, P.93 (Gallimard — Paris)
١١ – كرانستون: اعلام الفكر السياسي ص ٤٦ (مقالة لأرنستو لاندي – دار النهار للنشر ١٩٧٠)
١٢ – محمد طه بدوي: اصول علوم السياسة ص ٢٣٥ (المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر ١٩٦٥)
١٣ – مكيافللي: الأمير تعليق موسوليني على كتاب الامير ص ٦.
١٤ – روسو: العقد الاجتماعي ص ١٢٥ (ترجمة ذوقان قرقوط ١٩٧٣ – دار القلم بيروت)
١٥ – المرجع السابق ص ١٢٦.
١٦ – فيدرين: الأمير ص ٩٣.
١٧ – مكيافللي: الأمير ص ٣٢.
١٨ – مكيافللي: الامير ص ٢٥٣ من مقالة لفاروق سعد.
١٩ – سباين: نفس المرجع ص ٥٥٦.
٢٠ – محمد طه بدوي: المرجع نفسه ص ٢٤٦.
٢١ – نور الدين حاطوم: تاريخ عصر النهضة الاوروبية ص ١٣٨ (دار الفكر – ١٩٦٨)
٢٢ – كراستون: المرجع نفسه ص ٥٩ من مقالة لريتشارد بترز.
٢٣ – لوك: مقالتان في الحكم المدني فقرة ١٤٩ (ترجمة ماجد فخري – اللجنة الدولية لترجمة الروائع – بيروت ١٩٥٩)
٢٤ – المرجع السابق فقرة ١٤٤.
٢٥ – المرجع السابق فقرة ١٤٦.
٢٦ – انظر محمد الشنيطي: جون لوك ص ١٨٨ (دار الطلبة العرب – بيروت ١٩٦٩)
٢٧ – لوك: المرجع نفسه فقرة ٢٠٩.
٢٨ – المرجع السابق فقرة ٢٠٢.
٢٩ – المرجع السابق فقرة ٣٥.
٣٠ – كرانستون: المرجع نفسه مقال ريتشارد بترز ص ٥٨.



وثائق سرّية
حول ما أشيع
عن انشقاق جمال باشا عن حكومة "الإتحاديين"

إعداد: د. وجيه كوثراني



بين ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٥ و ١٣ آذار (مارس) ١٩١٦، تبادلت وزارة الخارجية الروسية مع سفرائها في باريس ولندن مراسلات سرية حملت أخباراً عن قيام خلاف بين جمال باشا من جهة وحكومة استامبول من جهة ثانية.

هذه الأخبار التي تلقتها وزارة الخارجية الروسية من الدوائر الأرمنية في استامبول أشارت الى فكرة مشروع انشقاقي لدى جمال باشا يقضي باقامة اتحاد لسلطنة تضم سورية، فلسطين، العراق، عربستان، كيليكية، ارمينية، كردستان وبأن يكون على رأس السلطنة جمال باشا نفسه.. وقد بنت الدبلوماسية الروسية أحلاماً عذبة على هذه الأخبار، فعرضت فكرة القيام بالاتصال بجمال باشا على وزارتي الخارجية الفرنسية والانكليزية. بيد ان فرنسا وبريطانيا كان لهما تحفظاتهما على المشروع: فرنسا بسبب مطامعها المباشرة في سورية، وبريطانيالأنها كانت قد دخلت على حده في مشروع محادثات حسين - مكماهون.... والأرجح ان روسيا التي كانت تأمل بالسيطرة على المضائق كانت تقترح البدء بالاتصال بجمال باشا والدخول معه في مفاوضات مباشرة اعتماداً على أخبار لم تتحقق تماماً من صحتها. ولا تشير الوثائق الى المصادر التي اعتمدتها الدوائر الأرمنية في جمعها لتلك الاخبار وطريقة رصدها وفهمها لطبيعة الخلاف بين جمال ورفاقه في استامبول. والواقع ان المراسلات حول هذا المشروع توقفت، ولا يكفي ان نفسر توقفها بتحفظ فرنسا وبريطانيا او عدم موافقتهما على الاتصال بجمال باشا. فليس ثمة ما يشير حتى الآن انطلاقاً من المصادر الوثائقية العثمانية الى صحة الأخبار التي تناقلتها الدوائر الأرمنية عن جمال باشا أو الى مساعي هذا الأخير لعرض «مشروعه» على الحلفاء.

لقد عثر البلاشفة في سجلات وزارة الخارجية الروسية اثر ثورتهم الكبرى عام ١٩١٧ على وثائق سرية هامة، كان من بينها اتفاقية سايكس - بيكو. وتلك المراسلات التي تتحدث عن اخبار جمال باشا. واستكمالا للصورة، ننشر الى جانب هذه الوثائق تعليقاً لساطع الحصري (وهو من المؤرخين والشخصيات المعاصرة التي رافقت الحركة العربية في بداية نشاتها)، تعليقاً يشك فيه بالرواية الأرمنية ويورد شهادة «لحسين جاهد يالجين» صاحب جريدة طنين التركية، ينفي فيها هذا الأخير ما نسب لجمال، ليستنتج «ان الرواية عارية من الصحة، وكانت وليدة الاوهام والتمنيات».

هل كان جمال باشا ينوي حقاً الثورة على الدولة العثمانية؟
وثائق سرية هامة يذيعها البلاشفة عام ١٩١٧[١]

وزارة الخارجية الروسية.

بطرسبورغ في ٢٦ تشرين الثاني سنة ١٩١٥ شيفرة رقم ٦٣٩

الى سفارتي باريس وروما.

ان الأخبار الواردة الينا من الدوائر الأرمنية في استمبول تفيد أن جمال باشا يرغب في القيام بحركة عداء لحكومة استمبول اذا حققت شروطه التالية:

أولا - ان تتعهد الدول المتحالفة بالاعتراف بسيادة الدولة العثمانية برئاسة السلطان على اتحاد السلطنة المؤلف من دول سورية، فلسطين، العراق، عربستان، كيليكية، ارمينية، كردستان.

ثانياً - ان يتولى السلطنة احمد جمال باشا وان يتولى السلطنة من بعده اولاده واحفاده.

ثالثاً - يتعهد أحمد جمال باشا ان ينادي بان السلطان الحالي وحكومته اسرى بيد الألمان ويعلن الحرب عليهم.

رابعاً - في حال اعلان جمال باشا ثورته هذه وزحفه لمقاتلة الحكومة يتعهد الحلفاء بتقديم السلاح والغذاء والعتاد الحربي اللازم لجيوشه.

خامساً - ان تقدم الدول الى جمال باشا المساعدات المالية اللازمة الى نهاية الحرب.

سادساً - يرضى جمال باشا بترك المضايق واستمبول للحلفاء.

سابعاً - يتعهد جمال باشا بان يترك الطريق حرة لمساعدة الأرمن.

ان اقل ثورة داخلية في تركية تضعف قوات هذه الدولة وتساعدنا كثيراً فبناء على ذلك من الضروري الدخول بمفاوضات مع جمال باشا والأرمن المخلصين لنا فاذا تمكن جمال باشا من طرد الألمان وقلب حكومة استمبول كانت لنا فائدة عظيمة ولهذا نرجو الجواب على برقيتنا سريعا وسراً.

سازانوف

- ٢ -

بخارست في ١١ كانون الاول سنة ١٩١٥، رقم ٧٧٨.

الرجاء حل الشيفرة من قبل المرسل اليه مسيو. ك. ن كولكاونتش مستشار الشعبة الثانية في وزارة الخارجية ببطرسبورغ.

ان الأخبار الواردة تدل على ظهور خلاف بين جمال باشا ورجال الحكومة المركزية فاذا وجد من يساعد جمال باشا على حصر حكم تركية في آسية فقط فمن الممكن استمالة جمال باشا الينا وحمله على العمل ضد حكومة استمبول.

الرجاء افادتي عن وجهة نظر الحكومة في هذا الامر سيما وفي الامكان ان نستفيد من الأرمن الموجودين هنا وفي تركية فائدة كبرى.

السفير. س. أ. بوكولوفسكي

- ٣ -

بطرسبورغ في ١٢ كانون الأول سنة ١٩١٥ رقم ٦١٣٠

بوكولوفسكي سفير روسية في بخارست.

وصلت برقيتكم الشيفرة رقم ٧٧٨ ان كل تفرقة يمكن ايجادها في تركية وعلى الأخص بين اركان الحكومة تجد منا المعاضدة والمساعدة التامتين وفي الامكان تقديم أي وعد بما يقترحه جمال باشا؛ واذا اقتضى الأمر ففي مقدورنا الحصول على وعود من الحلفاء بتحقيق ما يريده والى ان يحين الاوان يجب ان تظل هذه القضية سرية.

الامضاء: كوليكوفتش

---

(١) عن كتاب - الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب، اصدار جريدة «الأيسام» السوريسة، بدون تاريخ، ص ١٧ - ٢٥.

- ٤ -

بخارست في ٢٥ كانون الاول سنة ١٩١٥ رقم ٨١٥

تلقيت برقيتكم رقم ٦١٥٠

يعتقد زخاروف انه اذا جرت المفاوضات مع أحمد جمال باشا بواسطة مندوب الخارجية القيصرية مباشرة فقد تأتي بالفائدة المطلوبة وفي إمكان الأرمن ان يقدموا ما يلزم من مساعدات محلية. ومع هذا فان الأرمن يتعهدون بفتح ابواب المفاوضات التي يتممها مندوبوكم وهم على استعداد ليوفدوا مندوبين من قبلهم الى مصر يتصلان من هناك بجمال باشا ولهذا يطلبون من الخارجية ما يلي.

أولا - ان تعطيهما اوراق مرور الى مصر وعدم ارهاقهما بطلب الكفالة لدخول مصر.

ثانيا - اعطاء التعليمات الى الموظفين على حدود سويسرة لتسهيل مرورهما.

ثالثا - ارسال التعليمات اللازمة الى سفيرنا في لندن وباريس لتسهيل سياحتهما براً وبحراً حين ذهابهما الى مصر.

رابعا - اعطاء التعليمات اللازمة الى الموظفين المحليين في مصر لعدم معارضتهما في الوجهة التي يذهبان اليها.

خامسا - ارسال التبليغات اللازمة الى ممثلنا في مصر لحماية هذين المندوبين والدفاع عنهما بقدر استطاعته ماديا وفعلياً.

سادسا - تسهيل السبل لهما لمخابرة باسيل زخاروف من أي بلد كان وان تظل الطريق حرة امامهما.

ان المهمة الموكلة اليهما هي ايجاد الطرق اللازمة للدخول بمفاوضات مع احمد جمال باشا ومعرفة شروطه ومطالبه ودعوته الى الشروع بالمفاوضات حتى اذا نجحا في الوصول الى هذا الهدف تركا المجال واسعا امام المندوبين الذين ستوفدهما وزارة خارجية صاحب الجلالة القيصرية لوضع الاتفاق النهائي بينهما وبين احمد جمال باشا.

ان الفوز الذي احرزته القوات البلغارية والالمانية في جهاتها وقيام الانكليز باخلاء قسم من شبه جزيرة غاليبولي قد ادخل الشك في نفوس الأرمن بامكان الفوز نهائياً.

ان الارمنيين اللذين سننتدبهما لمفاوضة احمد جمال باشا احدهما روسي التبعة والآخر بريطاني التبعة.

الرجاء ارسال التعليمات سيدي

الامضاء: بوكولوفسكي

- ٥ -

رومه في ٢٨ كانون الاول سنة ١٩١٥ رقم ٨٥٧

تلقيت برقيتكم رقم ٦٣٩١

اذا كان هناك احتمال بالفوز في المساعي التي اشرتم اليها في تقريركم فان السنيور سونينو يراها موافقة جداً. ويرى ضرورة العمل بها لاننا في هذه الحالة ننقذ الموقف بسرعة.

السفير. م. ن. كريس

- ٦ -

باريس في ٢٧ كانون الأول سنة ١٩١٥ رقم ٧٥١

اخذنا برقيتكم رقم ٦٣٩١

ابلغت نسخة من محتوياتها للمسيو بريان فاظهر اهتماماً كبيراً بهذه الأخبار وصرح انه سيعرضها غداً على مجلس الوزراء قبل ان يفوت الوقت وقد قال لي في هذه المناسبة ان هذه الشروط وان كانت موافقة لنا الا انها على كل حال لا تتفق مع مطامع الانكليز الذين قد لا يقبلون بها.

السفير آ. ب. ايزوفولسكي

- ٧ -

باريس في ٢٩ كانون الاول سنة ١٩١٥ رقم ٨٥٤

ذيلا للبرقية رقم ٥٨١

بعد الانقلاب الوزاري الذي حصل في فرنسة اجتمعت بالمسيو بريان وباحثته في امر البرقية فافادني انه مرتاح الى الخطة التي وضعتموها للاجتماع بجمال ومفاوضته.

الا ان هذا المشروع يلاقي معارضة جدية فعلية من قبل الدوائر الفرنسية فالخطة التي وضعتموها وان كانت حسنة في الظاهر الا ان الفرنسيين يرونها محققة لرغبة روسية وحدها

بالاستيلاء على المضايق واستنبول في حين انها تحرمهم من البلاد التي وعدوا بها كفلسطين وسورية وقسم من مقاطعة كيليكية وكما ان الشعب الروسي لا يمكنه ان يحيد قط عن فكرة الاستيلاء على استنبول والمضايق فان الرأي العام الفرنسي ايضا لا يمكنه قط ان يتخلى عن البلاد الموعود بها كسورية وفلسطين وكيليكية وعداها يجب علينا ان لا ننسى ايضاً ان الحكومة البريطانية تفكر في ايجاد حكومة عربية مستقلة وفي نهاية الامر افادني مسيو بريان بصراحة تامة انه يشك في امكان فوز جمال باشا بثورته وهو يحكم قطعة صغيرة من السلطنة العثمانية وانا اعتقد ان الخطة التي وضعتموها انتم لهذه المفاوضات كانت قائمة على تحقيق المصالح الروسية وحدها مع عدم الاضرار بالمصالح الافرنسية او الانكليزية وقد اوضحت هذه الامور الى مسيو بريان وايدت له نيتكم الحسنة واضفت اليها ان رغبتكم الاكيدة لا تقتصر على هذا الهدف وحده بل تعتقدون ان الثورة الداخلية التي قد تقع في تركية تهدم تماما سياسة المانية في الشرق وبذلك يستفيد الحلفاء فائدة كبرى. وقد استصوب بريان الفكرة الاخيرة ووجدها موافقة تماما وقال لي: اذن ما دامت هذه هي الغاية فانا اوافق عليها تمام الموافقة واعلنكم موافقتي على مشروعكم الا انني ارجو ان لا تخل هذه المفاوضات التي ستجرونها بحقوق فرنسة في الشرق.

السفير آ. ب. ايزوفولسكي

— ٨ —

باريس في ٢٩ كانون الاول سنة ١٩١٥ رقم ٨٥٥

ملحقا ببرقيتي رقم ٨٥٤ المرسلة بتاريخ اليوم

خصوصي — لا اكتمكم انني لاحظت من جواب مسيو بريان على اقتراحكم اشياء ان لم يكن من الجائز وصفها بالحدة الا انها في الوقت نفسه تدل على عدم الرضا عن هذا الاقتراح، انكم تعلمون جيداً ان اتفاق الحلفاء على تسليم المضايق واستمبول الى روسية امر غير مرغوب فيه في الأندية الفرنسية البرلمانية والانكليزية. وقد كان هذا الاتفاق سببا في حملة عنيفة اثارها النواب وبعض الوزراء على مسيو دلكاسه.

فالذي علمته ان الوزراء الافرنسيين عارضوا هذا الاتفاق بكل شدة حتى انهم لم يحجموا عن المجاهرة بمعارضتهم هذه والحقيقة هي انه وان كان لم يعارض احد هذا الاتفاق علناً الا ان المؤكد هو ان الاتفاق لم يكن مرغوبا فيه وليس من الجائز في وجه من الوجوه ان نعتمد على مؤازرة الافرنسيين لنا في أمر تنفيذه مؤازرة صادقة.

والمؤكد هو ان الافرنسيين هنا يقدرون بعض اقتراحاتكم وليسوا في حالة يجهلون معها اهمية احداث ثورة في السلطنة العثمانية. كلا بل هم يعتقدون ان هذه الثورة مفيدة جداً لهم في الحرب العالمية، الا انهم لا يرون في الاقتراحات المقدمة لمفاوضة جمال باشا الا تحقيقا لامانيكم في الاستيلاء على استمبول والمضايق دون اقل ضمان للسيادة الافرنسية المقررة على الشرق.

فالذي اعتقده تحقيقا لهذه الفكرة ان يبدل هذا الاتفاق بصورة تحفظ للافرنسيين حقوقهم المقررة على سورية وفلسطين وكيليكية وفي هذه الحالة يمكن استئناف المفاوضات مع جمال باشا.

السفير: ايزوفولسكي

— ٩ —

الى سفير روسية في باريس

بطرسبورغ في ١٧ كانون الثاني سنة ١٩١٦

شيفرة رقم ٦٣٣

جوابا على القضايا المتعلقة ببرقيتي رقم ٦٥١٨ وبرقية سفيرنا في لندن رقم ٩٠٦

اؤيد فكرة السر ادوارد غراي بوجوب قيام الافرنسيين انفسهم بمفاوضة جمال باشا ووسطائه في القاهرة.

لهذا ارجو مفاوضة بريان في هذا الامر وتقديم الضمانات اللازمة له بشأن سورية والعمل بكل قواكم لحمل الافرنسيين على القبول بهذه المفاوضات التي نراها جد ضرورية في

سبيل تحقيق رغائبنا ورغائب الافرنسيين معاً .

وزير الخارجية : سازانوف

- ١٠ -

الى سفير روسية في باريس
الى سفير روسية في لندن
برقية شيفره
بطرسبورغ في ١٩ كانون الثاني سنة ١٩١٦ رقم ٨٤
ذيل برقيتي رقم ٦٥١٨

يقول الوسطاء ان البطء في بدء المفاوضات يحول دون تأمين الفوز المنتظر فاذا كانت الحكومات التي تمثلوننا لديها تعتقد ان مجرد نشوب ثورة داخلية في تركية موافق لمصالح الحلفاء عرفونا فوراً لنرسل الوسطاء الى مصر عن طريق لندن وباريس مع اجراء التسهيلات اللازمة لهم لمقابلة اركان الخارجيتين حين وصولهم اليكم .

وزير الخارجية : سازانوف

- ١١ -

الى وزير الخارجية الروسية في بطرسبورغ
لندن في ٢٧ كانون الثاني سنة ١٩١٦ ، رقم ١٧
شيفرة - نسخة لباريس
تلقيت برقيتكم رقم ٨٥

اجابني نيكولسون ان الحكومة البريطانية بعد فحصها القضية من جديد وتقليبها على سائر وجوهها ترى من الضروري عدم اشتراكها في هذه المفاوضات والتنازل عنها بصورة نهائية لأن المفاوضات التي تدور مع العرب تدور بجو صاف وبصورة ملائمة للعرب والانكليز معاً .

ثم سألته عما اذا كانت الحكومة البريطانية تجد مانعاً في ان تتولى الحكومتان الروسية والافرنسية هذه المفاوضات بصورة افرادية فاجاب ان الحكومة الانكليزية لا تعارض في ذلك قط الا انها لا تؤيدها بوجه من الوجوه .

والذي لاحظته ان الحكومة الانكليزية تعتمد في الدرجة الاولى على العرب وحدهم مستفيدة من شعورهم العدائي للاتراك وجمال باشا الذي اعدم رجالهم .

السفير : بنكندورف

- ١٢ -

الى وزير الخارجية الروسية في بطرسبورغ
باريس في ٢٨ كانون الثاني سنة ١٩١٦
جوابا على برقيتكم رقم ٨٠

وافقت الحكومة الافرنسية على الاقتراح المقدم من قبلكم ولم تجد فيه ما يمس الاتحاد الموجود بين الحلفاء

وقد علمت ان مسيو بريان وحكومته غير راضين تمام الرضى عن المفاوضات السرية التي يقوم بها الانكليز مع العرب لان الانكليز انصرفوا الى خدمة انفسهم دون حلفائهم في هذه القضية .

السفير : ايزوفولسكي

- ١٣ -

باريس في ١٣ مارس سنة ١٩١٦
شيفرة رقم ١٩٦
نسخة الى لندن

وصل منذ مدة الى هنا ظافارياف وعملا باشعاركم السابق سهلت له طرق المخابرات والاجتماع بالمسيو بريان .

ابلغ ظافارياف مسيو بريان المشروع الذي وضعه لاجراء مفاوضات في مصر مع جمال باشا مع بيان باسماء الرجال وطرق مخابراتهم مع الباشا ولئن كان المسيو بريان استقبل ظافارياف استقبالا حسناً واظهر له كل عطف الا انه لم يعده وعداً ثابتاً بل لاحظنا من اجوبته انه يحاول التخلص من وعد قطعي باحثاً عن موقف احمد جمال باشا غير الثابت وعن الدور المولج به ظافارياف ، مع هذا اتمنى له الفوز في مهمته وقد سافر ومعه احد الضباط الافرنسيين لاتمام هذه المفاوضات في مصر .

تعليق ساطع الحصري على : رواية استعداد جمال باشا للعصيان على الدولة(٢)

كانت المحافل (الأرمنية) تؤكد : ان جمال باشا في خلاف مستمر مع الحكومة المركزية ، وانه مستعد للعصيان عليها اذا ساعده الحلفاء مساعدة فعلية . انه يترك للحلفاء المضايق والولايات الاوروبية ، ويحول السلطنة العثمانية

الى حلف يتألف من دول سوريا وفلسطين والعراق وعربستان وكيليكيا وأرمنستان وكردستان، ثم يعلن نفسه سلطاناً على هذا الحلف.

هذه الأخبار التي روتها المحافل الأرمنية في روسيا هل كانت صحيحة؟ هل كان جمال باشا مستعداً - حقيقة - على العصيان، وعلى ترك المضايق مع الولايات الاوروبية الى الدول المتحالفة؟

اني كنت اشك في ذلك شكاً قوياً. صحيح ان جمال باشا كان شديد الطموح. ولكن طموحه هذا كان يستهدف السير في الصف الاول مع العاملين على تقوية السلطنة. فما كان من المعقول ان يقدم على تمزيق السلطنة بالشكل المسرود في الرواية، وان يترك للحلفاء المضايق وما وراء المضايق.

ومع ذلك لم أر لزوماً لبيان رأيي الشخصي في هذا الأمر، واكتفيت بذكر الرواية التي صارت موضوع مخابرات بين الحلفاء، دون ان اقول شيئاً عن صحتها او عدم صحتها.

ولكن، بعد ذلك، عندما رأيت ان اطلع على ما كتبه المحررون والمؤرخون الاتراك عن ايام الحرب العالمية، بحثت عما جاء في المؤلفات التركية عن الرواية المذكورة ايضاً، فعلمت انها لم تعرها اي اهتمام.

وقبل نحو ستة اعوام التقيت - صدفة - في احد مقاهي مدينة جنيف، ب «حسين جاهد يالجين» الذي كان جاء للاستشفاء في «افيان» انه كان صاحب جريدة «طنين» المشهورة، وكان معروفاً بصلاته الوثيقة مع صناديد جمعية الاتحاد والترقي. وتحدثت معه في مختلف الشؤون التاريخية وخلال ذلك سألته ما يعرفه عن تلك الرواية

وقال: اننا كنا اطلعنا عليها في حينها، وضحكنا عليها كثيراً، حتى ان انور باشا نفسه، عندما سمعها ضحك وقال: الجماعة لم يفهموا جمال.

* * *

وبناء على كل ما سبق، استطيع ان اقول الآن ان الرواية المذكورة كانت عارية من الصحة، وكانت وليدة الاوهام والتمنيات.

---

(٢) من يوم ميسلون، ص ٤٤١ - ٤٤٢.



لكي تكون سعيداً
طالع هذه الحكم بترو وامعان

● كثيراً ما يبحث المرء عن سعادته كما يبحث عن نظارته ... حين تكون معلقة على أنفه.

جوستاف دروز

● هذه غايتي من الحياة - أن أعيش هنيئاً بوسائل قليلة، أن أطلب الجمال لا البذخ، أن أكون لطيفاً رقيق الاحساس مع قلة الاختلاط بالناس أن تصان كرامتي لا كبريائي، أن أحوز الراحة لا الثروة، أن أعرف كيف أصغي للنجوم والطيور وللاولاد والشيوخ فافتح للجميع قلبي على الدوام، أن أدرس كثيراً وأفكر بهدوء واعمل بصراحة واتكلم بترو، أن أرقب الأحوال الملائمة لأعمالي فلا اتسرع قط في شيء منها، وبكلمة واحدة أن غايتي من الوجود أن تغمر الاعتبارات الروحانية السامية كل الأمور والشواغل الدنيوية - في ذلك سعادتي واغتباطي.

تشاننج

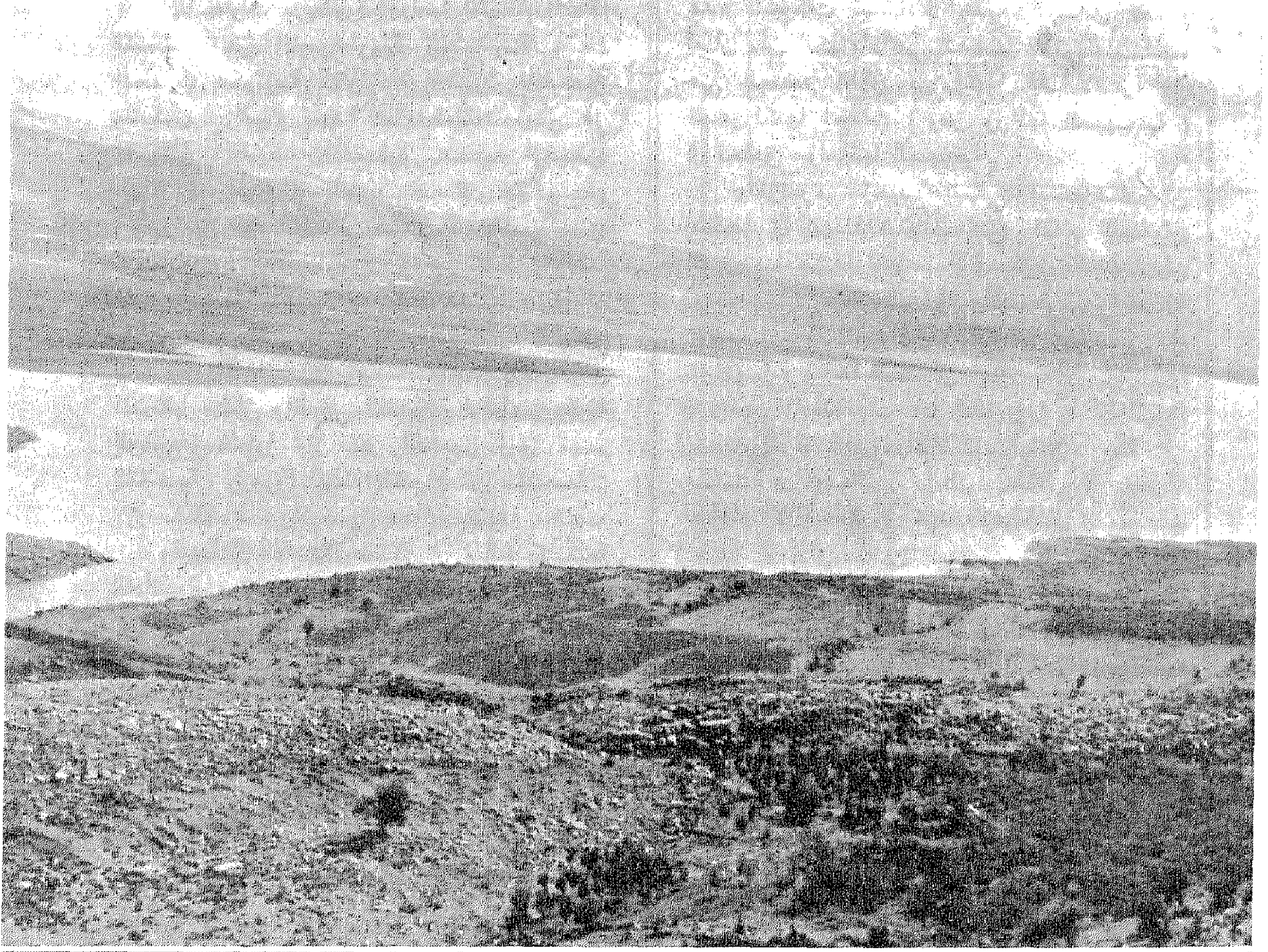
● الرجل الذي لا يرضيه القليل لا يرضيه شيء.

ابيقورس

هذا التحليل للخطر الصهيوني على جنوب لبنان الذي قدمه المرحوم موريس الجميل في صيغة مؤتمر صحفي عقده بتاريخ ١٩٦٠/١٢/٢٩ وبصفته وزيراً للتجهيز والانماء آنذاك، اكتسب مع الأحداث الراهنة أهمية خاصة، لا سيما وأنه صادر عن شخصية ربما كان لبنان بأحوج ما يكون إليها في هذه المرحلة بالذات.

حول مؤامرة الصهيونية على مياه لبنان

موريس الجميل



إن أخطر ما تعرض له وما يتعرض له، لبنان مؤامرة الصهيونية على أرضه ومياهه.

وتاريخ المؤامرة يعود الى ما قبل الحرب الكونية الأولى فان الصهاينة أدركوا منذ البداية أن حياة الدولة التي يصممون منوطة، الى حد بعيد، بالمياه ... بل أن المياه بالنسبة لهذه الدولة ستكون قضية حياة أو موت.

ومن الطبيعي أن تتجه أنظار الصهاينة الى منطقة غنية بالمياه تسد هذا العجز، فكانت تلك المنطقة : لبنان الجنوبي.

الخلاف الانكليزي - الفرنسي على الحدود :

الواقع ما أن نال الصهاينة وعداً من الحلفاء، في أثناء الحرب الكونية الثانية، بانشاء وطن قومي لليهود حتى رسموا مخطط حدود دولتهم المزمع انشاؤها، وجعلوا حدود هذه الدولة نهر الدامور. وهذا الواقع ثابت في وثيقة قاطقة هي إحدى الروزنامات التي كان يوزعها الصهاينة، فان غلافها لم يكن سوى خريطة «اسرائيل المستقبل».

ولما حاولت بريطانيا وفرنسا اقتسام المنطقة المنسلخة عن الامبراطورية العثمانية عقب الحرب الكونية الأولى (عملا باتفاق سايكس - بيكو) بدأ الضغط الصهيوني على الانكليز والفرنسيين لتحقيق مخطط الحدود لدولة «اسرائيل المستقبل».

وتبين الاسانيد أن خلافاً نشب بين الفرنسيين والانكليز حول حدود المنطقة الواقعة تحت السيطرة البريطانية. فقد كان ملحوظاً أن يكون نهر الدامور حدود المنطقة لتصبح الأراضي الجنوبية اللبنانية ومياهها ملكا لاسرائيل المستقبل، لكن واضعي الحدود، لجهلهم حقيقة الوضع، خلطوا بين نهر الدامور وبين نهر القاسمية، ورمزوا لهذا الأخير (أي للقاسمية) لأن مخطط الحدود يصبح معه مستقيماً.

وجهل اللجنة العسكرية الفرنسية - البريطانية المشتركة أتاح في النهاية لألبير نقاش (مدير الأشغال عهدئذ، المكلف بمرافقة اللجنة بصفة خبير وطني) أن ينقذ المياه اللبنانية من مؤامرة الصهيونية التي تدبر لها في الخفاء. فقد استطاع أن يلهي اللجنة العسكرية سياحيا وأن يجعلها تتكل عليه باجراء العمل الشاق المادي فكان أن نقل الحدود المرسومة وراء الكواليس الى رأس الناقورة وبهذا انقذ مصب الليطاني من أن يكون مشتركا بين لبنان وبين القطاع الفلسطيني الذي تحول اليوم الى اسرائيل.

وفوجىء واضعو الخطط وطابخو المؤامرة بالواقع المرير. ولتدارك هذه الفاجعة تحركت الصهيونية العالمية وراحت تسعى لدى السلطات البريطانية والفرنسية لتحوير الحدود اللبنانية الفلسطينية تحت ستار تقويم الحدود أي جعلها خطاً مستقيماً.

وعندما يئست الصهيونية من سعي استمر أكثر من أربعة عشر عاماً، لجأت الى مناورة جديدة هي محاولة الحصول على مياه لبنان الجنوبي دون مس الحدود.

وتفصيل المؤامرة أن شركات صهيونية مستترة راحت تقدم العروض الخلابة الى السلطات الفرنسية - اللبنانية مثل اقامة معامل كهربائية - مائية ضخمة على مياه الجنوب واعطاء حصة كبيرة من الكهرباء، بغير مقابل تقريباً، لحكومة لبنان، لقاء ترك المياه تذهب الى فلسطين بعد توليد الكهرباء. وكانت هذه الشركات تستخدم جميع الوسائل لاقناع لبنان بأن الكهرباء هي العنصر الغني وأن المياه هي العنصر الفقير بل أنها ذاهبة هدراً الى البحر لكنها اخفقت (ومن ورائها الصهيونية) في تحقيق مؤامرتها الجهنمية.

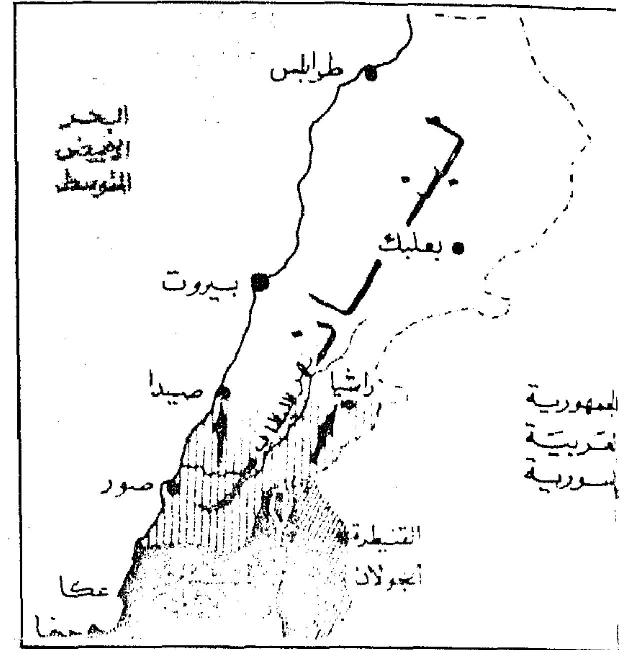
والمؤامرة الوحيدة التي استطاعت أن تنفذها في عهد الانتداب هي اقناع اللبنانيين الذين يملكون أراضي مستنقعية في الجنوب أن أراضيهم لا تساوي شيئاً وأنهم يعملون صفقة عظيمة ببيعها لاوروبيين «مساطيل» يطمعون في شرائها. والحقيقة أن هؤلاء الأوروبيين، بشرائهم المستنقعات قد اشتروا «لاسرائيل المستقبل» خزانات مياه لا تقدر بثمن.

الخطر الاسرائيلي في عهد الاستقلال :

وفي عهد الاستقلال - استقلال لبنان - وبعد انشاء اسرائيل أصبحت مياه لبنان الموضوع الرئيسي الذي يشغل اسرائيل.. وأصبح خطر اسرائيل على لبنان حقيقة واقعة.

ففي العهد الاستقلالي، عهد التحرر من الاجنبي، وبالتالي عهد التحرر من القيود الكثيرة المختلفة التي لعبت الدور الأول في افقارنا وتفسيخنا، كان أمامنا طريق واحد لانقاذ لبنان من مؤامرة الافقار، وتأمين الرفاهية القصوى للشعب اللبناني، وتحقيق انسانية الانسان في لبنان. وهذا الطريق هو استثمار الموارد الهائلة المهملة التي منشأها المياه وبالتالي كان علينا لنفيد من هذه المياه في عهد الاستقلال، أن نقطع الطريق على المؤامرة الصهيونية.

وفي الواقع، خوفاً من تمكن الصهيونية العالمية من التوصل الى الاستيلاء على المياه اللبنانية التي تملكها الدولة وبالتالي يجوز لها



التصرف بها كما تشاء، بل خوفاً من أن ينخدع رجال الدولة ويتصرفوا تصرفاً قد يؤدي بالمياه اللبنانية الى غير المصلحة اللبنانية، انشأنا على هذه الأملاك حقوقاً خاصة (منبثقة من طلب امتياز على هذه المياه) تمنع الدولة من إجراء أي اتفاق أو معاهدة.

كان ذلك عام ١٩٤٦ يوم تقدمت باسم المرحوم البير نقاش بطلب الى السلطات اللبنانية يسمح لنا باستثمار جميع المياه بشكل لا يدع نقطة واحدة تذهب هدراً الى البحر.

وكان أن انشئت اسرائيل. وهنا شعرنا بالخطر الداهم لمعرفتنا التامة بنواياها العدوانية ومطامعها بالمياه اللبنانية. فالصهاينة الذين برروا احتلالهم الأراضي الفلسطينية العربية بأن العرب يهملون هذه الأراضي (وأن اسرائيل بحاجة الى هذه الأراضي وتستطيع استغلالها بالطرق العلمية المثمرة) لن يعدموا وسيلة يطالبون بها باستغلال هذه المياه طالما أن اسرائيل لن تحرمنا منها لأنها تذهب هدراً الى البحر ولا نفيد منها.

وهنا كان علينا أن نتدارك الأمر فنسعى الى استباق اسرائيل والاسراع في استخدام مياهنا استخداماً علمياً تقنياً شاملاً يصون مصلحة البلاد العليا. ولم يكن أمامنا سوى تحقيق التصميم الشامل للمياه اللبنانية - هذا التصميم الذي يعد المياه اللبنانية وحدة لا تتجزأ (وحدة تمكننا من الانتفاع من المواهب الطبيعية الموجودة في لبنان انتفاعاً شاملاً ينسجم مع التخزين الأفضل، على أعلى ارتفاع ممكن).

ومن الدراسة الجيولوجية اتضح لنا أن جنوبي لبنان، بنوع خاص، يضم الأراضي التي تسمح بتخزين كمية كبيرة من المياه، فضلاً عن الصفة الخاصة المتميزة بها هذه الأراضي أي وجودها على ارتفاع موافق وتكونها من مرتفعات متدرجة العلو.

فحسب التصميم الشامل، تخزن في الجنوب مياه الليطاني - الحاصباني - الباروك - الصفا، في فصل الشتاء الى أقصى حدود التخزين الممكنة وفقاً للدروس الجيولوجية.

وهذه المياه بالذات، التي تشكل ثروة لبنان الكبرى، هي التي تطمع بها اسرائيل. وكان أن وقع ما تخوفنا منه. فبدلا من أن تحقق الدولة مشروع التصميم الشامل للمياه اللبنانية لانقاذ لبنان من مؤامرة الافقار، وانقاذ المياه اللبنانية من مؤامرة اسرائيل، اهملت المشروع، وتركت النقطة الرابعة تطلع علينا بمشروع الليطاني، وهو مشروع ظاهره الخير للبنان وحقيقته دمار لبنان وخدمة مصالح العدو.

وفي الواقع كان هذا المشروع سيقضي على التصميم الشامل للمياه اللبنانية (وبالتالي سيسهم في عملية افقار لبنان المزمنة) وكان سيترك قسماً كبيراً من المياه الجنوبية دون استثمار، الأمر الذي يفسح المجال أمام العدو لوضع يده على هذا الفائض من المياه فالمشروع في حقيقته، كان يستهدف توليد الطاقة الكهربائية من مياه الليطاني، مستبعداً قضية استخدام هذه المياه في أعمال الري، وبالتالي فهو يفيد أحد المشاريع الصهيونية.

وكان أن حذرنا الدولة من الوقوع في الفخ الذي نصبته الصهيونية، وشددنا على وجوب تحقيق مشروع التصميم الشامل للمياه اللبنانية. وقبل الانقلاب الأبيض عام ١٩٥٢ اضطرت الدولة أن تنظر الى المشروع نظرة جدية، وكادت الموافقة الرسمية على هذا المشروع أن تعطي لكن الانقلاب حال دون تحقيق هذه الأمنية الكبيرة[١]

وعند قيام العهد، الذي عقب عهد الشيخ بشارة الخوري، جددنا المسعى وكانت النتيجة أننا حصلنا على موافقته المبدئية، لكن العهد

الجديد سرعان ما عاد عن موافقته ورفض تنفيذ المشروع، بتأثير من الهيئات الأجنبية ورجال السياسة التقليديين الذين التقت جهودهم بجهود المؤسسات الصهيونية.

فبدلا من تنفيذ هذا المشروع الكبير ظهر مشروع الليطاني بشكله الجزئي (مشروع النقطة الرابعة نفسه، مع تعديل طفيف). وهنا كان لا بد من تحذير السلطة، مرة ثانية، وانذارها بأن انجاز هذا المشروع، بمعزل عن نهر الحاصباني بنوع خاص، وعن التصميم الشامل بنوع عام، سيفقدنا كل حق أمام السلطات الدولية والمحاكم العالمية، لأن القانون الدولي يلحظ أن المياه التي لا تستثمر في بلد ما، وتذهب هدرا، يحق للبلدان المجاورة استخدامها، ولا يحق للبلد الذي تنبع منه هذه المياه أن يمنعها من ذلك، وفقا لقاعدة «اساءة استعمال الحقوق». لكن هذا الانذار ذهب في الريح.

وتوضيح قضية مياه الحاصباني ضرورية لتبيان هول المؤامرة التي دبرت على مياهنا عندما أثير موضوع تحويل الحاصباني تحت ستار الرد على محاولة اسرائيل تحوير مجرى الأردن

فالحقيقة أن الحاصباني، بحد ذاته، ليس سوى نبع بسيط في وادي حاصبيا، يكاد لا يكفي لارواء جزء من الأراضي الكائنة على ضفته، وتكاد مياهه الرئيسية لا تصل الى الحدود اللبنانية الفلسطينية، وبالتالي عندما يصرح الصهاينة ومن يؤيدهم: «أن تحويل الحاصباني الى الليطاني يشكل خرقا لحقوق مكتسبة في فلسطين» فانهم يفترون ويدجلون.

الحقيقة، مرة اخرى، هي أن مياه الحاصباني، كنهر، لم تصل في يوم من الأيام الى الحدود الفلسطينية. وكل ما في الأمر أن مياها غزيرة ناتجة عن سقوط الأمطار تتجمع في الأحواض المجاورة للحاصباني (أحواض بعيدة جدا عن الحدود) ثم تصب فيه وتسير، لتغذي بعض مستنقعات الحولة، في فصل الشتاء.

وضجة الصهيونية حول الحاصباني تعود الى أن إسرائيل التي كانت تعتقد أن الجيوب المائية الجوفية الفلسطينية تغذى بكميات كافية من المياه المتسربة جوفيا من لبنان (وبالتالي بنت برنامجها الزراعي للبيارات، وجهزت هذه البيارات بالآبار الارتوازية) ظهر لها بعد ئذ أن اعتقادها كان خاطئا، والسبب أن ما يستخرج من هذه الآبار لتموين البيارات يفوق الكميات التي تأتي الى هذه الجيوب من لبنان، وبالتالي فان هذه الجيوب الجوفية مقضى عليها بالنضوب.

من هنا لم يبق أمام اسرائيل، لانقاذ نفسها من الخراب المحقق، الا أن تعمد الى وضع مشاريع مختلفة لنسف مشروع التصميم الشامل للمياه اللبنانية، أملا بوضع يدها يوما على مياهنا الجنوبية.

ولا بد في هذا المجال من الاشارة الى واقع هو أن وصول من ينادون بالتصميم الشامل للمياه اللبنانية الى الحكم جعل اسرائيل تضيع رأسها وتجد نفسها أمام خطر الحرمان من مياه سيولنا التي اتخذت مجرى الحاصباني منفذا لها.

وهنا، للمرة الثالثة، نشدد على أن المياه الاساسية التي تكون الحاصباني في فصل الشتاء تأتي من جبل حرمون بشكل سيول جارفة. وهذه المياه بالذات هي التي تصل الى فلسطين عن طريق جريانها في مجرى الحاصباني. وقد سجلت احدى محطات القياس في اسرائيل مرور ٣٧ مليون متر مكعب من هذه المياه في فترة ثلاثة أيام فقط.

والتصميم الشامل للمياه اللبنانية يوقف جريان هذه السيول في مجرى الحاصباني، في المنطقة الجنوبية، أثناء فترة السيول، وهذا الأمر لا يعرض الحكومة اللبنانية للمقاضاة أمام المحاكم الدولية، لأن هذه السيول تسبب أضرارا في الأراضي اللبنانية والفلسطينية على السواء.

وللقضاء على هذا المشروع الحيوي لجأت اسرائيل الى مؤامرة جديدة يظهر معها مشروع التصميم الشامل للمياه اللبنانية (مشروع ميزنا فيه بين جميع المياه التي تستخدم مجرى الحاصباني لعدم مس القانون الدولي) كمشروع يقع تحت طائلة القانون.

وفي الواقع أن من طرح قضية تحويل الحاصباني بالشكل الذي طرح به (أي تحويل مياهه في أقصى نقطة من الجنوب) لم يكن يخدم سوى اسرائيل.

فالتحويل كما اقترح يسيء أولا الى التصميم الشامل للمياه اللبنانية الذي ينص على وصل مياه الحاصباني الاعلى - لا الجنوبي -

باالليطاني ، وبالتالي الافادة من سيول حرمون هذه السيول التي تخرب الأرض ولا تفيـد ، وتغذي اسرائيل في النهاية عن طريق سيرها في مجرى الحاصباني . ومعنى هذا أن من طرح قضية التحويل كما طرحت ، تحت ستار الرد على محاولة اسرائيل تحوير مجرى الأردن ، كان يسهم في عملية ، أو مؤامرة افقار لبنان .

والتحوير كما اقترح يظهر لبنان ثانيـا بصورة الخارج على القانون ، أي بالمعتدي على حقوق مكتسبة مزعومة لاسرائيل .

هذه ، في سطور تفاصيل مؤامرة اسرائيل على لبنان في عهد الاستقلال . فاسرائيل تريد القضاء على مشروع التصميم الشامل للمياه اللبنانية لتنفيذ مؤامرة الافقار المزمنة .. وتريد وضع يدها على مياهنا الجنوبية لتنقذ نفسها من الموت .

ومن الوثائق التي تبين أن الصهيونية ما زالت تطمع بأرضنا ومياهنا : هدية اسرائيل الى « المكتب الدولي للعمل في جينيف . فان اسرائيل ، بعد أن ظهرت الى الوجود قدمت الى هذه المؤسسة الدولية « الشمعدان الاسرائيلي » وعلى قاعدته خريطة اسرائيل بحدودها « المتوخاة » أي نهر الدامور

بل أخطر وثيقة صهيونية تكشف نوايـا اسرائيل وطمعها بأرضنا الجنوبيـة ومياهنـا خطاب بن غوريون ، رئيس وزراء اسرائيل أمام المؤتمر الصهيوني الخامس والعشرين المنعقد في القدس بتاريخ ٢٨ كانون الأول ١٩٦٠ – وفيه أن الحدود الاسرائيلية – اللبنانية هي المنطقة التي اختارتها اسرائيل لتوطـين « المعمريـن » الجدد من يهود العالم ، وإن هذه الحدود هي نقطة الضعف الكبرى السياسية والعسكرية في اسرائيل .

وهذا كلام واضح ، يعني ما يعني ، أن اسرائيل ستلجأ الى القوة لتنفيـذ مخططهـا السياسي الذي يهدف الى وضع يدها على أرضنا الجنوبية ومياهها .

وهكذا يكون عدم تحقيق مشروع التصميم الشامل للمياه اللبنانية ، بعد سبعة عشر عاما من الاستقلال ، جريمة في حق الاستقلال . هذا لعدم القول أنه يخدم مشاريع الصهيونية مؤامرة اسرائيل .

---

(١) راجع تقرير المرحوم ابراهيم عبد العال ، رئيس اللجنة الفنية المنبثقة عن اللجنة الحكومية المكلفة بدراسة التصميم الشامل للمياه اللبنانيـة بتاريخ ١٥ ايلول عام ١٩٥٢ فان عبد العال الذي تفهم خفايا الامور وارتفع من مهمته المائيـة الى المستوى السياسي العالي قال : لا ينقذ لبنـان الا التصميم الشامل للمياه اللبنانية .

كلمات شابة

◆ يميل الأمريكيون إلى التعلق بالأرقام كثيراً . وإني لأذكر هذه القصة المحزنة للرجل الذي غرق في نهر عمقه لا يزيد « في المتوسط » على قدمين .

(هنري تايلور)

◆ يحتاج الأطفال إلى نماذج للعمل أكثر من حاجتهم إلى ال العقل ....

(جوزيف جوبرت)

◆ هناك دائماً حل لكل مشكلة انسانية .. حل منمق ، مرض وإن كان خاطئاً .

◆ من يخرج من دعائه وقد ازداد صلاحا ، فقد أجيبت دعواته .

(جورج ميريديث)

◆ انني أمقت النفاق الذي يبذل دون عناية .. ذلك اللون من المديح الذي تضيق به وأنت تحاول تصديقه .

(ويلسون ميتزنز)



لم يكن لبنـــان بحدوده الحاليـــة يشـــكل مجتمعاً سياسياً واحـــداً خلال العصر العثماني، بل كان يتميز ببعض الخصائص السائدة فيه. وهذه الخصائص تعود الى زمن ابعد من القرن السابع عشر. فقد عاش سكان لبنان منذ قرون في اقاليم جغرافية منفصلة، دون ان تقيـم علاقات فيما بينها الا في حالات الخصـام. وكانت هذه الأقاليم تتوزع ضمن ثلاث ولايات عثمانية وهي: طرابلس وصيدا ودمشق ويحكم كلا منها وال عثماني يساعده عدد من الموظفين والجند.

وقد سلخت ولاية صيدا في الأصل عن ولاية دمشق بموجب فرمان صادر في ٢٨ محرم عام ١٠٢٣هـ/ (١٠ آذار - مارس عام ١٦١٤م). وهي تضم سناجق صيدا وبيروت وصفد، وعين بيلربك[1] ليحكم هذه الولايـة الجديدة.

ويبدو على الأرجح ان السلطات العثمانية قد اتخذت هذا التدبير، لتتمكن من مراقبة الدروز عن كثب، بعد هزيمة الامير فخر الدين المعني عام ١٦١٣ وفراره الى توسكانة. وفي عام ١٦١٥ احال والي دمشق حكم سناجق بيروت وصيدا وصفد الى الأمير يونس معن مقابل مبلغ من المال، ثم فوض الأخير مقاليد الولاية لابن أخيه الامير علي.

وبعد عودة الامير فخر الدين من منفاه عام ١٦١٨، وتبوئه السلطة بعد ذلك بوقت قصير، منحه والي دمشق على الأغلب حكم سنجـق صفد. ونظراً الى ان باشا دمشق لا صيدا هو الذي اعاد الأمراء المعنيـين الى حكم هذه السناجق، فان هذا الامر يجعلنا نظن ان ولاية صيدا قد الغيت، بعد سنة من تاريخ انشائها، وان سناجقها قد ضمت الى ولاية دمشق، ذلك ان انقياد امراء آل معن للسلطنة العثمانية بعد فرار فخر الدين المعني، ادى الى جعل استمرار ولاية صيدا غير ضروري.

ثم ان ولاة دمشق وجدوا في الأغلب في

استمرار الولاية الجديدة، ما يحد من نفوذهم ومن مداخيلهم. ولذلك ضغطوا من اجل اعادتها الى حكمهم.

ولاية من جديد:

وفي عام ١٦٦٠ اعاد الباب العالي محمد باشا قبورللي انشاء ولاية صيدا، وجعل عليها حاكماً علي آغا الدفتردار[٢]. ومنذ ذلك الحين لم يعد آل معن يشكلون اي خطر حربي على السلطات العثمانية، وعلى الأخص بعد انتشار الحزبية بين الدروز وتقسيمها لصفوفهم.

وربما كان تشكيل ولاية صيدا بمثابة صمام امان بالنسبة للسلطات العثمانية. والارجح ان هناك وقائع اخرى قد ادت الى هذه النتيجة، منها:

١ - مكافأة علي باشا الدفتردار الذي قاد جنود القابقول[٣] من استامبول، وقضى على مؤامرة السرعسكر حسن باشا والي حلب وانكشارية دمشق.

٢ - الحد من سلطة ولاة الشام خوفا من اتساع نفوذهم.

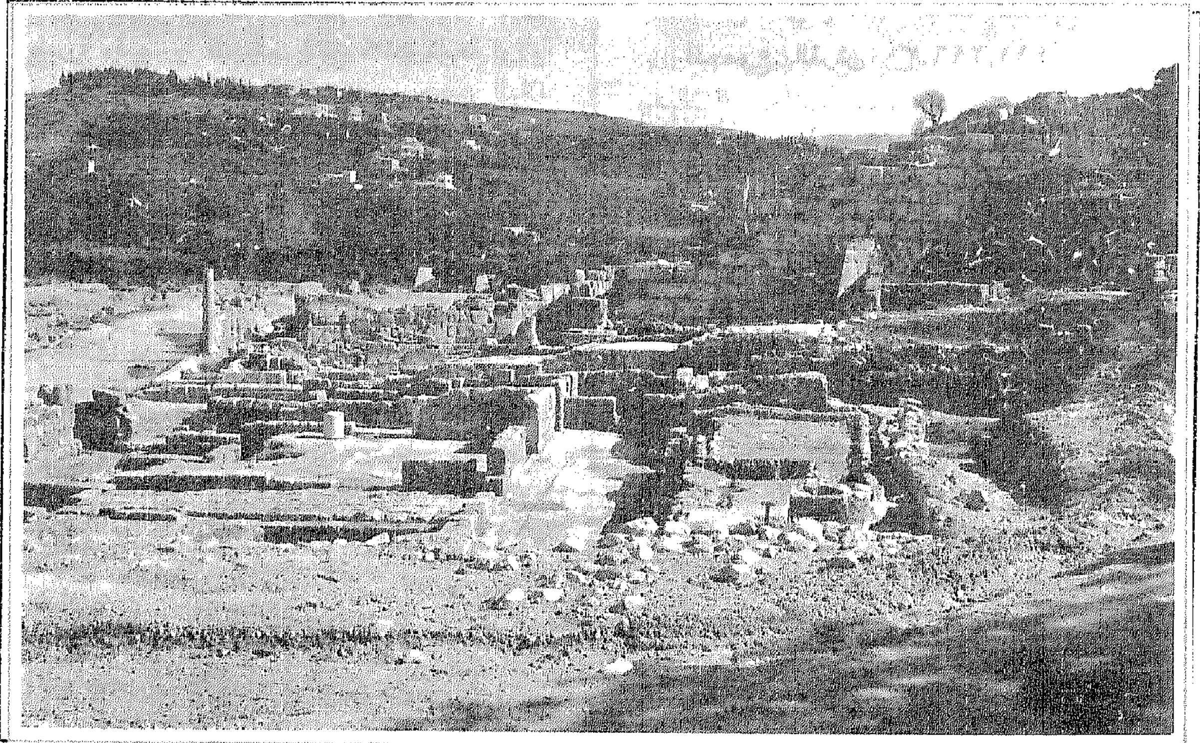
٣ - تطور احداث دمشق اقتضى زيادة اهتمام الولاة بشؤونها الداخلية وتقليص مطامعهم عن طريق تحديد مداخيلهم.

٤ - حرص الدولة على مراقبة امراء جبل الدروز عن كثب بعد ثورة فخر الدين.

وتقع ولاية صيدا الى الجنوب من ولاية طرابلس، وعلى طول الساحل ذاته ومركزها مدينة صيدا وكانت تمتد من نهر الكلب حتى جبل الكرمل، وتضم جانباً كبيراً من مدن بلاد الشام البحرية بيروت وصيدا وصور وعكا وحيفا، الى جانب المقاطعات الخاضعة لأمير جبل الدروز، ومقاطعات جبل عامل وبلاد صفد والجليل وقيصرية في الوسط.

وجرت العادة على ان يعهد بولاية صيدا الى باشا بذيلين واحياناً بثلاثة اذيال[٤]، وكان يمارس سلطته المباشرة على مدن الساحل وضواحيها، عن طريق اقامة متسلمين عليها من قبله. في حين كانت سلطته اسمية في مقاطعات البلاد الداخلية ولا سيما العالية منها، التي عهد بادارتها الى اقطاعيين أقوياء، لا يدفعون له الضريبة المتوجبة الا حين يرغب، وبالطريقة التي تناسبه، وهؤلاء الاقطاعيون هم الدروز والمتاولة.

قلعة اشمون (قرب نهر الاولي - صيدا)



بنية اقطاعية:

وكان على كل مقاطعة امير او شيخ اقطاعي من عائلة ارستقراطية، ذو سطوة ونفوذ على سكان مقاطعته الذين يقفون الى جانبه، عند حاجته اليهم ولا يخالفونه بشيء. ويتبع هؤلاء المقاطعجية الامير الحاكم الذي التزم هذه المقاطعات على سبيل المالكانة من الباشا. ولا يسمح المقاطعجية للباشا بالتدخل في شؤونهم الداخلية والا تمردوا عليه، في حصونهم وجبالهم التي كانوا يعيشون فيها بحرية في ظل قوانين اقطاعية. وكان مقاطعجية بلاد الشوف وملحقاتها يرجعون بأمورهم الى الأمير الحاكم من آل معن ثم من آل شهاب بعد ذلك، وهم اعوانه من دروز ونصارى، ومقاطعجية جبل عامل الى شيخ مشايخ المتاولة، ومقاطعجية بلاد صفد والجليل الى ملتزم تلك البلاد.

ومنذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر اخذت تتضاءل سلطة الوالي على حدود ولايته، بقدر ما كانت تنمو وتتسع سلطة الشيخ ظاهر العمر الزيداني واعوانه مشايخ جبل عامل، وتمكنوا من جعل سلطة الوالي لا تتجاوز حدود مدينة صيدا، ثم لم يلبث ان طردوه منها في النهاية وبعد القضاء على الشيخ الزيداني تمكنت الولاية من استعادة حدودها السابقة، واسناد حكمها الى أحمد باشا الجزار الذي نقل مركز ادارته منها الى عكا، وضم اليها بلاد صفد وطبرية وقيصرية فلسطين التي كانت تابعة لولاية دمشق. وصارت هذه الولاية تضم جميع البلاد الواقعة ما بين نهر الكلب وقيصرية فلسطين جنوباً والبحر المتوسط غرباً والجانب الاعلى من نهر الأردن شرقاً، وتعد هذه الولاية سوقاً لدمشق وسائر سوريا بفضل موقعها على الساحل وكثرة خلجانها.

وترجمتها بالأرقام:

والوالي حاكم مطلق السلطة يلتزم البلاد لمدة سنة واحدة، يمكن تجديدها، بعد ذلك مقابل سبعمائة وخمسين كيساً يقدمها سنويا للباب العالي، وكانت الولاية تدر على الباشا مداخيل وفيرة وذلك مقابل:

١ – مال التزام جبل الدروز وجبل عامل وبلاد صفد من الامراء والمشايخ الملتزمين. وهذا بيان تفصيلي بها:

أ – عن بلاد الدروز

جبل الدروز ٦٦٩٢٧,٣٠

مدينة بيروت ٥٨٧٨٦,٢٠

ب – عن البلاد الخاضعة لسلطة الشيخ ظاهر العمر:

عن بلاد صفد ومدينة عكا ٨٥٣٢٢,٣٠

عن ارياف عكا ٢٦١٨٤,٢٠

من سكان جبال عكا ٢١٦٠٨,٢٠

من سكان الناصرة ٤١٧٩,٢٠

جـ – عن بلاد المتاولة (جبل عامل)

من الشيخ ناصيف النصار المقيم في قلعة تبنين في بلاد بشارة ٨١٨٥٨

من الشيخ قبلان المقيم في قلعة هونين من بلاد بشارة ١٨١٥٨

من الشيخ احمد عباس المقيم في صور وقلعة مارون ١٨١٥٨

من الشيخ عباس علي المقيم في قلعة ميس من اقليم شومر ٩٧٧٠

من الشيخ علي فارس المقيم في قلعة شقيف من اقليم شومر ١١٧٤٧

الشيخ حسن منصور المقيم في قلعة جباع ٧١٩٦

الشيخ حمزة منصور المقيم في اقليم التفاح ٧١٩٦

د – عن مدينة صيدا:

التزام مدينة صيدا ٥٠٠٠٠

الخلع التي يمنحها الباشا للمشايخ ٧٠٠٠

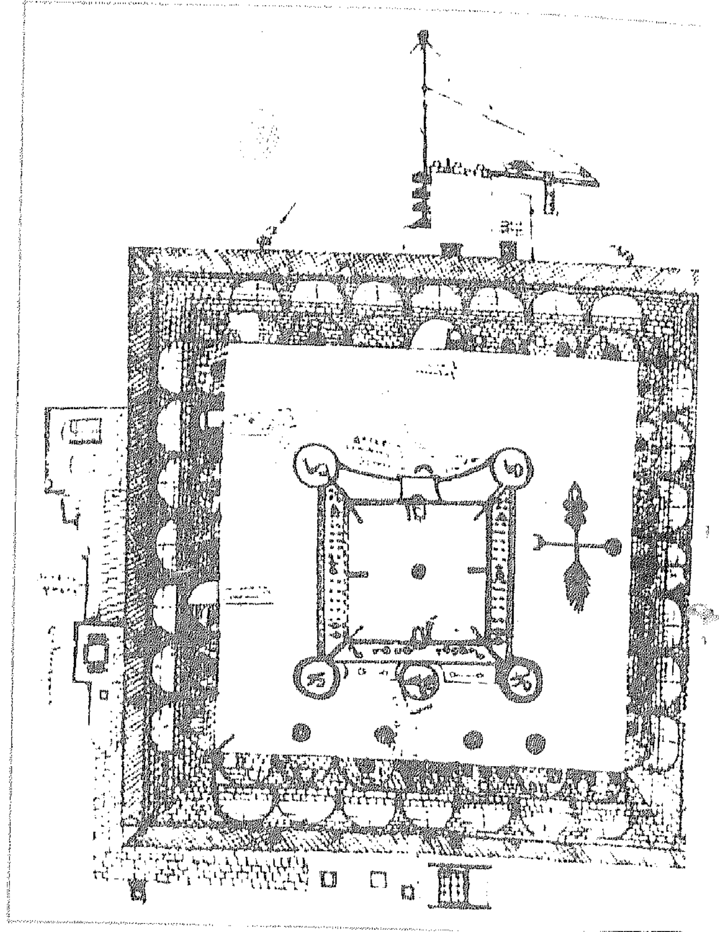
المجموع بالقرش ٤١١,٣٩٦,٣٠

النفقات:

ويتوجب على والي صيدا تمويل قافلة الحج الشامي، بما تحتاج اليه من ارز وشعير وقمح، اي ما يقارب سبعين الف قرش، وان يدفع رواتب جند الولاية، ومبلغا مقداره ٢٦٢١٦,٢٠ قرشا للسلطات و٢٦١٩٤ قرشا للباب العالي و٥٨٤٣ قرشا لدفتردار الامبراطورية في استانبول.

نقل الولاية الى عكا:

وقد تميزت ولاية صيدا عن بقية الولايات العثمانية، بأنه لم يكن فيها جند محلي من أهل البلاد، وذلك لسبب عدم اهميتها وقلة ثقة الوالي بالسكان. وكان عسكر الولاية مؤلفا من خيالة ارناؤوط واكراد وتركمان من اهل العراق، وخمسمائة مشاة من المغاربة من اهل تونس



الخان الفرنسي في القرن السابع عشر.

والجزائر وطرابلس والسودان ومصر. واعتاد الباشا تخفيض عدد الجند ليخفف التكاليف التي يتطلبها وجودهم، ولكن حين تولى الجزار مقاليد هذه الولاية، رفع عدد الجند الى تسعة آلاف فارس الى جانب الألف المغربي الذين كانوا معه. كما نقل الولاية الى عكا لاسباب سياسية وامنية، وضحى بمركز مزدهر وهواء نقي واصبحت المدينة مهجورة، وفقدت ازدهارها السابق ونشاطها الاقتصادي. وانتقلت القنصلية الفرنسية الى العاصمة الجديدة، للولاية. ولم يعد يوجد في المدينة سوى نائب قنصل.

وكانت مدينة صيدا تمتد على مساحة من الأرض طولها ستمائة قدم وعرضها مائة وخمسون، ويحيط بها من البر سور ضعيف دون ابراج او أية تحصينات يفصلها عن الجوار الغني بمختلف انواع الأشجار المثمرة التي تسقى من الجبال المجاورة، في حين كانت تخلو من الاسوار من ناحية البحر. وكان الماء يصل الى المدينة بقنوات مكشوفة من نهر الاولي. وكانت تضم ثلاثة ابواب وهي: باب المدينة في الشرق (المدينة المنورة) والثاني يسمى باب القبب والثالث يدعى باب القيامة.

وكانت تضم مجموعة من الأبنية السيئة البناء، ومتاجر بلا ذوق ولا ثراء، وطرقات متعرجة، وكان ابرز معالم المدينة سراي الباشا والخان الفرنسي والبازار والقلعتان.

وكان الخان الفرنسي مركز تجمع الفرنسيين، وكان مكونا من عشرة منازل ويحرسه حاجبان وانكشاريان، معينان من قبل الباب العالي لمنع التعديات التي قد تحصل من اهالي البلاد على التجار وممتلكاتهم، كان يتكون ايضاً من طابقين يضم الأسفل مخازن التجار، في حين كان يضم الطابق العلوي غرف التجار والوكالات.

اما القلعتان فكانتا مخصصتين للدفاع، واحداهما بحرية كانت تخيف الدروز والاعراب وتقع في الجانب الشمالي الغربي من المدينة، وتبعد عن البر ثمانين قدما وتتصل به بأقواس، والى جانبها الغربي صخرة بارزة فوق الماء طولها مائتا قدم. وترسو السفن في المسافة التي تقع بين الصخرة والقلعة وهذا هو المرفأ، لكنه لم يكن صالحاً لحماية السفن من الرياح اذا هبت العواصف او ثارت. وكانت ترسو فيه السفن في الفترة الواقعة بين عيد الفصح وعيد جميع القديسين فتشحن عليها البضائع الى مرسيليا. في حين كانت ترسو في الفترة الواقعة بين عيد جميع القديسين وعيد الفصح في مرفأ صور حيث تجد الأمان في فصل الشتاء. ولو ازيل الردم الذي احدثه الامير فخر الدين في الحوض الواقع على الشاطئ الموازي للمدينة، لاستوعب ميناؤها خمسة وعشرين مركباً.

تجارة الفرنسيين:

أما القلعة البرية سانت لويس، فكانت مخربة، ومنصوب على برجها المتهدم جزئياً بعض المدافع القديمة التي لا قواعد لها. وكان لا يعرف احد هناك طريقة استعمالها.

وكان البازار بمثابة السوق. ويفتح يومي الاثنين والثلاثاء، وتحضر اليه النسوة من المدينة والقرى المجاورة وتحمل كل منهن رطلا او رطلين من خيوط القطن الرطبة التي تحوي



اشمون
ملك صيدا –
متحف اللوفر
– باريس

بعض السقط ، وبعد ثلاث ساعات او اربع يقفل السوق. ويشتري التجار الفرنسيون القطن الذي بيع في البازار، ولا يجرؤ بقية التجار الاوروبيون على منافستهم نظراً لعدم وجـود اموال نقدية معهم.

ولم يكن لخيوط القطن سعر ثابت. بل كان يرتفع ويهبط حسب الحاجة والطلب عليه في مرسيليا التي كان يصدر اليها ثلثا انتاج البلاد، في حين كان يصنع الثلث الباقي في مصانع النسيج القطنية المحلية، الى انسجة اشتهـر اهالي صيدا بصناعته وكان يطلق عليها اسم «دمياطي».

كما كان هؤلاء التجار يشترون الحريـر الأبيض الذي يسمى «صيداني» في اوقـات الانتاج الوفير، بسعر يتراوح بين ١٠ و١١ قرشا للرطل الواحد، ونظراً لأنه كان من الصنف الخشن، فلم يكن يأتي بأسعار عالية.

وكان التجار الفرنسيون في صيدا يشترون الحرير من فلاحي القرى في وقت الجني، وذلك عن طريق الانتقال الى مناطق الانتاج في الجبل، بسبب خشية فلاحي البلاد الحضور الى المدينة خوفاً من ان يسيء الأتراك معاملتهم. وقد اشاع فيهم الفرنسيون هذه العادة مع الوقت، فكان هؤلاء يعهدون الى حوذيين بنقلهم على ظهور البغال، ومعهم الدراهـم اللازمـة يتجولـون في القـرى دون سلاح او حرس، ويدفعون الى الفلاحـين افضـل الاسعـار ثم يأتون بالاحمال الى مدينة صيدا فتوضع في المخازن

الخاصة بهم. وبذلك كانوا يتخلصون من دفع الضرائب عند الشراء، وقد تنبهت السلطات العثمانية الى ذلك، وامرت الباشا والقاضي بتحصيل ذلك الرسم.

وكانت مدينة صيدا بمثابة مستودع لبضائع الساحل التي يؤتي بها اليها، فتجتمع فيها ثم تحزم في بالات وتحمل على المراكب الراسية لتنقل الى اوروبا، وتصدر الى البلاد الداخلية او الى دمشق التي كانت بمثابة السوق الأولى للمبادلات التجارية وكانوا ينقلون الى صيدا البضائع التي تأتيهم من فرنسا عن طريق عكا، وذلك نظراً للمصالح الاقتصادية التي تربط بين تجار هذين الميناءين.

وكان يسكن المدينة ما يقارب الخمسة آلاف نسمة يعمل معظمهم في غزل القطن. وقد ادى ظلم الباشا الذي كثيرا ما كان يجبر السكان على شراء وبيع أقمشة وحرائر بالاسعار التي تناسبه والتي كثيرا ما تكون اغلى او ارخص من سعرها الحقيقي وذلك وفقاً لأطماعه، ادى الى تحويل جميع السكان بأستثناء شخصيات معدودة الى درجة تعيسة. ■

الهوامش:

(١) بيلربك: اي أمير الأمراء.
(٢) الدفتردار: أي المسؤول عن الشؤون المالية.
(٣) تحريف التركية قيو قولي ومعناها عبيد السلطان او حرمه.
(٤) جزء من شعر الحصان، يؤخذ من ذيله، يرفع على الراية علامة التكريم، وهي رتبة الوزارة او الولاية. ويرجع هذا التقليد الى عصور الأتراك الاولى عندما كانت حياة الرجل مرتبطة بحصان.

المصادر والمراجع:

– ابو شقرا، يوسف خطار: الحركات في لبنان الى عهد المتصرفية، بيروت (لات).
– جودت اسماعيل: تاريخ جودت. تر. عبد القادر الدنا. بيروت ١٣٠٨هـ.
– حقي اسماعيل: لبنان مباحث علمية واجتماعية: جزءان، بيروت ١٩٦٩.
– رافق، عبد الكريم: بلاد الشام ومصر منذ الفتح العثماني الى حملة نابوليون بونابرت، دمشق سنة ١٩٥٦.
– رستلهوبر رينيه: التقاليد الفرنسية في لبنان، حريصا سنة ١٩٢١.
– سليمان، حسين سلمان: لبنان في فترة الصراع الداخلي (١٧٥٣ – ١٧٩٠).
رسالة غير منشورة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث من جامعة القاهرة سنة ١٩٧٨.
– الشدياق طنوس: اخبار الاعيان في جبل لبنان جزءان، بيروت ١٩٧٠.
– الصليبي كمال: تاريخ لبنان الحديث، بيروت سنة ١٩٦٧.
– الصباغ ميخائيل: تاريخ الشيخ ظاهر العمر حاكم عكا وبلاد صفد (لات).
– غيز هنري: بيروت ولبنان منذ قرن ونصف قرن. تر. مارون عبود، جزءان سنة ١٩٥٠.
– لكروي ادوارد: احمد باشا الجزار واعماله في سوريا ولبنان وفلسطين في القرن الثامن عشر. تر. جورج مسرة ساو بولو البرازيل ١٩٢٤.

وثائق منتقاة من:

Archives Nationales de Paris:
Serie AEB1 Seyde. No du registre 1017, 1019, 1020, 1024, 1035, 1036.
Serie A et B1, St yean Acre No du registre 979.

وثائق منشورة

Ismail (A): Documents diplomatiques et Consulaires vol I. Beyrouth 1975.

رحلات ومذكرات ودراسات معاصرة.

Arvieux Laurant: Memoires du chevalier d'Arvieuse 5 vols. paris 1735.
Churchill (Ch): Mount Lebanon a ten years residence (1942 - 1852) 2nd edition. 3 vols london 1853.
Olivier (G.A.): Voyage dans l'empire ottoman, L'Egypte et la Syrie par ordre du gouvernement. 4 vols Paris 1804.
Rafek (A.K.): The province of Damascus (1723 - 1783) Beirut 1966.
Charles-Rouse Francois: Les echelles de Syrie et de Palestine au XVIII siecle Paris 1927.

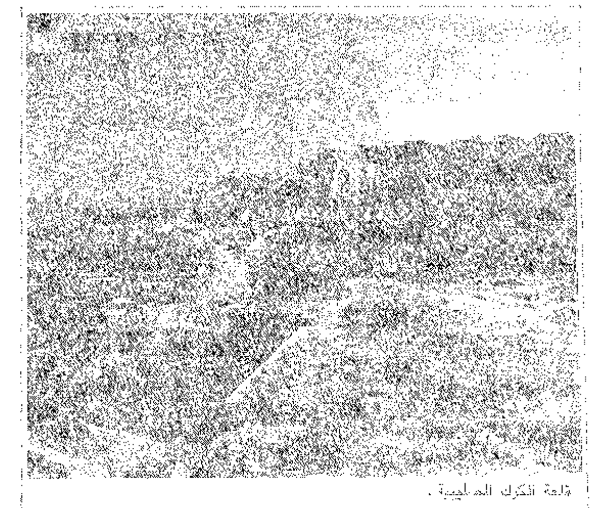
الأردن

ملف الوطن العربي

إعداد قسم "الأبحاث والدراسات"

عبر التاريخ

هذا ملف بلد عربي آخر نضعه بين أيدي القراء لعله يكون لبنة جديدة في بناء جسر اللقاء والتعارف والتفاهم بين أبناء الأمة العربية الواحدة. ملف المملكة الأردنية الهاشمية.



قلعة الكرك الصليبية.



الأردن جغرافيا وتاريخيا :

تعتبر المملكة الأردنية الهاشمية جغرافيا جزءاً لا يتجزأ من سوريا الطبيعية التي تمتد من جبال طوروس شمالا حتى خليج العقبة جنوبا ومن حدود العراق شرقا الى البحر المتوسط غربا. وكانت هذه البلاد تشكل وحدة طبيعية وتاريخية منذ الفتح الاسلامي وكانت تشمل كلا من لبنان سوريا الأردن وفلسطين. وقد عرفت منذ القدم ببلاد الشام ثم بسوريا الطبيعية.

وقد ارتبط تاريخ الأردن بتاريخ تلك البلاد ارتباطاً وثيقاً عبر العصور والأزمنة وهو يشكل ملتقى للطرق المتجهة غرباً الى البحر المتوسط ومصر وشمال افريقيا، وجنوبا الى شبه الجزيرة الفراتية وآسيا الصغرى.

وبحكم هذا الموقع، احتل الأردن منذ أقدم العصور مكانة مرموقة في الحضارة الانسانية فأثر فيها وتأثر بها. وكان بسبب موقعه الجغرافي الحساس ممراً للغزاة وجسرا للقوافل التجارية ومعبراً للأمم والشعوب المختلفة وملتقى لمدنياتها وحضاراتها.

تبلغ مساحة الأردن ما يقارب ٩٦،٠٠٠ كيلو متر مربع، ويبلغ عدد سكانه ٢،٧٥٠،٠٠٠ نسمة ينتمون الى مجتمعين رئيسين : مجتمع البدو ومجتمع خليط من عدة عناصر.

أما الأول ، فيسمى أصحابه البدو أنفسهم بالعرب أو العربان[1] وهم يعيشون حياة بسيطة شاقة ولكنها على العموم سعيدة.

وأما الجزء الثاني من سكان الأردن فهو مزيج من عدة عناصر، هناك الفلاحون والمزارعون وهؤلاء من الممكن أن يكونوا أحفاد الادوميين والمؤابيين والأموريين والعمونيين الذين عاشوا في البلاد وأتت على ذكرهم التوارة.

وهناك أيضاً فئات مواطنة ولكنها قليلة من الشركس والشيشان والأرمن والايرانيين والاكراد واليونان.

الأردن والفتح الاسلامي :

وقد شهد الاردن حكم شعوب مختلفة كالمصريين والبابليين والآشوريين والكلدان والفرس على التوالي، ثم استولى عليه بعد ذلك

اليونانيون فأدخلوا اليه شيئاً من لغتهم وحضارتهم، ومن ثم عقبهم الرومان فالبيزنطيون الذين اذاقوا الأهالي الشيء الكثير من بطشهم وجور حكمهم، والذين بقوا حتى أوائل القرن السابع للميلاد، حيث جاء العرب المسلمون فخاضوا أول معركة لهم ضد البيزنطيين في موقعة مؤتة (عام ٦٢٩) والتي استشهد فيها ثلاثة من صحابة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وهم زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب وعبد الله بن رواحة.

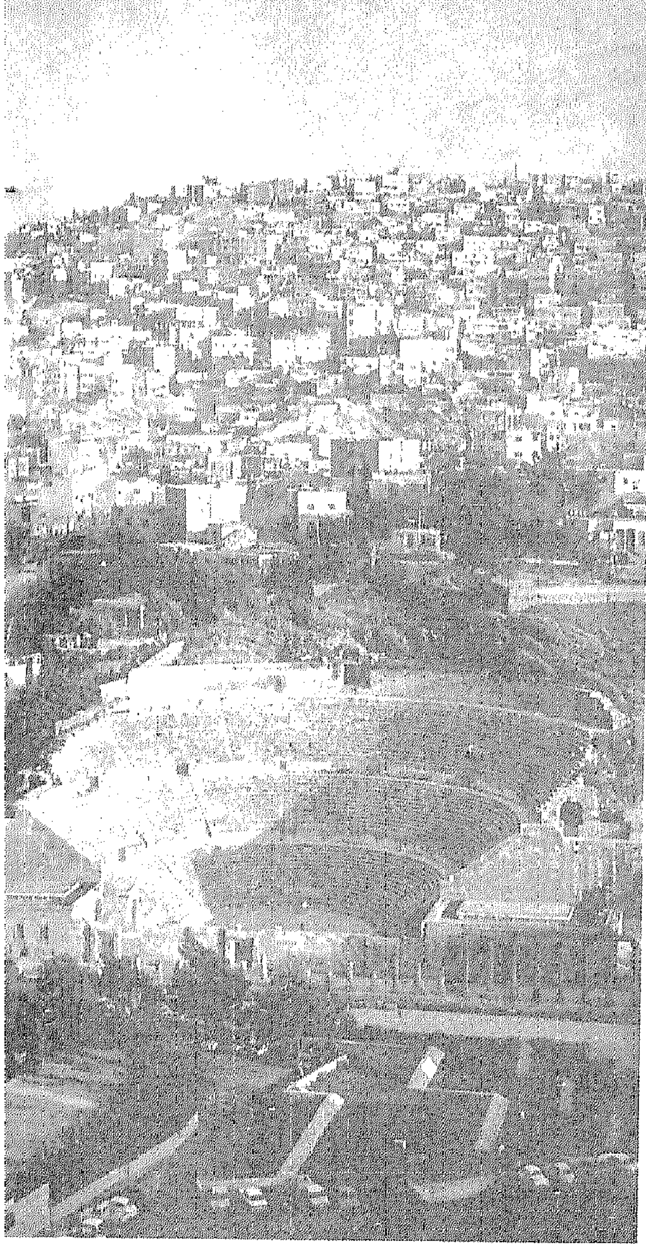
ولم يطل الوقت حتى توغلت الجيوش العربية الاسلامية في الأراضي الأردنية بقيادة شرحبيل بن حسنة.

وفي معركة اليرموك والتي دارت رحاها عام ٦٣٦م، وضع حد للنفوذ البيزنطي في تلك البلاد وانزلت بقواتهم هزيمة منكرة، وأصبح الأردن كسائر بلاد الشام جزءاً من الدولة العربية الاسلامية.

وعندما اتخذ الأمويون دمشق عاصمة لهم زادت أهمية الأردن السياسية والاجتماعية، وقد تميز عصر هؤلاء الخلفاء وخاصة الأوائل منهم بالبناء والعمران حتى أن بعضهم – وهم من البدو بحكم الفطرة والنشأة – كانوا ما يزالون يشتاقون لحياة الصحراء، فابتنوا لأنفسهم قصوراً جميلة ومرابع للصيد تزين الصحراء في شرقي الأردن. كقصر الطوبة وقصر الحرانة وقصر عميرة وقصر هشام بن عبد الملك (خربة المفجر) الأثري في أريحا. هذا بالاضافة الى اعتنائهم في البناء داخل البلاد حيث شيدوا أجمل الأبنية الفنية الباقية الى الآن كمسجد الصخرة والأقصى الشريفين في القدس واللذين بناهما الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان.

وما أن آل القرن التاسع ميلادي حتى انتقلت السلطة من أيدي الأمويين الى أيدي العباسيين الذين نقلوا مركز الخلافة من دمشق الى بغداد فأخذت مكانة الأردن تتقهقر وأخذت أهميته تضمحل حتى كادت أن تصبح في مطاوي النسيان لولا طريق الحج الشامي الذي يمر عبره ولولا أهميته كمحج للزائرين المسيحيين الذين يفدون اليه لزيارة القدس.

ولكن على الرغم من جمود دوره الحضاري في تلك الفترة، إلا أن بريق قدسه ظل يجذب اليه أنظار الغزاة الفرنجة كالصليبيين الذين استطاعوا في القرن الثاني عشر احتلال أجزاء



المدرج الروماني الضخم الذي يعود الى القرن الثاني ميلادي. وهو لا يزال يستخدم في المهرجانات الشعبية.

منه كالكرك التي أقاموا فيها إمارة صليبية وأخذوا يبنون القلاع والحصون فكان أهمها قلعتي الشويك والكرك.

اخذ القائد صلاح الدين الأيوبي على عاتقه تحرير بلاد القدس من الاحتلال الصليبي. فأخذ يعد العدة لذلك، فشيد القلاع الضخمة في الأزرق وعجلون والسلط، ولم تعد تنقطع مناوءاته لهم حتى انتصر عليهم نهائيا في معركة حطين الحاسمة سنة ٥٨٣هـ – الموافق ١١٨٧م.

ومن ثم تابع سيره نحو القدس لانقاذها من أيديهم، فكان له ما أراد وأعاد المسجد الأقصى وقبة الصخرة الى سابق عهدهما.

أما عهد المماليك الذي امتد من عام ١٢٥٠ الى ١٥١٧م لم يكن له علامة مميزة في تاريخ الأردن، الى أن دخلت البلاد في مطلع القرن السادس عشر حظيرة الدولة العثمانية وأصبح سنجقا عجلون والكرك تابعين لولاية سوريا. وقد انحصر اهتمام العثمانيين بتأمين حماية قوافل الحج فجددوا بناء القلاع القديمة وبنوا قلاعا جديدة مثل قلاع القطرانة ومعان والعقبة.

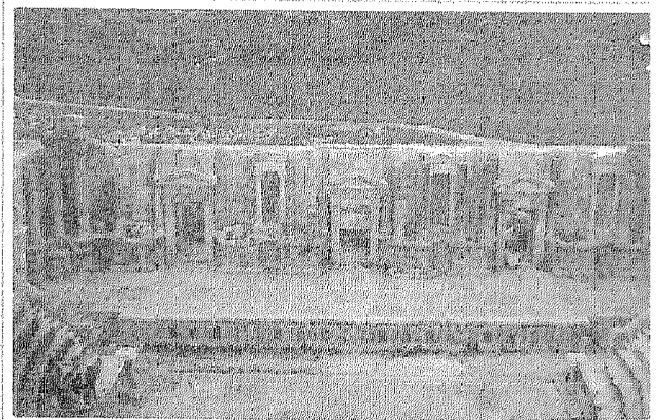
وقد لا يكون هناك من الآثار العمرانية السلمية العثمانية سوى الخط الحديدي الحجازي الذي أنشأه الأتراك لتحسين المواصلات بين سوريا والجزيرة العربية كي يتمكنوا من السيطرة عليها والدفاع عنها.

وعلى العموم، فقد اتصف عهد العثمانيين الذي امتد أربعة قرون، بالجهل وسوء الادارة مما سبب في تردي أوضاع البلاد العربية وجرها الى حالة من التفكك والضعف الذي كان سببا من أسباب نجاح الصهيونية بعد هزيمة الأتراك في الحرب العالمية الأولى.

الأردن والثورة العربية:

بدأ العرب منذ مطلع هذا القرن يتطلعون الى الحصول على استقلال بلادهم، خاصة بعد ما شهدوا في القرن السابق الحركات التحررية التي ظهرت في أوروبا ولمسوا بأنفسهم مدى التأخر الذي وصلوا اليه نتيجة الحؤول دونهم

مسرح جرش: الذي يتسع لخمسة آلاف متفرج.



ودون الاحتكاك بالعالم الخارجي مما نتج عنه عدم استطاعتهم المساهمة في النهضة العلمية والصناعية التي نشأت في أوروبا وأميركا. لهذا عقدوا العزم على التخلص من نير الاتراك، فتنادت الجمعيات العربية السرية ووجهت الدعوة الى الشريف الحسين بن علي شريف مكة لقيادة ثورتها من أجل الحرية والاستقلال.

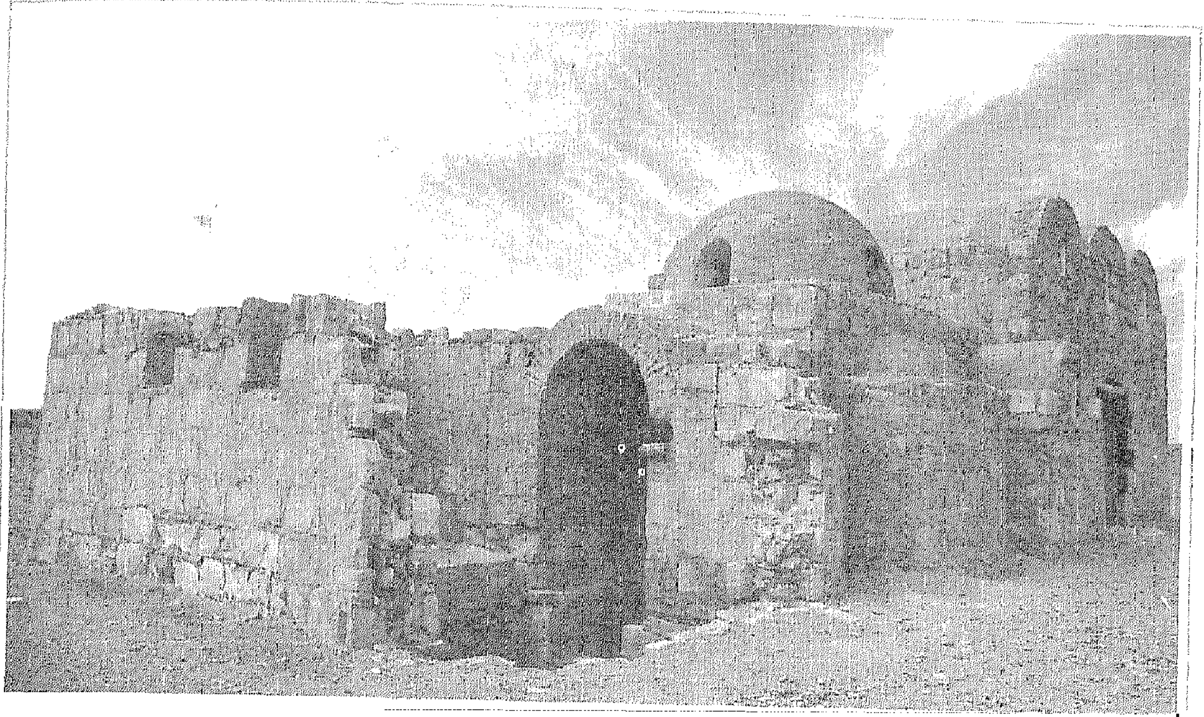
لبى شريف مكة الدعوة، ودخل في مفاوضات مع الحكومة البريطانية التي تعهدت له بالاعتراف بقيام دولة عربية مستقلة في آسيا. فأعلن في العاشر من حزيران عام ١٩١٦م قيام الثورة العربية من مكة. وكانت ثورة قومية انخرط فيها مقاتلون من مختلف الدول العربية من مسلمين ومسيحيين بهدف إنشاء تلك الدولة.

وكان خاتمة الكفاح العربي أن طهرت البلاد من الأتراك، ولكن لتدخل في صراع جديد ضد الحلفاء. وقد قامت على أثر ذلك دولة عربية في الحجاز توج عليها الحسين بن علي ملكا، ودولة عربية أخرى في سوريا – تتبع الأولى حكما – توج عليها فيصل بن الحسين ملكا.

أما صراع العرب الجديد ضد الحلفاء، فقد نشأ من جراء تنكر بريطانيا للوعود التي قطعتها للشريف الحسين، وابرام الحلفاء معاهدة سايكس – بيكو عام ١٩١٦م، والتي تقاسموا بموجبها بلاد الشام والعراق بينهم ومن ثم الحقوها بوعد بلفور الذي أصدرته بريطانيا عام ١٩١٧م. والتزمت فيه إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

ومن ثم تآمر الحلفاء على تقويض استقلال سوريا وتجزئتها. وجاءوا بالانتداب البريطاني يفرضونه على فلسطين والاردن والعراق، وبالانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان. وبقي الأردن خاضعا للنفوذ البريطاني حتى عام ١٩٤٦، حيث حصل على استقلاله، وأعلن شرقي الأردن دولة مستقلة ذات سيادة، ونودي بالأمير عبد الله بن الحسين ملكا دستوريا على البلاد التي أصبحت تحمل اسم «المملكة الأردنية الهاشمية».

وفي عام ١٩٥٠م، انضم عرب الضفة الغربية في فلسطين الى الضفة الشرقية على اثر تخلي بريطانيا عام ١٩٤٨م عن انتدابها على فلسطين وما أعقبه من قتال بين العرب واليهود. وأصبح كلا الطرفين الضفة الشرقية والضفة



قصر عميرة : أحد مرابع الصيد التي بناها الأمويون في البادية .

الغربية يكونان « المملكة الأردنية الهاشمية » .

[illegible] والآثار في الأردن :

بعد هذا الموجز الجغرافي والتاريخي عن بلاد الأردن ، تتضح لنا معالم الحضارات المختلفة التي تعاقبت عليه والتي لعبت أدواراً رئيسية في التطور الانساني عبر العصور فخلفت في ربوعه آثارها وثقافتها وأكسبته على مر الأجيال طابعاً سياحياً مهماً . لذا فهو يعتبر متحفاً كبيراً يضم بين جنباته العديد من المدن والمراكز الأثرية الهامة . وأهم من هذا كله بأنه يحوي معظم المقدسات الاسلامية والمسيحية مثل القدس الشريف وبيت لحم مهد المسيح وخليل الرحمن ، الكهف الرحيب الذي آوى اليه الفتية ثلاثمائة عام .

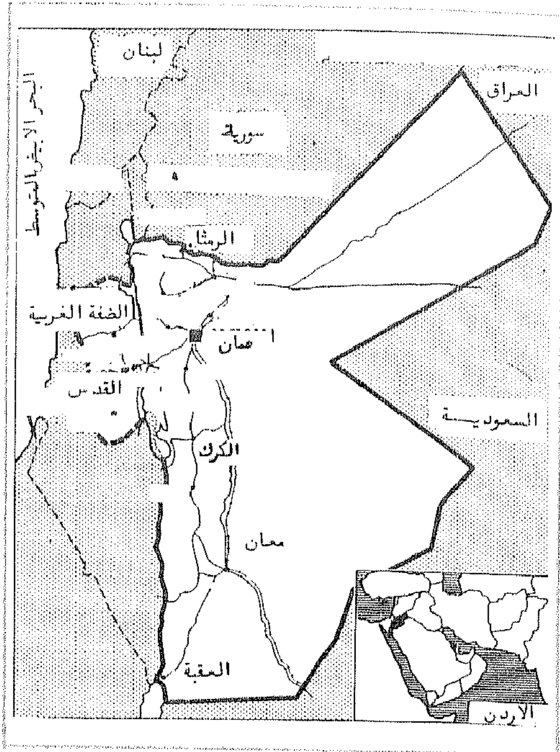
ونحن لا نستطيع أن نفرق بين المدن الرئيسية وأهم المراكز الأثرية في الأردن ، لسبب بسيط ، وهو أن معظم المدن الرئيسية هي في حد ذاتها مراكز اثرية هامة .

العاصمة ، «وقد سميت عمان قديماً عاصمة العمونيين وتدعى ربة بني عمون . وسماها الاغريق فيلادلفيا نسبة الى بطليموس فيلادلفوس حاكم مصر ما بين ٢٨٥ و٢٤٧ ق.م .

وفي عام ٢١٨ ق.م استولى عليها حاكم سوريا انطيوخس الثالث وأصبحت احدى مدن سوريا البقاعية الى أن أخضعها العرب الأنباط الذين استوطنوا جنوب الأردن واتخذوا البتراء عاصمة لهم . وظلت فيلادلفيا مدينة نبطية حتى استولى عليها الرومان عام ٦٣ ق.م. فدخلت حلف المدن العشر ... وعام ١٠٦ بعد الميلاد قضى الرومان على مملكة الأنباط وأنشأوا مكانها مقاطعة رومانية سميت بالمقاطعة العربية ، ومن بينها عمان ...

وقد ازدهرت فيلادلفيا لزمن طويل في القرن الثاني ، وبنيت عمان الحديثة فوق فيلادلفيا القديمة ، ...وكان لهذا التاريخ العريق دور رئيسي في اقبال السواح الأجانب نحو احدى أقدم مدن العالم ... »[٢] .

« إن تخليص ثالث الحرمين من الروم يستحق أن يسير من أجله الفاروق شهراً وشهراً ... » هذا ما قاله الخليفة عمر بن الخطاب لعدد من الصحابة عندما وصله كتاب الروم يطلبون فيه الصلح على أن يتولى ذلك أمير



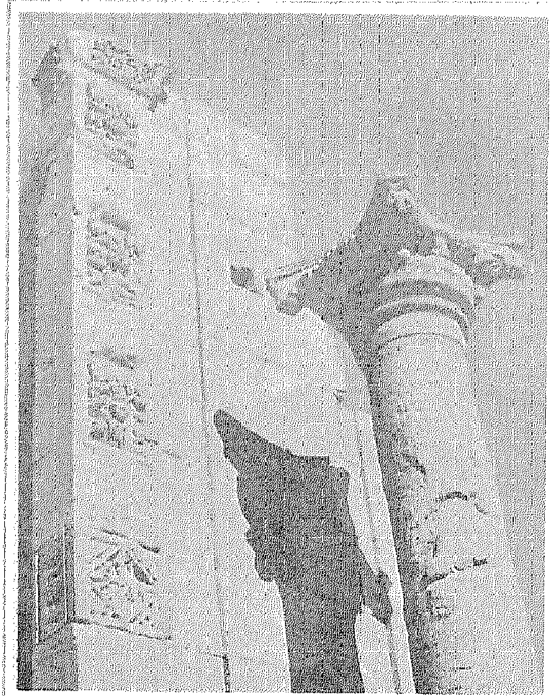
المؤمنين نفسه. وهذا القول إن دل على شيء فانما يدل على ما لتلك المدينة المقدسة من قدر واهمية لدى المسلمين وغيرهم من شعوب العالم منذ أقدم العصور.

وهي مدينة دينية مقدسة وأسوارها شاهقة، قلاعها قوية فيها الآثار المسيحية والاسلامية المقدسة ككنيسة القيامة وطريق الآلام ومسجد الصخرة والأقصى(٣).

البتراء:

تعتبر البتراء تحفة نادرة من الجمال والروعة، والعالم المتمدن بأجمعه لا يجهل اسم هذا الموقع القديم الذي يعتقد بأن موسى ضرب بعصاه الصخر فيه فتفجر منه الماء(٤) وتجمع روابط تاريخية متينة بين الأنباط والبتراء. لأنهم – وهم قبيلة عربية كبيرة – هم أول من اتخذ من البتراء موطناً وعاصمة لهم.

وعندما يقترب المرء من البتراء، فان أول ما يطالعه هو عين النبي موسى التي تتفجر مياهها في الصخور. وقد نحتت المدينة في الصخر الوردي الجميل، وهي أعظم. كنز سياحي أثري في الأردن لأنها تمثل احدى الروائع الفنية التي ابتدعتها اليد البشرية. ففيها التقى المجهود الانساني بالطبيعة الجبارة الساحرة.



نقوش البتراء: تدل على عظمتها.

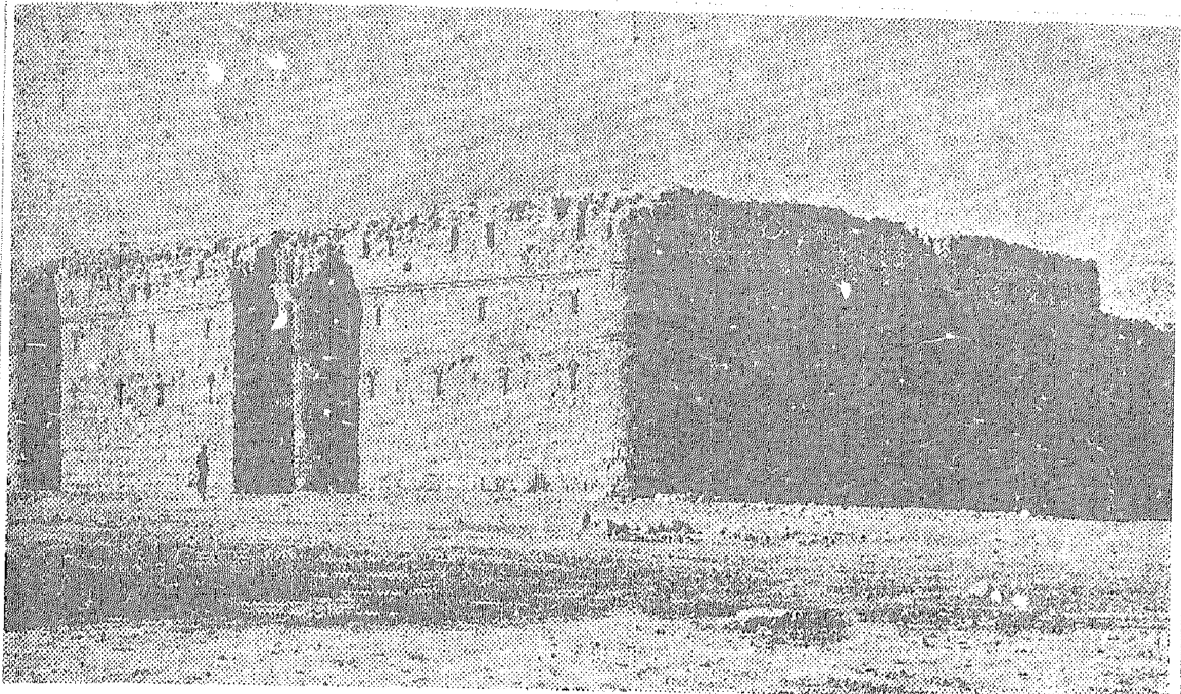
يدخلها المرء عبر ممر ضيق يسمى «السيق» حفر بين هضاب صخرية ضيقة شاهقة. وهذا الممر والحصون الصخرية الطبيعية التي تحتضن البتراء، وهبتها مناعة ضد الغزاة وحمتها من عبث العابثين.

والخزنة أجمل آثارها على الاطلاق، أما المحكمة والدير فأعجوبتان لا تقلان جلالا وعظمة عن الخزنة، وبها كثير من الاضرحة والمعابد والبيوت والمقابر والمخازن والمستودعات والحمامات ومجاري المياه وجميعها منحوتة في الصخر بشكل بديع وبقوة ومتانة.

جرش:

«توجد في الشرق الأوسط ثلاث مدن عظيمة من مدن العصور الكلاسيكية وهي: تدمر وجرش والبتراء. أما تدمر فتوجد في سوريا، بينما توجد جرش والبتراء في الأردن. وتمتاز كل مدينة من هذه المدن بمعالمها الأثرية وتاريخها وهندستها المعمارية، ولكل منها طابعها المتميز لاجتذاب الزائر...

وتنفرد جرش وحدها بين المدن الثلاث بأنها مدينة رومانية تقليدية، وربما كانت أفضل مثال في الشرق الأوسط لمدينة رومانية من هذا الطراز! احتفظت بمنشآتها قائمة اكثر من سواها حتى اليوم...»(٥)



قصر الحرانة: القلعة الأموية الحصينة.

وهناك اعتقاد بأن الكنعانيين هم الذين بنوها في الأصل وأطلقوا عليها اسم جراسة. ويواجه الزائر المقبل على أطلال جرش قوس النصر الكبير الذي أقيم احتفاء بزيارة أدريانوس للمدينة عام ١٢٩م. وتليه حلبة سباق للخيل، ثم أجزاء باقية في سور المدينة، ومن أبرز الآثار القائمة وراء مدخل المدينة معبد زيوس والمسرح الكبير الذي يتسع لخمسة آلاف متفرج وساحة السوق المرصوفة بالبلاط الحجري. وشارع جرش الرئيسي المعروف بطريق الأعمدة الذي يخترق المدينة منتهيا الى الباب الشمالي منها

ثم تأتي الى بناء من أضخم الأبنية في جرش وأكثرها جلالا، ألا وهو هيكل أرتميس، نسبة للآلهة التي كانت ترعى المدينة لذلك جاء معبدها أكثر فخامة وعظمة من سواه.

وهناك أيضا مدن ومراكز أثرية هامة أخرى كاربد ومادبا والكرك المشهورة بقلعتها الصليبية التي بناها القائد الصليبي «بايم» سنة ١١٣١م وسماها (جوهرة الصحراء)

الهوامش

١ – ريقول عالم الآثار «لانكستر هاردنج» في كتابه «آثار الأردن» تعريب «سليمان موسى» والذي نشرته وزارة السياحة والآثار الأردنية، يقول في هذا الصدد ص ١٩:

«... هذه التسمية صحيحة كليا لأن البدو هم العرب الخلص، ولا تجمعهم بالفلاحين والقرويين سوى روابط قليلة من ناحية الجنس... والفوارق الطبيعية تبدو واضحة لكل ذي عين متبصرة: البدوي بوجهه الدقيق النحيل وعينيه الامعتين وجسمه الخفيف والفلاح بوجهه المستدير وجسمه الممتلىء».

(٢) للتوسع انظر المقالة المنشورة في مجلة «رجال الأعمال» العدد ٢٣ آب/ أغسطس/ ١٩٧٧ ص ٦٦ – ٧١

(٣) راجع ملف الوطن العربي، مجلة "تاريخ العرب والعالم" العدد الحادي عشر/أيلول – سبتمبر ١٩٧٩ ص ٤٣ – ٤٤.

(٤) لانكستر هاردنج – آثار الأردن. ص ١٣٣ تعريب سليمان موسى – منشورات وزارة السياحة والآثار – الأردن.

(٥) المصدر السابق. ص ٨٧.



البناية رقم ٨ برنيز البرتش ستراس هي احدى البنايات الرسمية الضخمة في برلين ما قبل الحرب، يقوم بحراستها عدد كبير من الحراس. هذه البناية هي مركز القيادة التابعة لهنريتش هملر قائد الكتيبة النخبة المتقدمة – أو: إس إس.

في آذار ١٩٣٩، توقفت سيارة فخمة امام البناية وترجل منها رجل في الأربعين من العمر وطلب مقابلة هملر شخصياً. فأدخل الرجل بمرافقة ملازم وصعدا الى احد الطوابق حيث كان هملر في انتظارهما.

– اني اشكرك. لقد سمعت كثيراً عنك ربما في امكانك تخفيف الآلام في معدتي، فهي تمنعني من السير والجلوس. لقد فشل كل أطباء برلين، ولكن أكدوا لي انك تنجح حيث يفشل الآخرون. هل في استطاعتك مساعدتي؟ نظر الطبيب كرستن الى هملر: هذا هو الرجل الذي ينشر الخوف في ألمانيا هذا هو الرأس المدبر للقتل الجماعي، ومعسكرات التجميع والتجنيد الاجباري.

أخضع هملر لفحص دقيق. فأغمض الطبيب عينيه وبدأت يده تمر على جسد هملر، ضاغطة على بعض الأعصاب. فجأة صرخ هملر عندما ضغط الطبيب على احد الأعصاب في معدته. فسأله الطبيب:

– هل تشعر بألم قوي؟

– قوي جداً.

فوضع الطبيب يده على العصب وراح يدلكه لعدة دقائق.

– اشعر بتحسن، استطيع ان اسير وأن أجلس. لقد ذهب الألم من غير دواء اومخدر. أيها الطبيب اريدك أن تبقى بالقرب مني. ستسجل في فرقتي برتبة كولونيل.

– لي الشرف ان أكون بالقرب منك. ولكن من سوء حظي ألا أستطيع أن أقبل هذا العرض.

أجابه كرستن، ثم شرح له الطبيب انه يعيش في هولندا حيث له منزل وعائلة هناك وعدد كبير من المرضى لا يستطيع التخلي عنهم وتابع:

– عندما تكون بحاجة الي، استدعني. وسأعود الى برلين بعد اسبوعين لرؤية مرضاي هنا.

– اذا اعتبرني واحداً منهم.

وأمر هملر حراسه بالسماح لكرستن بالدخول كلما اتى لزيارته.

عالج كرستن هملر لمدة اسبوعين. ولم يرفض هذه المهمة لأن احد أصدقائه القدماء اوغست داين طلب منه ذلك. كان في البدء قد رفض التعامل مع العهد النازي رفضاً باتاً. لكنه خضع للأمر عند الحاح صديقه. فلم يقبل به الا من أجل المصلحة العامة. فهو يعلم جيداً انه يستطيع ان يؤثر على مرضاه اذا خفف آلامهم وشفاهم.

من هو كرستن؟

فليكس كرستن ليس طبيباً بالمعنى الحقيقي. انه دلاك، لقد اعطى القدر يديه قوة تفوق طاقة البشر. ولد عام ١٨٩٨ في ايستونيا، ولكن بعد الحرب العالمية الأولى اصبح مواطناً فنلندياً، وبدأ دراسة فن التدليك في هلسنكي.

في ١٩٢١ حاز كرستن على شهادة تؤهله ممارسة عمله. بعد سنتين وفي احدى الحفلات التقى الطبيب كو الذي أشرف على تدريبه لمدة ٣ سنوات. بدأ عمله عام ١٩٢٥، واتسعت شهرته. في ١٩٢٨ دعي لمعالجة الأمير هاندريك، زوج الملكة ويلهلمينا، ملكة النزرلند فأحب هذا البلد وعاش في الهايغ فعمل فيها وفي برلين وروما. لم يتعاط السياسة منذ ولادته، لكن كيف الآن وبعد معالجة هملر؟

كان كرستن يتوقف عن التدليك كل خمس دقائق لاعطاء العصب مهلة للاستراحة، عندها يبدأ هملر في الكلام. في البدء اخذ يتكلم عن نفسه ومرضه، ثم انتقل الى تفوق الألمان والأس أس.

اما الحديث عن هتلر فلا يتوقف. فهتلر بالنسبة له عبقري وعلى الشعب الألماني اتباعه



الملكة ولهلمينا والأمير بيرنارد

لكي يصل الى قمة التاريخ.

في آذار ١٩٤٠ اصبح وضع كرستن محرجاً. احتلت قوات هتلر هولندا حيث يقيم وحاول النازيون التخلص منه وهو كان يود الانتقال الى فنلندا ولكن السلطات الفنلندية العليا امرته بالبقاء في برلين لامدادها بالمعلومات. وهناك وضع تحت الاقامة الجبرية. في اواسط آذار، امر بمرافقة هملر الى الحدود في قطاره الخاص.

ماذا في قطار هملر الخاص؟

شعر كرستن بالخوف والمطاردة والعذاب في هذا القطار. اذ تحول الى مركز لقيادة العمليات فالتجأ في مكتبة هملر. وفوجئ بمحتوياتها. كل الكتب تتكلم عن الأديان بما فيها الكتب الدينية: الفيداس، الانجيل، القرآن، مقالات دينية ونقد لها، كتب تعاليم الكنيسة والحقوق فسأله كرستن في احد الأيام:

– ألم تقل لي ان النازي الحقيقي لا يتبع اي ديانة؟

– «طبعاً» أجابه هملر ضاحكاً.

– ما هذه الكتب اذاً؟

– لست مؤمناً. انني بحاجة لهذه الكتب. لقد فوضني هتلر وضع الكتاب المقدس للديانة النازية الجديدة.

– لا افهم ما تقول.

– بعد انتصار الرايخ الثالث سيلغي هتلر

الديانة المسيحية، ويؤسس الديانة النازية فكرة الله ستبقى ولكن غامضة. هتلر هو المسيح في الديانة الجديدة. عند الصلاة، سيلفظ الناس كلمة هتلر. لذلك فأنا بحاجة الى هذه الكتب والوثائق لتأسيس الديانة الجديدة.

بعد سقوط فرنسا، عاد هملر الى برلين وانتقل كرستن الى حياته العادية. فعاد الى عائلته واصدقائه في أواخر ايلول، شعر هملر بآلام حادة في معدته. فاستدعى كرستن وعند انتهاء الجلسة قال له هملر:

– عزيزي كرستن، ماذا افعل من دونك؟ لا اعلم كيف استطيع ان اشكرك. وضميري يوبخني لانني لم ادفع لك شيئاً –.

فأدرك كرستن انه اذا وافق على راتب ما، فمعنى ذلك انه سيصبح موظفاً عادياً لا يدين له هملر بشيء فهو يعلم جيداً ان راتب هملر لا يجاوز الألفي مارك.

ابتزاز هملر

فجأة تذكر كرستن ان احد مرضاه القدماء اوغست روسترغ جاء اليه طالبا خدمة. وبالرغم من كون روسترغ رجل اعمال شهير في المانيا ومحب للسلام، وشريف، فقد وضع في احد معسكرات التجميع. وبما ان جريمته هي انه من الحزب الديموقراطي الاشتراكي، فقد طلب من كرستن ان يستعمل نفوذه لاطلاق سراحه. ففكر الطبيب قليلا ثم اطلع من جيبه ورقة وقال له:

– هذا ما اطلبه. اريد اطلاق سراح هذا الرجل.

– اوافق على ذلك لأنك أنت طلبته.

فنادى موظفه الخاص براندت وامره باطلاق سراح روسترغ حالا «لأن طبيبنا العزيز يريد ذلك» عندئذ اكتشف الطبيب مدى تأثيره على هملر والوسيلة التي يجب اتباعها لتنفيذ مآربه. عندما يكون مرض هملر في اشده ولا يستطيع احد اسعافه سوى يديه، في استطاعته ان يطلب الغفران او الرحمة لأحد المعتقلين، او تسريح احدهم أو الغاء الحكم.

عندما يستعيد هملر قواه، يفقد كرستن كل نفوذه. كان هملر يقول للطبيب: «عزيزي كرستن، أنت صديقي الوحيد الذي يفهمني ويساعدني». فيأمر براندت بوضع لائحة باسماء الأشخاص الذين ذكرهم الطبيب، ثم يمضي



برانديت

مرسوما باطلاق سراحهم – اصبح عدد الذين اطلق سراحهم يشكل خطراً كبيراً. لم يفهم رؤوساء الغستابو – المحققون والجلادون – ما الذي دفع بهملر الى العفو عن هؤلاء الأشخاص لقد طلب في البدء انزال اشد العقوبات بهم. ولكن ما سبب هذا التغير؟

في كانون الثاني ١٩٤١، قدم رجلان من الغستابو الى منزل كرستن في برلين.

– «نود ان نتكلم معك» قال له احد الرجلين. بدأ كرستن يتساءل. هل خانه احد اصدقائه في هولندا؟

سأله احدهما:

– هل عندك مرضى يهود؟

– طبعا.

– ألا تعلم انه لا يسمح لطبيب الماني معالجة يهودي؟.

– لست طبيبا المانيا، انا فنلندي.

– أعطاهم جواز سفره. فاعتذرا منه وغادرا المنزل. ما الذي دفعهم الى المجيء الى هنا؟ هل يظنونني المانيا. الغستابو يعلم كل شيء وخاصة انه ليس المانيا. اذا لم يصدقوه فليذهبوا الى السفارة الفنلندية لكن ما هدف هذه الزيارة؟ هل هو نوع من التهديد؟

أعلم هملر بما حدث له. فغضب هملر واتصل بالقيادة قائلا: «لا اسمح لأحد بالتعرض للطبيب كرستن لأي غرض كان. هذا امر. وأنا مسؤول عنه».

بعــد مدة، حذر برانــدت الطبيــب من هيدريك، رئيس الغستابو. فهو يشك به ويتهمه بأنه عميل للعدو او على الأقل، فهو يستعمل نفوذه على هملر لمصلحة اعداء المانيا. وقد قرر هيدريك متابعة تحقيقه حتى يثبت له ذلك.

في شباط ١٩٤١، وبعد معالجــة هملــر صادف الطبيب في طريقه هيدريك. فاتفقا على ان يلتقيا في مركز الغستابو في المساء فقال هيدريك للطبيب بطريقة غير مباشرة ان الغستابو على علم بتحركاته واتصالاتــه المكثفــة مع هولندا وفنلندا، ويود الاطلاع على أسماء الذين يتصل بهم.

جنون هتلر؟

في احد ايام شتاء ١٩٤٢، فاجأ هملر طبيبه بقوله:

— هل في استطاعتك ان تعالج رجلا يعاني من آلام قوية في رأسه، ومصابا بالدوار والأرق؟.

— يجب ان اراه اولا لكي احدد مصدر هذه الآلام؟ وتابع

— ثم ان عدم الافصاح عن طبيعــة الأمراض هي احد القوانين المتبعة في الطبابة.

فمد اليه هملر تقريراً طبياً كتب على مغلفه «سري جداً». لماذا اعطاه المغلف لقراءته؟

هل بدأ هتلر يفقد بعض قواه العقلية؟ هل زاد جنونه عندما بدأت المانيا تخسر؟

يحتوي التقرير على ٢٦ صفحة تحــوي الوقائع التالية: اصيب هتلر في صغره بالمرض الزهري. فأدخل الى احدى المستشفيات حيث عولج. في عام ١٩٣٧ ظهرت العوارض نفسها مما يدل انه لم يشف من المرض. في اوائل عام ١٩٤٢، اشتدت هذه العوارض وبدأ هتلر يفقد صوابه في ساعات معينة، — «ماذا يمــكن عمله؟» سأله هملر.

— لا استطيع شيئا. لست متخصصا بالامراض العقلية. هل هناك من يهتم به؟

— طبعا الطبيب موريل، طبيبه الخاص. يؤكد له الطبيب ان الحقن تساعد على عدم امتداد المرض وتحفظ له قوته العقلية.

— ما الذي يضمن ذلك؟ ليس هناك علاج للمرض الزهري.

— ليس هتلر رجلا عاديا ولا يمــكن معالجته في مستشفى للأمراض العقلية. اذا



هتلر

علمت استخبارات الحلفاء بالامر، فستنشره. هذه كارثة.

بعد مغادرة مكتب هملر، توجه كرستن الى مكتب براندت وسأله عن صحة هذا التقرير

قال له براندت: الا تعلم انك في خطر الآن؟ انت غريب وتعلــم كل اسرار الدولــة الألمانية. لا تبحث مع هملر في هذا الموضوع. حاول ان تنساه.

فاتبع كرستن نصيحة براندت. وتجاهــل الموضوع الى ان سأله هملر في احد الأيام:

هل من وسيلة جديدة، لانقاذ هتلر؟

فأجابــه الطبيــب بكل صراحــة. المرض سيصيب قوة هتلر العقلية، بمعنى آخر، قد يفقد هتلر عقله. كل العوارض، آلام في الرأس، أرق، ارتجاف اليدين، تعثر في الكلام، شلل الأطرافي، ستزداد مع الأيام، فما الذي يثبت ان هتلر قد اتخذ قراراته في ساعات صفاء عقله او ساعات جنونه اذ ان مصير الملايين متصل بقرارته. يحق لرجل يتمتع بكامل قواه العقلية والجسدية ان يحكم وبما ان هتلر لا يتمتع بكل قواه، فلا يحق لهملر ان يعترف بهتلر قائداً له.

— لقد فكرت بكل ذلك، ولكن لا يمكن ان اغير نظرتي اليه. ليس في استطاعتي اتخاذ اي

LE TEMPS PROBABLE

LE FIGARO

50 C^mes

BAROMÈTRE BOURSIER

SAMEDI 2 SEPTEMBRE 1939 — N° 245 — 114^e Année

L'ALLEMAGNE ATTAQUE LA POLOGNE SANS DÉCLARATION DE GUERRE

Les hostilités ont commencé sur toutes les frontières

LA FRANCE ET LA GRANDE-BRETAGNE

décrètent la mobilisation générale

LE CRIME

Wladimir d'Ormesson

BALTIQUE — MEMEL — LITHUANIE — KAUNAS — WILNO — PRUSSE ORIENTALE — GRODNO — BIALYSTOK — U.R.S.S. — BERLIN — POLOGNE — VARSOVIE — BREST — LODZ — LUBLIN — ALLEMAGNE — CZESTOCHOWA — PRAGUE — CRACOVIE — PRZEMYSL — LWOW — SLOVAQUIE — HONGRIE — VIENNE — BUDA-PEST — ROUMANIE

Les flèches indiquent les principaux points d'attaque de l'armée allemande et les points de bombardement aérien

L'état de siège est proclamé en France et en Algérie

LE PARLEMENT SE REUNIT CET APRÈS-MIDI A 15 HEURES

CHRONIQUE

DE QUOI S'AGIT-IL ?

PAR ANDRÉ MAUROIS

André Maurois

La responsabilité de la guerre incombe à un seul homme : le chancelier allemand qui a plongé le monde dans la misère afin de servir son ambition insensée,

a dit aux Communes M. Chamberlain

M. Coulondre et sir Nevile Henderson à la Wilhelmstrasse

La Bourse a conservé le plus grand sang-froid

Les opérations militaires

REPONSE POSITIVE DE LA FRANCE A DES PROPOSITIONS ITALIENNES

1er Septembre 1939...

Le Livre Blanc britannique

(Lire le texte en page 4)

... من أرشيف «تاريخ العرب والعالم»


هتلر وأركان حربه
ويبدو هملر
في أقصى اليسار

خطوة ضد هتلر. انا قائد الاس اس وشعاري «الشرف هو الاخلاص» كيف يمكنني اذاً ان اقوم بعمل كهذا؟

– اذا، ستسمح لهتلر بان يتصرف كما يريد.

هل تقبل ان يكون مصير الشعب الالماني في يد رجل يعاني من مرض عقلي؟

– لا استطيع القيام باي عمل حتى الآن،

وتابع:

ولكن عندما يحين وقت المجازفة، فسأتصرف كما اريد

هملر يتمرد لصالح اليهود

منذ اشهر لم يطلب كرستن اية خدمة من هملر لكن عندما كانت تسنح له الفرصة، كان يحاول اقناع هملر ان الهولنديين والدانماركيين والنروجيين في معسكرات التجميع هم في الأصل المان. وفي حزيران ١٩٤٤، احتل الحلفاء النورماندي واخذ كرستن يضغط على هملر حتى بدأ يقتنع بعدم قدرة هتلر في الحكم.

– انك على حق، لا يجب ان نقتل العالم كله يجب ان نكون رؤوفين تجاه الشعب الالماني.

وبعد بضعة اسابيع حاول كولونيل الماني اغتيال هتلر بوضع قنابل في مكتبه، فغضب هملر وجدد اخلاصه لهتلر. فأمره هتلر باعتقال الفي ضابط الماني وقتلهم.

لا حدود لغضب هتلر. لقد علمت استخبارات الحلفاء ان هتلر امر هملر بتفجير معسكرات التجميع والمعتقلين عندما يصل الحلفاء الى بعد ١٥ ميلا. تحتوي المعسكرات على ثماني مئة الف معتقل. ناشد الحلفاء السلطات السويدية التدخل لمنع هذه المجزرة الرهيبة. فطلبت الحكومة السويدية بدورها من كرستن التوسط لدى هملر لعدم تنفيذ هذه المجزرة.

– هل صحيح ان هتلر امرك بتفجير المعسكرات عند اقتراب الحلفاء؟ سأله كرستن في احدى الجلسات.

هذا صحيح. اذا خسرنا الحرب، يجب ان يموت أعداؤنا. اجابه هملر.

– لكن لا يقوم عظماء المانيا بهذا العمل الوحشي. انت اليوم القائد الأعلى. انت اقوى من هتلر الآن. بلادك تتدهور. لقد اكتسحت القوات الألمانية في كل مكان. القيادات عاجزة عن القيام بأي عمل وانت لديك القوة الباقية

– الأس أس.

في ١٢ آذار ١٩٤٥، وضع هملر احدى الوثائق التاريخية ووقعها ودعاها «وثيقة باسم الانسانية»، واعلن فيها عن:

١ – عدم تفجير معسكرات التجميع.

٢ – عدم اعتقال وقتل اي يهودي بعد اليوم.

٣ – السماح للسويد بمساعدة اليهود المعتقلين.

وقع هملر هذه الوثيقة اولا ثم كرستن. ابلغ كرستن ستوكهولم بالنبأ بعد بضعة ايام، وأضاف قائلا انه قد سمح له باصطحاب ممثل عن المؤتمر اليهودي العالمي لمقابلة هملر. ثم اقنع كرستن مريضه باطلاق سراح ٥ آلاف معتقل يهودي. وبعد تردد طلب منه مقابلة احد المعتقلين اليهود للاتفاق على ورقة العمل لاطلاق سراح الباقين. لم ترق الفكرة لهملر في بادئ الأمر، وبعد عدة ساعات من الجدل، اقتنع بالأمر. فاختار المؤتمر اليهودي العالمي ممثلا عنه، شابا يدعى نوربرت ماسور. فقابله كرستن في ستوكهولم وانتقلا معا الى برلين في ١٩ نيسان.

عندما تقابل الرجلان – هملر وماسور – بدأ هملر الكلام عن اوضاع اليهود. لم يكن مضطربا. كما اعجب كرستن بقدرة ماسور على الانضباط. عندما بدأ هملر الكلام قال ان اليهود مصابون بمرض التيفوس وامراض معدية اخرى مما اضطرهم الى حرقهم في الأفران، ويرد ماسور قائلا:

– لسنا هنا للكلام عن الماضي. نحن هنا لانقاذ ما تبقى. يجب ان نضمن حياة اليهود الموجودين في المانيا.

اجتمع الرجلان لمدة احدى عشرة ساعة واتفقا عند الساعة ٦ صباحا من اليوم التالي وكان هملر خائفا من ان يقوم هتلر بالقاء القبض عليه بتهمة الخيانة العظمى.

بعد اسبوعين من سقوط المانيا، هرب هملر الى بريطانيا. فالقي القبض عليه فتناول حبوبا سامة في السجن وتوفي بعد ١٥ دقيقة. اما فليكس كرستن فاستقر في السويد.

في عام ١٩٤٩، وبعد الاطلاع على الوثائق والدور الذي لعبه، منحته الحكومة الهولندية وسام الاستحقاق.

في عام ١٩٥٣، أعطي كرستن الجنسية السويدية ومنحته وزارة الخارجية السويدية «ورقة بيضاء» رسمية تمتدح دوره في انقاذ حياة المئات من السجناء، فمارس عمله في المانيا، السويد هولندا وفرنسا الى ان توفي اثر نوبة قلبية في ١٦ نيسان ١٩٦٠.

■

نقل الموضوع من كتاب: Secrets and Stories of the War V: 2. 1963 LONDON

التاريخ الاجتماعي للإنارة

هدى سكاكيني البربير

مِن حَجر الصوّان إلى ثورة الكهرباء



المنزل – الغرفة في القرية : الإنارة والتدفئة والطهي بواسطة الموقد

● ابتداء بوسائل الانارة الأولى في العصر الحجري وحتى اكتشاف الكهرباء مرت البشرية بمراحل متعددة في صراعها الطويل ضد الطبيعة وضد نفسها من أجل تحسين ظروف حياتها ومعيشتها

كان هاجس التغلب على ظلمة الليل يؤدي تدريجياً إلى ابتكار أساليب متطورة . لكن هذه الاكتشافات ، على اهميتها ، لم تكن دائماً من نصيب كل أفراد المجتمع ، إذ انه حتى في هذا المجال الحيوي والمعيشي برزت التفرقة بين الموسرين والمعوزين على مر العصور : فكانت الطبقات العليا من المجتمع تنعم بأحدث الاكتشافات هذه ، بينما تحرم منها الطبقات السفلى ، إما بسبب غلائها الفاحش أو بسبب ندرتها .

هذا هو الاستنتاج المهم الذي يطرحه جاك لوفران في مقاله حول تاريخ الانارة والذي نشرته مجلة «ايستوريا» الفرنسية (تشرين الثاني – نوفمبر– ١٩٧٨ ، ص . ١٠٥ – ١١٥).

حجر الصوان :



منذ اكتشاف حجر الصوان دخلت البشرية عصر النار والنور . ومن بين كل ما ابتدعه الإنسان في العصر الحجري كان هذا الاكتشاف يشد إهتمامه أكثر من غيره : لذلك أخذ يركز جهوده لتطوير هذا الاختراع وإيجاد سبل أكثر سهولة للحصول على النار والنور .

عندما استطاع استخلاص الخصائص الاحتراقية لمادتي شحم الغنم والشمع تغيرت مظاهر أساسية من حياة الإنسان السابقة وبرزت الخطوات الأولى المتعثرة لحضارة الإنسان الجديد . ومن هاتين المادتين اللتين ستظلان خلال عدة قرون من أكثر الوسائل المستعملة للانارة انتشاراً ، توصل الفينيقيون ومن بعدهم الرومان إلى استخدام بعض أنواع الزيوت لهذا الغرض . من هنا نفهم لماذا كانت مواد الانارة متشابهة إلى حد كبير في العصور والعهود القديمة ، وحتى القرون الأولى من العصر الأوروبي الوسيط . فالاختلاف لم يكن يلاحظ إلا في معدات الانارة نفسها :

– بالنسبة إلى الطبقة الارستقراطية كانت هذه المعدات من البرونز ومزخرفة برسوم رائعة . أحياناً كانت على شكل تماثيل صغيرة تمثل الآلهة والأبطال الاسطوريين الذين كانت تزخر بهم كل الحضارات القديمة .

– أما بالنسبة إلى الطبقة الفقيرة والفئات المعوزة ، فكانت المصابيح البدائية المستعملة من الخشب المقطع أجزاء غير متناسقة . وكانت في الغالب تتخذ أشكالاً متعددة بتعدد الأدوات المختلفة المستخدمة في الأعمال اليدوية للفلاحين وصغار المهنيين . والملاحظ أن الشعوب القديمة كانت تكثر من استعمال معدات الأنارة ليلاً نهاراً . إن ذلك عائد في الدرجة الأولى إلى طبيعة بناء البيوت نفسها ، إن عند الاغنياء أو عند الفقراء . فالعادة المتبعة عند الفئتين ، ولأسباب مختلفة كما سنرى ، كانت عدم ترك المجال واسعاً لنفاذ نور الشمس وضوء النهار إلى داخل المنازل .

فما هي هذه الأسباب ؟

كانت بيوت الأمراء والأغنياء تتميز بارتفاع شبابيكها عن الأرض وبقلة عددها وصغر حجمها ، اضافة إلى أن الأبواب كانت ضيقة نسبياً وذلك أما لأسباب دفاعية أو لإتقاء تقلّبات الطقس في الخريف والشتاء . أما بيوت الفقراء في العصور القديمة وحتى العصر الأوروبي الوسيط فكانت تفتقر إلى الشبابيك لأنها كانت أصلاً مكونة من غرفة واحدة .

وكانت فتحة الباب ضيقة ومغلقة في النهار

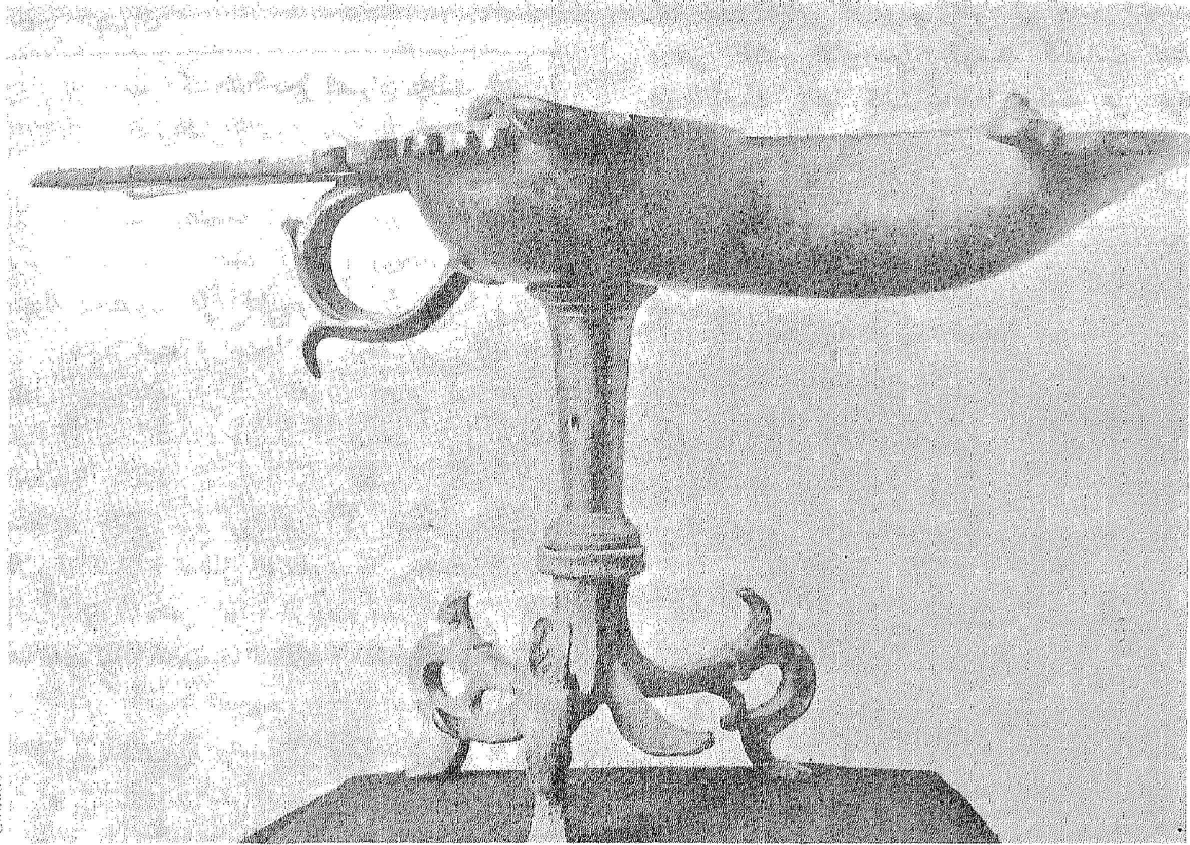


مصباح بدائي من البرونز من العصر الروماني – الاغريقي وهو ذو خمسة مساند – متحف سان جيرمان – أن – لأي

خصوصاً في جزئها الأسفل المتصل مباشرة بالأرض وذلك منعاً لدخول الحيوانات الداجنة إلى داخل الغرفة – المنزل . وهكذا لم يكن يتسرب النور إلا من الفتحة العليا للباب . وما زلنا حتى يومنا هذا نجد مثل هذه المنازل في بعض القرى والجبال النائية .

كان الفلاحون وسكان المدن يكتفون في الغالب ، من أجل انارة بيوتهم ، بنور الحطب المشتعل في الموقد . وكانت نار الموقد تستخدم أيضاً للطهي وللتدفئة . اضافة إلى ذلك كانوا يملكون نوعين من معدات الانارة البدائية .

– إما معدات من طين توضع فيها كمية من الشحم ويسبح في داخلها فتيل .



مصباح روماني بدائي من البرونز – متحف اللوفر

– أو مشعل من القماش المتوفر. صحيح ان المشعل كان يضيء المنزل في صورة أفضل إلا انه في المقابل ينشر دخاناً كثيفاً ويبث رائحة مزعجة.

أمام هذا الواقع كانت تطرح مشكلة أساسية: كيف كان يتم اشعال هذه المواد (شحم، شمع، زيوت)... ثم إعادة إضاءتها عندما تطفأ؟.

بطبيعة الحال كان حجر الصوان هو مفتاح حل المشكلة لقرون طويلة. كانت عملية صعبة، في مقاييسنا الحالية، لأنها كانت تتطلب بعض الوقت. لهذا السبب كان يتم اشعال مختلف معدات الأنارة ابقاؤها مشتعلة ليلاً نهاراً حتى تطفأ من تلقاء نفسها. هذا ما يفسر مثلاً لماذا كانت دور الأغنياء ومنازلهم مضاءة طوال الوقت. وكانت هذه العلامة من علامات الغنى واليسر. أما بيوت الفقراء المعدمين فغالباً ما تبقى مظلمة في الليل لعدم قدرة أصحابها على تحمل مصاريف الأنارة المستمرة. وعندما كان ينهض أحدهم في ظلمة الليل فإنه يكتفي بوضع قطعة صغيرة من الحطب في الموقد حيث تختمر النار تحت الرماد فتشتعل.

منذ القرن الرابع عشر كانت مادة الشمع غالية جداً ولا يتمكن من استخدامها في صورة دائمة إلا الأغنياء والموسرون. ومن المثير أن الشمعة المصنوعة من هذه المادة سمّيت على اسم المدينة الجزائرية «بوجي» (أو بجاية) والتي تقع على الخليج المسمى باسمها، ذلك ان هذه المدينة كانت تصدّر مادة الشمع بكميات كبيرة إلى أوروبا حينها. وهذه المدينة اثرية إذ يوجد فيها مسجد يعود بناؤه إلى القرن السادس عشر. وهي أصبحت اليوم نقطة استراتيجية مهمة على صعيد تصدير النفط الجزائري[١]

منذ أواخر العصر الأوروبي الوسيط ساهم انتشار النوافذ الزجاجية، التي كانت تتصدر منازل الأغنياء والنبلاء، في توفر المزيد من الانارة الطبيعية داخلها[٢]

لكن لم يستخدم الزجاج، الذي كان لمدة غالياً جداً حينها، إلا على الشبابيك الداخلية لهذه المنازل منعاً لكسرها أو حتى لسرقتها

التطور بدءاً من القرن السادس عشر :

أول ثورة حقيقية في التاريخ الاجتماعي للانارة كان اكتشاف العناصر المشتعلة للكبريت . وترافق هذا الاكتشاف الذي دفع علم الكيمياء خطوات كبيرة إلى الامام ، مع بدء انتشار التدخين واستخدام الغليون في فرنسا منذ أواخر القرن السادس عشر . وساعد هذا الأمر كثيراً في اختراع الولاعة الفوسفورية البدائية : كان يكفي من أجل اشعال الولاعة حكها بعود من الخشب مطلي بقليل من الكبريت . ولم تنتشر هذه الولاعة إلا ابتداء من القرن الثامن عشر وانحصر استخدامها بين الأغنياء والمدمنين على التدخين من الفقراء والفئات المتوسطة .

في عصر النهضة الأوروبية أخذ الحرفيون يتسابقون على صنع الشمعدانات الكبيرة والضخمة ، فمهد ذلك لإنتشار الثريات المتعددة الضلوع منذ القرن السابع عشر .

ففي فرنسا أخذت تظهر الثريات المزينة بأروع الرسوم والزخارف . وكانت مكونة من ١٢ غصناً من البرونز أو النحاس . ومن الطريف انه في قصر فرساي لم تستخدم إلا الثريات الفضية . لكن لم يبق منها حتى يومنا هذا إلا القليل القليل بسبب الحروب وحاجة البلاد حينها إلى مادة الفضة .

التطور المهم الذي حصل في القرن الثامن عشر على صعيد الانارة كان تعميم المساند المعلقة على الحيطان في المنازل والدور العامة وفي الشوارع الرئيسية من المدن الكبيرة . وكانت هذه المصابيح المعلقة تضاء بواسطة قضيب طويل على شكل بندقية . في طرفه كانت توجد قطعة من الفولاذ تحدث الشرارة أثر احتكاكها بحصة . فيما بعد اضيف إلى طرف هذه «البندقية» مادة الصوفان : هكذا تم اكتشاف مبدأ الولاعة الحديثة المعروفة حالياً .

وبحكم العادة أصبحت هذه المصابيح البدائية تستعمل أيضاً للزينة . من هنا نفسر سبب وضع الشمعدان المضاء في عز النهار على طاولة الغداء .

ويذكر المؤرخون في هذا المجال الحفلة الكبيرة التي جرت في «قاعة المرايا» في قصر فرساي يوم ١٧٤٥/٢/٢٧ بمناسبة زواج ابن الملك لويس الخامس عشر من ابنة ملك اسبانيا . يومها ظهرت



رسم لبائع المصابيح في القرن ١٨

هذه المصابيح في أجمل ترتيب لها .

ولحسن الحظ أن العلماء لم يهتموا فقط بتطوير معدات الانارة الارستقراطية وإنما سرعان ما وجدوا حلولاً لاستبدالها لمعدات الإنارة الفوسفورية وهي أكثر مرونة : ففي العام ١٧٨٤ استطاع السويسري «إيمي ارغان» استحداث ما يعرف اليوم بالقنديل الذي يمنع انتشار الدخان ويحصره في أضيق نطاق ممكن. تبعه فيما بعد الصيدلي الفرنسي «انطوان كانكي» الذي أدخل على هذا الاختراع بعض التحسينات فسمي القنديل منذ ذلك الوقت بـ «كانكي» .

وعلى الرغم أن هذا الاختراع كان في متناول أوسع الفئات إلا انه لم يجد رواجاً سريعاً : فالأغنياء وجدوا شكله قبيحاً بالمقارنة مع الشمعدانات والثريات ، والفقراء تجنبوا استعماله بسبب غلاء الزيوت وعدم توفرها في صورة دائمة .

وهكذا لم يستعمل القنديل ابتداء من

القرن التاسع عشر إلا في المخازن والمحلات والمعامل.

مع بداية القرن التاسع عشر شهدت أوروبا اختراعات علمية في مجالات عديدة. وتمحورت كل الاختراعات في مجال الانارة خلال العقود الأولى من القرن الماضي حول المصباح - القنديل الذي شهد تطويراً ملحوظاً على يد العامل المهني الفرنسي «برتران غيوم كارسيل» (حوالي ١٧٥٠ - ١٨١٢) في العام ١٨٠٠ الذي اكتشف المصباح المعدني وسمي باسمه «مصباح كارسيل».

في الفترة نفسها تقريباً اكتشف المهندس الفرنسي «فيليب لوبون» (١٧٦٧ - ١٨٠٤) غاز الانارة. لكن لأسباب مجهولة استعمل في بريطانيا قبل استعماله في فرنسا.

وفي كانون الثاني ١٨٣١ اخترع الطالب الفرنسي شارل صوريا «الكبريت الكيميائي» الذي صنع في المانيا ثم في السويد قبل أن يصنع في فرنسا. كان هذا الاختراع مهما إذ لم تعد هناك حاجة لشرارة من أجل انارة هذا الكبريت.



الاحتفال بإنارة الشوارع بالمصابيح المعلقة في العام ١٦٦٦

الحفلة الكبيرة فى فرساى فى العام ١٧٤٥

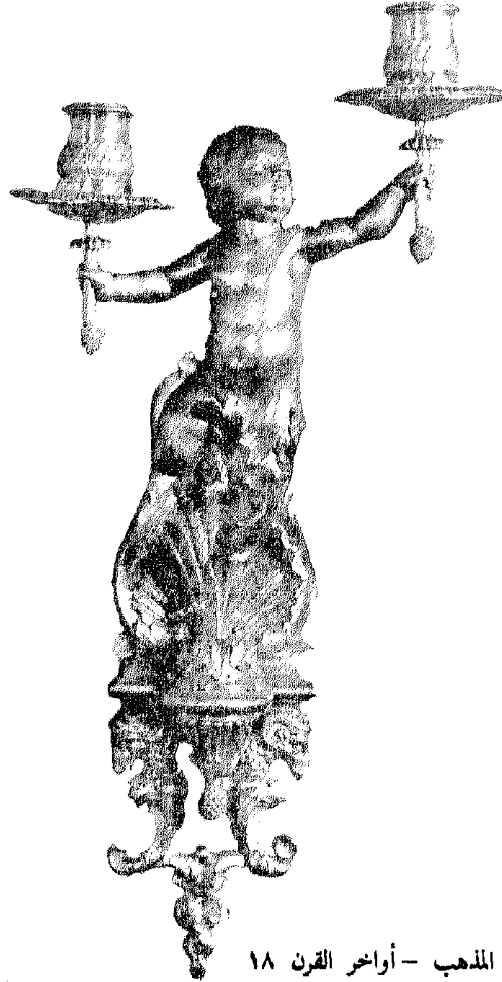


وفي العام ١٨٥١ ظهر أول مصباح بترولي.

أما الطاقة الكهربائية التي كانت معروفة منذ اختراع العالم الالماني أوتو فون غيريك (١٦٠٢ - ١٦٨٦) أول آلة كهربائية، فإنها لم تستخدم للانارة في فرنسا إلا حوالي العام ١٨٦١ في مدينة صغيرة تقع في مقاطعة سافوا، وهي مدينة «لاروش - سور - فورون»[٣].

... وكانت الثورة الثانية على صعيد الانارة. لكنها حتماً ليست هي الثورة الأخيرة.

■



شمعدان من البرونز المذهب - أواخر القرن ١٨

الهوامش

(١) من المفيد ان ينكب الباحثون العرب على إعادة نبش تاريخ هذه المدينة لاستقصاء حقيقة دورها في مجال تصدير الشمع، اضافة إلى ضرورة كتابة تاريخ الانارة في مجتمعاتنا العربية نظراً إلى أن المقال المنشور هنا لا يتناول هذا الموضوع الا ضمن الأطار الأوروبي والفرنسي بالتحديد.

(٢) كان اكتشاف الزجاج من الثورات الصناعية المهمة في تاريخ البشرية. ويشير كاتب المقال جاك لوفوان ان تاريخ هذا الاكتشاف مجهول. ويقول أحد المؤرخين المطلعين وهو جان فوريستييه ان الإنسان كان يعرف صنع الزجاج منذ القدم، لكن لم يستطع أن ينتج الواحاً زجاجية من ٨ إلى ١٠ سم مربع إلا في العام ١٠٠٠.

(٣) هل صدفة ما قامت به حينها السلطة المركزية الفرنسية عندما ضمت هذه المقاطعة اليها نهائياً في العام ١٨٦١، وذلك أثر نجاحها في ضرب سلطة الاقطاع السافوي الذي حكم المنطقة منذ القرن الحادي عشر ميلادي؟.

أراجيز عربية قديمة لترقيص الأطفال

الحلقة الثانية

بقلم : ڤيبكة ڤالتر   ترجمة : محمد علي حشيشو



ماريونيت تستعيد التاريخ العربي وتسلي الصغار

أراجيز أرقصت الكبار :

ويقال إن قطع شعر الرقص التالية قد رددت من الكبار لإرقاص شخصيات معروفة من العصر الجاهلي أو من القرنين الأولين من التاريخ الإسلامي وذلك في طفولتهم. ويقال إن هنداً بنت الأوقص بن لجيم، وهي أم فزارة بن ذبيان. الجد الأسطوري لقبيلة عربية شمالية، أرقصت ابنها فزارة الصغير على الأبيات التالية :

إن تشبه الأوقص أو لجيماً
أو تشبه الأحنف أو لهيما
تشبه رجالاً يمنعون الضيما

ونجد أبياتاً مشابهة مع قليل من الاختلاف لدى (Lyall) صفحة ٩٦ وما تلاها :

إن تشبه الأ قصى او لهيما
أو عجل أو حنيفة أو لجيما
بنيّنا فزار تشبه قوماً
بيض الوجوه يمنعون الضيما

والأغلب أن يكون الشعر من العصر الجاهلي، فهو ينطق بروح سيطرة الأم : فالأمثلة العليا التي يجب على فزارة أن يتشبه بها كلها من أقارب الأم فقط، وهم، حسب فوستنفلـــــــد «Wustenfeld

، « , Genealogische Tabellen
أب الأم وجدها وأخوة أب الأم .

وتتناول الأبيات التالية كذلك الأمثلة العليا التي تذكرها منفوسة ، ابنة البطل البدوي الأسطوري زيد الفوارس ، لابنها الصغير حكي وهي تنشدها له (لسان العرب ، تحت هـ - ل - ف) :

أشبه أبا أمك أو أشبه عمل
ولا تكونن كهلوف وكل
يصبح في مضجعه قد انجدل
وأرقى إلى الخيرات زنأ في الجبل

وكما يقول ابن بري فإن عمل هو اسم خال قيس بن عاصم ، زوج منفوسة ، وقد يكون هذا القول قد اعتمد على الاعتقاد السائد بأن صفات الخال هي التي تورث بشكل خاص . ويقال بأن قيس بن عاصم عندما سمع هذه الأبيات شعر بأنه أهمل . وعلى أثر ذلك استطردت زوجته على الوجه التالي (لسان العرب ، نفس المكان) :

أشبه أخي أو أشبهن أباكا
أما أبي فلن تنال ذاكا
تقصر أن تناله يداكا

وتظهر نفس الأبيات في كتاب النوادر لأبي زيد ، صفحة ٢٩ ، السطر الرابع من الأسفل ، مع اختلافات بسيطة : فالإسم في البيت الأول يتغير إلى حمل ، وهو اسم يذكر كثيراً ، بينما لم أجد أي شاهد أو مكان آخر لاسم عمل . ويبدو البيت الثالث على الوجه التالي : تبيت في مقعده قد انجدل . وهنا أيضاً ترد صيغة الخطاب «أشبه أبا أمك» خلافاً لـ «أبي» في القطعة الثانية . بحيث يبدو الأمر أكثر احتمالاً بأن الأب وليس منفوسة قد أنشد للطفل الأبيات الأولى ، مما دفع بها إلى أخذ الطفل منه وتلاوة القطعة الثانية .

وهذان البيتان التاليان اللذان أرقصت بهما أم عقيل . أم علي بن أبي طالب ، أخاه الأكبر عقيل الذي دخل الإسلام متأخراً وذلك في طفولته حسبما جـاء في «خزانـة الأدب» للبغـدادي ، م ٤ ، صفحة ٤١ ، ١٦ :

أنت تكون السيد النبيل
إذا تهب سمأل بليل.

ومن المحتمل أن معنى البيت الثاني هو : «عندما تحل أوقات عصبية قاسية» .

ويقال ان الأبيات التالية أيضاً صدرت عن أم عقيل حين كانت ترقصه عليه وتقبله (الخزانة ، م ٤ ، صفحة ٤١ ، ١٤) :

إن عقيلاً كاسمه عقيل
وبيبي الملقف المحمول
يعطي رجال الحي أو ينيل

ويقال إن ضباعة بنت عامر بن قرط ، وهي مكية دخلت الإسلام مبكراً ، أرقصت ابنها على الأبيات التالية (القالي ، الأمالي ، م ٢ ، ١١٧ ، سطر ١ - ٣) :

نما به إلى الذري هشام
قرم وآباء له كرام
جحاجح خضارم عظام
من آل مخزوم هم الأعلام
الهامة العلياء والسنام

وتعرب هذه القطعة عن التمني بأن يزداد اعتبار الأب بفضل الابن ، تعرب عن التمني كذلك بحياة ناجحة للابن تقوم على الإعتزاز والفخار بكرم المحتد والآباء . وليس اسم الابن المغيرة بن سلامة ، كما أورد القالي في المكان المذكور ، وإنما سلامة بن هشام ابن المغيرة ، إذ أن ضباعة بنت عامر ، وهي حسناء جميلة مشهورة ، تزوجها هشام ابن المغيرة من قبيلة مخزوم المكية المعروفة[9] .

ويروي أن أم حكيم بنت عبد المطلب . جدة الخليفة عثمان لأمه ، أرقصت هذا في طفولته على الأبيات التالية (البلاذري ، أنساب الأشراف ، صفحة ١ ، سطر ٧ وما تلاه) :

ظني به صدق وبر
يأمره ويأتمر
من فتية بيض صبر
يحمون عورات الدبر
ويضرب الكبش النعر
يضربه حتى يخر
من سرر (!) ومن أخر.

وتبدو القطعة ، رغم أنها من بحر الرجز ، ذي الإيقاع المرقص ، إنها من حيث المضمون نصاً دعائياً موالياً للحكم في الفترة التي اشتدت الحملة فيها على عثمان من خصومه وحين ازداد الأستياء منه . وكما يبـدو فإن الأسطر الثلاثة الأخيرة تتعلق بأكباش

الضحية. وليس من الواضح ما يقصد بـ (سرر) في الشطر الأخير، وهي غير مشكلة عند Giotein) أيضاً، وربما قصد بها سرر أو سرر، جمع سُرّة.

وكالرواية السابقة، فإن هنداً بنت عتبة، أم الخليفة معاوية، أرقصت الأخير في طفولته على الأبيات التالية (القالي، الأمالي، م ٢، صفحة ١١٦، ١٤ - ١٦):

إن بني معرق كريم
محبب في أهله حليم
ليس بفحاش ولا لئيم
ولا بطخرور ولا سئوم
صخر بني فهر به زعيم
لا يخلف الظن ولا يخيم.

وفي هذه القطعة أيضاً لا نشعر أن الأبيات قيلت لطفل، وإنما نظمت لغرض دعائي. ويمكن الاعتقاد بأن القطعة تعود إلى فترة المعارك التي كانت جارية بين معاوية وعلي على الخلافة وغايتها التأكيد على فضائل معاوية بالمقارنة بعلي. ومما يؤيد ذلك أيضاً أن معاوية يوصف «بالحليم»، وهي صفة امتاز بها معاوية، ولكنها عرفت عنه في كبره، ولا يمكن أن تكتشف فيه في سن الطفولة بحيث يوصف بها وهو لا يزال طفلاً صغيراً.

ويقال ان فاطمة ابنة الرسول محمد أرقصت ابنها الحسين على البيتين التاليين:

إن بنى شبه النبي
ليس شبيهاً بعلي

وينطبق هذا القول من حيث المضمون على بعض الأحاديث التي تذكر بأن محمداً قال عن الحسين بأنه من صنوه. ومن المعتقد أن الروايتين تعودان إلى الفترة التي رجا فيها أنصار الحسين، بعد فشل علي، بأن يتولى ابنه الحسين الخلافة من بعده. وقيل إن صاحب الرسول، الزبير بن العوام، أرقص ابنه عروة، وهو محدث هام، على الأبيات التالية في طفولتـــــــه (الإبشيهي، المستطرف، كم ٢، صفحة ١٠، ١٣):

أزهر من آل بني عتيق
مبارك من ولد الصديق
ألذه كما ألذ ريقي.

ونجد الأبيات نفسها عند الجاحظ، كتاب البيان، م ١، صفحة ٧٤، ٢٢، وفي العقد، م ٢، صفحة ٤٣٩، ٨ - ٩، ولكن باختلافات بسيطة في مضمون البيت الأول: أبيض من آل بني عتيق. وهكذا فالبيتان يمدحان أصل عروة العريق: فقد كان عن طريق أمه حفيداً للخليفة الأول، أبي بكر، الذي يدعى هنا بلقبه عتيق وصديق. وتعتبر القطع التالية التي تحتوي مديحاً لمختلف أسلاف الأسرة العباسية تزويراً تم في العهد العباسي. فيقال إن الزبير بن عبد المطلب، أحد أعمام الرسول، الذي دخل الإسلام متأخراً، أخذ بحضور محمد أخاه الأصغر العباس، جد العباسيين، وأجلسه في حجره وراح يقول (القالي، الأمالي، م ٢، صفحة ١١٦، ١٤ - ١٦):

إن أخي عباس عف ذو كرم
فيه عن العوراء إن قيلت صمم
يرتاح للمجد ويوفي بالذمم
وينحر الكوماء في اليوم الشبم
أكرم بأعراقك من خال وعم.

ويلاحظ أن البيت الثالث والأخير نظما ليناسبا الدعاية للعباسيين بشكل خاص. إذ يمكن أن نفهم من كلمة «الذمم» العهود والاتفاقات التي أبرمت مع أهل الذمة من رعايا الخلافة. أما البيت الأخير فيشير إلى شرعية مطلب العباسيين التي تقوم على كون عباس ابن عبد المطلب عماً للرسول.

ويقال إن الزبير ردد الأبيات التالية لضرار ابن عبد المطلب، وهو أخ صغير للعباس، توفى مبكراً دون خلف (نفس المرجـــع، صفحـــة ١١٥، ١٨ - ١٩):

ظني بمياس ضرار خير ظن
أن يشتري الحمد ويغلي بالثمن
ينحر للأضياف ربات السمن
ويضرب الكبش إذا البأس ارجحن.

ويمتدح هذا الشعر في ضرار مختلف الفضائل العربية القديمة: السخاء إزاء من يمدحونه، وكرم الضيافة، والإستعداد للتضحية بالذبائح عند الحاجة.

ويختلف الأمر في القطعة التالية. فبعد أن ردد الزبير على إخوته وابنته أم الحكم أبياتاً شعرية



امتدحهم فيها ، دخلت عليه جارية اسمها ام مغيث ، ورجته أن ينشد بضعة أبيات لابنها مغيث أيضاً . وعندئذ أمر باحضاره سريعاً وأرقصه على الأبيات التالية (نفس المرجع ، صفحة ١١٦ ، ٥ – ٧) :

وإن ظني بمغيث إن كبر
أن يسرق الحج إذا الحج كثر
ويوقر الأعيار من قرف الشجر
ويأمر العبد بليل يعتذر
ميراث شيخ عاش دهراً غير حر

ويقول البكري في تعليقه على «الأمالي» إن البيت ما قبل الأخير ورد في كتاب «الترقيص» كما يلي : ويأمر العبد بليل يمتدر (السمط ، م ٢ ، ص ٧٤٤ ، ٣). ولا يبدو المضمون واضحاً تماماً ، ولكنه لا يحتوي أي مديح خلافاً للقطع السابقة ، وإنما يتنبأ لمغيث الصغير «ميراث شيخ عاش دهراً غير حر» ، أي مصير جده الذي كان عبداً مثله ، ويتوقع منه أعمالاً خاملة الذكر.

وفي مجموعة أشعار الأطفال المرقصة يورد القالي كذلك القطعة التالية التي تتعلق كذلك بأحد العباسيين . فيقال إن أم الفضل بنت الحارث الهلالية أرقصت بالأبيات التالية ابنها عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، الذي اشتهر كمحدث مكثار (نفس المرجع ، ص ١١٧ ، ٧ – ٨) :

ثكلت نفسي وثكلت بكري
إن لم يسد فهراً وغير فهري
بالحسب العد وبذل الوفر
حتى يواري في ضريح القبر.

وقد أدت الآمال الفخورة الطموحة التي وضعتها أم في ابنها إلى التعبير عن القطعة التالية وهي آخر القطع في هذه المجموعة . ففي ديوان الخطيئة ، ص ١١١ ، رقم ١٢ ، جاء أن ابا الجراح روى أنه مر بأعرابية كانت ترقص ولدها وتغني :

على يوم يملك الأمورا
صوم شهور وجبت نذورا
وحلق رأسي وافراً مضفوراً
وبدناً مذرعاً منحوراً

وعلى أثر ذلك سألها : «ويحك ، أتتمنين لابنك أن يتولى الخلافة»؟ فأجابت : «وما يمنعني من

ذلك؟». وقيل إنها كانت خيزران، أم الخليفتين الهادي وهرون الرشيد، وكانت جارية بربرية اعتقها الخليفة المهدي عام ١٥٩هـ ثم تزوج بها.

إن أبيات الترقيص هذه، وإن كان بينها ما تفتقت عنه المخيلة الأدبية، ذات أهمية من الناحية التاريخية الحضارية. ومع أن بعضها فقط يلقي بعض الضوء على الحياة العائلية العربية القديمة، ولكنها تكشف عن المثل الأعلى بين مقاييس الفضيلة عند قدماء العرب. فعلى عكس الأغاني الألمانية التي تردد للأطفال عند مداعبتهم في ركوب ركب أو أكتاف الآباء، فإن قليلاً من هذه القطع الشعرية العربية ذو طابع طفولي حقيقي، والأقل من ذلك تتميز بالعنصر الشكلي من ايقاع وقافية ووزن، أما في المضمون والمعنى فتميل إلى تداعي الأفكار غير المعقول بدلاً من إظهار الترابط المنطقي المعقول[١٠]. ومع أن الوزن والقافية وما ينجم عن ذلك من طابع خاص تلعب هنا دوراً لا يستهان به، إلا أن مضمون عدد ضئيل جداً من هذه القطع ينم عن النية في اتخاذ دور الطفل أثناء مداعبته وترقيصه. ومن الناحية الشكلية البحتة ندرك ذلك من استعمال ضمير «أنت» لمخاطبة الطفل في عدد ضئيل من هذه القطع الشعرية، بينما يظهر الطفل في أغلبها مشاراً إليه بصيغة الغائب. ويحتوي أغلب القطع كذلك على أفكار الكبار عن الطفل، ومشاعرهم تجاهه، وتمنياتهم له في الحياة المقبلة بوجه خاص. وندرك إلى جانب حب الطفل والإعتزاز به ندرك بالدرجة الأولى التفاخر بالآباء والأجداد المشهورين والرغبة والتمني في أن يتخذهم الطفل مثلاً أعلى وأن يتشبه بهم في المستقبل، وأن يعمر طويلاً ويظل معتبراً محبوباً. ومن القطع القليلة الخاصة بالبنات يهدف بعضها تعزية الوالدين بولادة البنت. وينطق البعض بالفرح والسرور لشكل البنت الصغير اللطيف، ويعرب أغلبها عن الرغبة والأمل في ان تتزوج البنت وتنال زوجاً كريماً. ومن مجموع هذه الأبيات يمكن أن نستخلص سلسلة من الصفات التي كان العرب في ذلك الزمن يقدرونها في الرجل: كرم المحتد، وزكاء القلب، وكرم الضيافة، والسخاء في العطاء، والجلد والصمود، والاستقامة، والحلم، والشجاعة، والحيوية.

إن اغاني الأطفال والأراجيز على اختلاف أنواعها، والترانيم وأبيات الترقيص وغير ذلك من أغاني وأشعار الأطفال الترفيهية تتمتع اليوم بحب كبير في العالم العربي. وهي تذاع من محطات الاذاعة والتلفزيون، كما أن صناعة الاسطوانات أخذت في تسجيلها. وقد قام اينو ليتمان (E. Littmann) وهـ. غرانكويست (Granqvist) بجمع نصوص ترانيم تهويد الأطفال[١١] وفي العصر الحاضر الذي أصبحت اللهجة الدارجة هي وسيلة التفاهم السائدة في اللغة في البلاد العربية، فقد نظمت هذه الترانيم والاغاني كذلك باللهجة الدارجة. وما يميزها عن الأشعار التي بحثناها أعلاه هو التقدم الكبير في قوة تحسس نفسية الطفل، والوداعة والبراءة الطفوليتان اللتان يتم التوصل اليهما باستخدام كلمات في لغة الأطفال ومفاهيم وتصورات وتشابيه من عالم الطفل، بحيث تبدو شبيهة جداً بأغاني الأطفال المعروفة عندنا.

■

(٩) راجع ابن سعد. الطبقات. المجلد ١٧ ص ٩٦ وما تلاها.

(١٠) راجع مقال P. Merker, W. Stammler: Kinderlied

B.H. Naumann Reallexikon der deutschen Literaturgeschichte, Bd. I, Berlin 1926/8.

(١١)

Littmann: Neuarabische Volkspoesie, S. 56-8, 134-7; Granuqvist: Birth, S. 118-20; St. H. Stephan: Palestinian Nursery Rhymes and Songs, JPOS 11 (1931), S. 62-85.

مختارات من المراجع

أبو زيد، كتاب النوادر في اللغة. بيروت

أبو الفرج الاصبهاني : كتاب الأغاني . ج (٣) القاهرة ١٩٢٩/١٣٤٧ . ج ١٣ و ١٨ نشر أحمد الشنقيطي . القاهرة بدون تاريخ .
العيني : شرح الشواهد الكبرى . ج ٢ . بولاق ١٢٩٩ .
البيهقي : كتاب المحاسن والمساوئ . نشر شفالي عام ١٩٠٢ .
البكري : سمط اللآلي . ج ٢ ، القاهرة ١٩٣٧/١٣٥٦ .
البلاذري : أنساب الأشراف ، الجزء ٥ . القدس ١٩٣٦ .
ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ، تحقيق زاخاو لايدن ١٩٠٥ - ١٩٤٠ .
إبن إياس : شرح المفصل . نشر يان لايبزغ ٨٨٢ - ١٨٨٦د .
الابشيهي : كتاب المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ٢ ، مصر ١٩٠٢/١٣٢٠ .
ابن عبد ربه : كتاب العقد الفريد ، ج ٢ ، القاهرة ١٩٥٦/١٣٧٥ .
محمد بن مكرم بن منظور : لسان العرب ١ - ٢٠ بولاق . ١٣٠٠ - ١٣٠٧ .
البغدادي : خزانة الادب ، ج ٤ ، بولاق ١٢٩٩ .
ابن دريد : كتاب الاشتقاق . نشر ف . فوستنفلد .
ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، نشر م . ي .دي
القالي : كتاب الأمالي في لغة العرب ، ج ٢ ، القاهرة ١٩٢٦/١٣٤٤ .
السهيلي : كتاب الروض العنف ، مصر ١٩١٤/١٣٣٢ .
السيوطي : كتاب بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . مصر ١٩٠٨/١٣٢٦ .
الطبري : تاريخ الطبري . نشر (11. Ser. M.J. de Goeje) ، لايدن ١٨٨٣/١٨٨١ .
الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس ، ١ - ٢٠ ، مصر ١٣٠٦ - ١٣٠٧ .
ياقوت : إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب . نشر (D.S. Margoliouth.) ج ٥ ،
لايدن ، لندن ١٩١١ . GMS VI, 5.
المفضليات ، نشر اكسفورد ١٩١٨ - ١٩١٢ .
نقائض جرير والفرزدق . نشر لايدن ١٩٠٨ - ١٩١٢ .
نشرت هذه المقالة بالالمانية في
Studia Orientalia in memoriam Garoli Brockelmann, Halle 1968.
ثم ترجمت إلى العربية و نشرت في مجلة فكر وفن العدد ١٨ .



● يجب أن نلبس الحقائق التي نشاهدها ثوبا خياليا أو روحيا كما يجب أن نسعى لتحقيق الأماني الخيالية الروحية التي تنزع اليها نفوسنا .

دوماس الصغير

● السعادة تترتب على العواطف أكثر من ترتبها على الحوادث .

لوردا فبري

● الصداقة تقوم مقام كل شيء فانها تزيد اغتباطنا في أفراحنا وتخفف حزننا في أتراحنا .

امرسن

الحرب العالمية الأولى

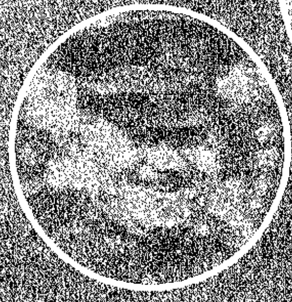
محمد أمين فرشوخ











عودة الى التاريخ الأوروبي الحديث تبرهن في صورة لا جدال فيها، ان الكل سارعوا في دخول الحرب كمن كان ينتظرها ولكنهم بدوا في عجلة من أمرهم للخلاص من أتونها عند أول فرصة سانحة.

ففي ١٩١٤/٦/٢٨ تجرأ طالب صربي على اغتيال ولي عهد النمسا وزوجته في مدينة «سيراييفو» المحظوظة. وكانت شرارة الحوادث الدامية، الخالية من أي معنى، والتي أودت – خلال أربعة أعوام وثلاثة أشهر وعشرة أيام ويضع ساعات مثقلة بآلام عظيمة بمستوى آمال البشرية في السلام – بحياة تسعة ملايين نسمة تقريباً، عدا ملايين الجرحى والمعطوبين والمشوهين من البشر وليس من الحيوانات. وكان الرقم القياسي للشهداء من حظ الشعب الروسي (مليونا قتيل).

على إثر حادث ٢٨ حزيران/يونيو استيقظت الحكومات وكأنها كانت على موعد... للقاء الحار:–

– في ٢٨ تموز/يوليو أعلنت النمسا الحرب على صربيا.

– في آب/أغسطس أعلنت ألمانيا الحرب على روسيا القيصرية.

– في الثالث منه أعلنت ألمانيا الحرب على فرنسا.

– في الرابع منه أعلنت انكلترا دخولها الحرب الى جانب فرنسا وبلجيكا.

– في السادس منه أعلنت النمسا الحرب على روسيا القيصرية.

– في الثالث والعشرين منه أعلنت اليابان الحرب على ألمانيا.

– في ٢٩ تشرين الأول/أكتوبر دخلت تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا.

– في ٣ تشرين الثاني/نوفمبر أعلن الحلفاء الحرب على تركيا.

...باستثناء ايطاليا التي لم تدخل الحرب إلى جانب الحلفاء إلا في ١٩١٥/٥/٢٠ وأمريكا في ١٩١٧/٤/٢ .

العرب والحرب

خلال الحرب العالمية الأولى ، أربع دول عربية أدلت بدلوها في شكل أوفي آخر ، وهي مصر وليبيا والعراق وفلسطين .

– فور اندلاع شرارة الحرب باشرت بريطانيا بتحصين قناة السويس بمساعدة فرنسا ، كما عززت قواتها فيها . من جهة أخرى استفادت تركيا من هيستيريا القتال وأخذت تعد العدة لتحرير مصر من الاحتلال الاستدماري البريطاني . بدأت الحملة العسكرية للباب العالي ، جدا ، في ١٩١٥/١/٢٦ . ففشلت . وظلت تراود حكام تركيا العثمانية فكرة إعادة الكرة ، إلا أن ذلك لم يحصل ، إذ أن شعب مصر هو الذي حرر بلاده .

– في خريف ١٩١٥ ثار السنوسي – وبدعم من الأتراك الفاشلين في تحرير مصر قبل أشهر – ضد القوات البريطانية المتمركزة فوق الأراضي الليبية . لكن يبدو أن الأتراك نقلوا عدوى فشلهم المتمادي إلى ثوار السنوسي أنفسهم . فأخمدت ثورتهم في العام ١٩١٦ .

– منذ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٤ بدأت القوات البريطانية بالزحف على العراق بحجة حماية أنابيب النفط العائدة إلى شركة النفط الانكليزية الايرانية . ويبدو أن إمبراطورية الشمس الغاربة كانت السباقة في اختراع مثل هذه الحجة لتحريك فصائلها المسلحة . وفي ١٩١٧/٣/١١ نجحت بريطانيا في احتلال بغداد .

– أما فلسطين الحبيبة الجريحة فيبدو أنها كانت على جدول أعمال أهم الاجتماعات الديبلوماسية والعسكرية . ولم يعرف الشعب يومها إلا أن الزحف العسكري البريطاني نحو بلاده بدأ في أواخر العام ١٩١٦ ووصل إلى القدس – القلب في أواخر العام ١٩١٧ .

كبار ضباط الحرب

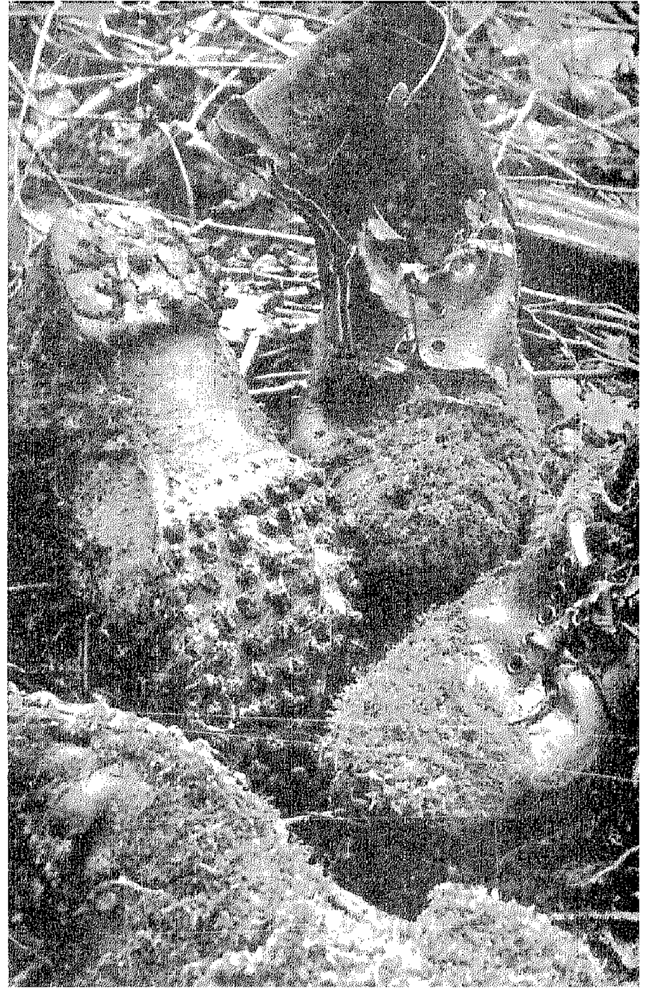
إذا كان من السهل وضع لائحة لجميع ضباط الحرب العالمية الأولى على جميع الجبهات ، إلا أنه من الصعب اختيار أسماء الذين كانوا فعلا رموز هذه الحرب . وهذه محاولة أولى على سبيل التجربة :



خوذة جندي رافقت نمو شجرة الربيع : السلام الملغوم .

– **الماريشال الألماني هيندنبورغ** (١٨٤٧ – ١٩٣٤) . استدعي في العام ١٩١٤ ، بعد ٣ سنوات من تقاعده ، لانقاذ الجيش الألماني من الانهيار أمام القوات الروسية القيصرية . في تشرين الثاني/نوفمبر من العام نفسه عين قائداً عاماً للجبهة الشرقية حيث استمر في منصبه حتى آب/اغسطس ١٩١٦ ، تاريخ استلامه القيادة العامة للقوات المسلحة الألمانية . تحت ضغط الهجوم المضاد للحلفاء على معظم الجبهات الرئيسية ، اضطر للاستسلام في العام ١٩١٨ . بعد سبع سنوات من انتخابه مستشاراً لألمانيا المهزومة عسكرياً ، تنازل راضياً مرضياً عن منصبه لأدولف هتلر (١٩٣٢) .

– **الماريشال الانكليزي اللورد كيتشنر** (١٨٥٠ – ١٩١٦) . في العام ١٩١٤ تسلم منصب وزير الحربية ثم ترأس في العام ١٩١٦ البعثة الخاصة المتوجهة بحراً نحو روسيا القيصرية ، لكن سفينته أغرقت .


أقدام الحرب مكسوة بعفن الأرض والتاريخ.

- **الأميرال الانكليزي سيرجون جيليكو** (١٨٥٩ - ١٩٣٥). ترأس الاسطول البحري الملكي (١٩١٤ - ١٩١٦) وأصبح بعد انتصاره في معركة جوتلاند الشهيرة ضد البحرية الألمانية (٣١/٥ - ١/٦/١٩١٦) وزير البحرية البريطانية (١٩١٦ - ١٩١٧).

- **الجنرال الألماني فون مولتكه** (١٨٤٨ - ١٩١٦). اشترك في الحرب ضد فرنسا (١٨٧٠ - ١٨٧١). في العام ١٩٠٦ عين رئيس هيئة أركان القوات المسلحة الألمانية. حاول في آب/أغسطس ١٩١٤ تطبيق الخطط العسكرية السابقة في الهجوم على فرنسا، لكنه فشل في معركة المارن (٥ - ١٠/٩/١٩١٤). أقيل من منصبه في ١٥/٩/١٩١٤.

- **الجنرال الأميركي الهوية جون بيرشينغ** (١٨٦٠ - ١٩٤٨). قائد القوات الأميركية على الجبهة الفرنسية (١٩١٧ - ١٩١٨).

- **الجنرال الفرنسي فوش** (١٨٥١ - ١٩٢٩). شارك، بصفته قائداً للجيش الفرنسي التاسع، في معركة المارن الظافرة. في العام ١٩١٦ قاده بالتعاون النشيط مع الماريشال البريطاني دوغلاس هايغ (١٨٦١ - ١٩٢٨)، قائد القوات البريطانية على الجبهة الفرنسية (١٩١٥ - ١٩٣٨)، معركة السوم ضد القوات الألمانية (تموز/يوليو - تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٦). أصبح في العام ١٩١٧ رئيساً لهيئة أركان القوات المسلحة الفرنسية وعين في العام ١٩١٨ قائداً عاماً لقوات الحلفاء على الجبهة الغربية، ثم بعد فترة على جميع الجبهات، قاد، بدءاً من ١٨/٧/١٩١٨، الهجوم المضاد الشامل الذي ادى الى انتصار الحلفاء في الحرب.

- **الماريشال الانكليزي اللنبي** (١٨٦١ - ١٩٣٦). في العام ١٩١٧ عين قائداً للقوات البريطانية في فلسطين واستطاع كسر شوكة القوات التركية في عدة معارك واستولى على القدس ودمشق وحلب. كان له الثقل الرئيسي في قيادة المعارك الحاسمة ضد العثمانيين مما اضطر تركيا للاستسلام في ٣٠/١٠/١٩١٨. في العام ١٩١٩ رقي إلى رتبة ماريشال وعين مفوضاً سامياً في مصر (١٩١٩ - ١٩٢٥).

انتهت الحرب الأولى وبدء التحضير للثانية

من من آبائنا يذكر ماذا كان يعمل عند الساعة الخامسة من صباح ١١/١١/١٩١٨، عندما وقعت ألمانيا ما قبل الهتلرية وثيقة الاستسلام؟ نترك الجواب للمذكرات الشخصية المهم أن المؤرخين متفقون على نقطة مركزية وهي أن حدثين رئيسيين عجلا في إنهاء عمل طاحونة القتل والدمار:

- دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب بكامل ثقلها.

- اندلاع ثورة أكتوبر الاشتراكية في روسيا.

والمثير أن هذين الحدثين ذاتهما - في طبعتهما المنقحة (أي بدء الهيمنة الأمريكية على أوروبا والبلاد التي تحتلها وتدعيم النظام الاشتراكي السوفياتي) كانا محور نقطة الارتكاز النازية في تفجيرها للحرب العالمية الثانية بدءاً من ١/٩/١٩٣٩. فماذا كان يفعل آباؤنا يومها؟.

شاطئ العاج

نظرة تاريخية


رئيس الجمهورية وعقيلته.

«في البدء خلق نياميان (الله) سبعة قبائل، لها ينتمي كل سكان الارض. وكل لدورها كانت تترك (ابولي) أي مكانها الأول: مهد الانسانية وتنزل الى الأرض في أحواض صغيرة برونزية (ابيوا) تبقى مرتبطة بالسماء بواسطة أسلاك...».

هكذا بدأت الانسانية تمتلك الأرض حسب أسطورة يعتقدها شعب نزيما (NZIMA) في ساحل العاج. في الأزمنة القديمة – يقول المعمرون بالتواتر – إن الأجداد القدماء كانوا يعيشون في المنطقة الغابية من البلاد الحالية، وهي في مجموعة قبائل تسمى ماكوي (Magwé)، وهؤلاء هم الذين كونوا، فيما بعد، القرية الوحيدة، مصدر السكان الموجودين حاليا ما بين نهر ايبو (ساساندرا) حتى نهر يو (بانداما)، وقد كانوا في عزلة عن كل المجموعات البشرية الأخرى. كانوا بدائيين لا يعرفون حتى التحطيب والنسج، ثروتهم الوحيدة رعاية الماشية.

أما اكتشاف خليج غينيا فله قصة طويلة مع التاريخ، بدأت مع مغامرين يعتقد أنهم بدأوا منذ القرن الخامس ق. م. يتوافدون على هذه الجهات، وتحكي الاساطير في القرطاجيين أتوا هذه السواحل منذ ٢٥٠٠ سنة على سفن ذات خمسين مجذافاً تحمل ٣٠,٠٠٠ رجل وامرأة ٠٠٠ لكن هذه الذكرى المحفوظة رفضها المؤرخون المحدثون وقالوا أنها اذا كانت قد حصلت، فحتماً لم تتقدم السفن المغامرة لأكثر من رأس جوبي.

أما الاوروبيون فلم يقصدوا هذه الجهات – كما يذكر التاريخ القديم – لكن حفريات ١٩٧٤ اكتشفت قطع عملة رومانية ضربت بين سنوات ٣٣٠ و ٣٤٠ أيام الامبراطور قسطنطين الأول وابنه، ولم يقل الاختصاصيون بعد، في ذلك، كلمتهم الأخيرة.


ابيدجان العاصمة
تمدن وازدهار

أما الاكتشاف الحقيقي والعملي لخليج غينيا فقد تم على أيدي البرتغاليين بتشجيع من هنري الشاب الملقب بالملاح (١٣٩٤ – ١٤٦٠) وكرت السبحة ... ومن بين البحارة الرواد واحد فلمندي جاب خليج غينيا في عام ١٦٠٠ وسجل هذه الكلمات: «... بعد ساحل مالاكات حيث السوق الكبرى... للحبوب والعاج ... وخمر البلح السلس المذاق.. نجتاز رأس النخل حتى نصل الى مجموعة من الأنهر.. هناك نقايض على الانياب العاجية... وبعيداً عن الضفاف، يوجد عدة قرى، كنا نراقبها ونحن نجتاز المياه بقواربنا ... هؤلاء السكان كانوا مفاوضين بارعين لذا كانت قوارب التجار قليلة في هذه الجهات ... حيث عمق المياه أكثر من عشرين ذراعا، وكانوا صناعاً ماهرين يحيكون الثياب الصوفية ويبادلونها مع سكان ساحل الذهب، والذهب كنا نجده أحياناً معهم ولكن بكميات قليلة، لقد بدأ يقدرونه اليوم. كنا نأخذ منهم: الذهب والعاج والبهارات والرقيق وذلك مقابل: قناديل، نظارات، مفاتيح، أقمشة، مزامير طينية، قصاع وأحيانا: لآلىء فينيسية ودبابيس أو مرايا، تلك كانت «بضائع» التجار والهولنديين منهم بشكل خاص وهم الذين حلوا محل البرتغاليين في القرن السابع عشر على هذه السواحل ...».

وفي أواخر هذا القرن – السابع عشر – بدأ انتشار اسم «شاطئ العاج» على هذه المنطقة بخاصة مع انتشار الاستعمار.

بدء التغلغل الاوروبي

مع ازدياد اهتمام الاوروبيين بالتجارة مع افريقيا انطلقت مفاهيم جديدة في التداول: «لقد رأينا وسمعنا ما فيه الكفاية عن تلك الأراضي الجديدة، وحان الوقت الآن لاستعمارها»... وفعلا بدأ الهولنديون في ١٦٤٢ تأسيس تجارتهم بالرقيق، في هذا الوقت ابحرت سفينة من شركة سانت مالو تحمل معها خمسة مبشرين كبوشيين لتنصير الوثنيين هناك، أما فرنسا فان انتشارها كان ذا تأثير وفعالية أكبر، ففي سنة ١٦٦٩ طلب الوزير كولبير من فيو دو بيلفورد مفتش «الشركة الهندية»، وكان راجعا من رحلة

الى شواطئ خليج غينيا، بتحرير مذكرة تثبت افضلية البحرية الفرنسية في هذه السواحل، وبخاصة في المنطقة المسماة غينيا مثبتا في بيانات ووقائع ان مغامرين بحريين فرنسيين كانوا هم السباقين الى اكتشافها من مالاكات وقد اقاموا في « المنيا » على ساحل الذهب ..».

وقد ساهم لويس الرابع عشر، فيما بعد، في سنة ١٦٨٧ في تأسيس محطات تجارية على طول هذه الشواطئ.. لكن القرن الثامن عشر سجل استفحال تجارة الرقيق، عدديا على الأقل، فيما خص المنطقة هذه، وقد كانت هذه التجارة مزدهرة على أيدي الهولنديين بالذات أكثر من سواهم، مما حدا في سنة ١٨٣٨ وزارة البحرية الفرنسية الى ارسال سفينة «مالوين» بقيادة الكابتن البحري بووي – فييومي في مهمة ذات شقين الى السواحل الافريقية الغربية : التحقيق أو – اذا كان في الامكان – قمع تجارة الرقيق، من جهة، ومن جهة ثانية جرد مراكز الثروات الممكن استغلالها في هذه السواحل. هذه السفينة ارسلت ثانية سنة ١٨٤٢ في مهمة تمتين العلاقات مع رؤساء المنطقة المعروفة حاليا بشاطئ العاج بالذات، وقد جاء في التقرير الذي رفعه قائد السفينة الملازم البحري فلوريو لانكل الى القيادة ان هناك رغبة من ملك ورؤساء شعب ال «اسبيني» لمتابعة وتعميق العلاقات المتينة بينهم وبين الفرنسيين وقد وقع الفرنسيون كثيراً من المعاهدات مع رؤساء هذه المنطقة فيما بعد، وذلك للتصدي لمشاريع الانكليز التي باتت تشكل منافسة خطيرة لهم، في ذلك الوقت، وفي السواحل الافريقية الغربية بالذات. ثم كان هناك عهد جديد من العلاقات، بدأ حين دخلت فرنسا الى عمق المنطقة الداخلية وتوغل رجالها يفتشون عن مناجم الذهب في جهات آبي في أواخر القرن التاسع عشر.

الشعب الاصلي والغزاة

ربما من المشوق معرفة نظرة الشعب الاصلي، سكان البلاد، لهذا التوغل الاستعماري في بلادهم. لقد كان (اواتارا) رؤساء مدينة كونغ هم الذين رحبوا، أولا، بالفرنسيين، وهم قوم عرفوا بالذكاء، بينهم نساك وعرافون خمنوا المستقبل .. فقد راجت لفترة، في زمن بعيد اسطورة تقول أن رجالا بيضا سيأتون ليتملكوا، وقد انتشرت هذه النبوءة في كل بلاد افريقيا، حتى لقد ظن لاول وهلة أنهم سيكونون مراكشيين ولكن خاب الظن، وقد قيل أيضا أنهم سيأتون من البحر.. وقد صح، هذه المرة، الزعم فأتوا من البحر.

لكن البيض هؤلاء لم يسكنوا بعد، ولم يختلطوا، كما يعتقد، بالسكان الاصليين، فنحن نقرأ في شهادة لوكيل مصانع سويدي وصل البلاد في سنة ١٨٩٢ حيث يقول : « في هذا العصر، ساحل العاج، هو أرض غير مأهولة، لا أرى هنا أي أبيض مقيم فيها، أما الأسباب فهي صعوبة المناخ ووجود الحياة النباتية والحيوانية النامية بشكل غزير جدا، صحيح أن هذه البلاد هي تحت النفوذ الفرنسي ولكن فرنسا الى اليوم لم تملكها عمليا .. ».

إن المرسوم الذي كرس شاطئ العاج مستعمرة في ١٠ آذار/مارس/١٨٩٣ خلق بلبلة في مواقف أهل البلاد ترى كيف كان صداه نقرأ للمؤرخ شريف ماما دو في ذلك الوقت : « .. لقد عرف سكان الغرب (غرب افريقيا) الشعب الأبيض في أواخر القرن التاسع عشر، عند انتهاء وجود « الساموري »، أن بعضهم استطاع مشاهدة البيض في ذلك الوقت ولكن أكثرهم كانوا يتهربون منهم أو من احتكاك مباشر معهم ... يقولون أنهم (البيض) مخلوقات غريبة، لهم ألوان غير محددة، ومتغيرة، لذا يصعب القبول بهم كبشر أسوياء، مع أننا نلاحظ وجود أعضاء كاملة لهم في أجسامهم، كما في أجسامنا ... ».

ونصل اليوم الى نهاية هذه الفترة التاريخية، في ٢٧ تمز/يوليو/١٩٦٠، لنسمع فيليكس هوفويي – بوانيي، يقول في الجمعية الوطنية لشاطئ العاج :

« عندما حاربنا خمسة عشر عاما بكل حمية وعناد لتنمية افريقيا بعامة، وشاطئ العاج بخاصة، من لم يفهم، يا ترى، رغبتنا بالتحرر حين وصلنا الى هدفنا هذا؟ لكننا اليوم نؤكد بأن رغبتنا المحققة قد اخصبت فرصة عظيمة هي وصولنا الى معركتنا اليوم، معركة جديدة نقدمها لكم ... ».

لقد بدأ اليوم تاريخ جديد.

المرجع

La Cote D'Ivore

Exposition presentee par le Ministere

des Affaires culturelles

D'HIER A DEMAIN

Abidjan, du 13 zu 27 octobre 1979

ميشال اسطفان

المملكة المغربية

الحلقة الرابعة

(١٣) المكتب في منطقة أفريقيا الغربية الاسبانية ١٩٤٩ - ١٩٥١.
منطقة أفريقيا الغربية الاسبانية، كانت تتألف من المناطق الاسبانية الافريقية الشمالية الغربية، وضمت لاغويرا ونهر الذهب والصحراء الغربية الاسبانية (Villa cisneros)، وكانت عاصمتها سابقاً، وهذه التسمية للمنطقة لم تدم أكثر من ثلاث سنوات، إذ أصبحت تسمى في سنة ١٩٥١ بالصحراء الاسبانية، ثم الحقت بممتلكات اسبانيا.

أما الطوابع التي صدرت هناك، فهي:
ما بين ٩ تشرين الأول/أكتوبر سنة ١٩٤٩ وأول آذار/مارس سنة ١٩٥١، مجموعتان، عادية وجوية، طابعان تذكاريان، وطابع للبريد المستعجل، ومجموعهما ٢٦ طابعاً، تحمل اسم المنطقة (AFRICA OCCDENTAL ESPAGNOLA) وقد استعملت إيضاً في إفني المغربية، وتفصيلها كما يلي:
طابع الذكرى ال ٧٥ لاتحاد البريد العالمي من فئة ٤ بزيتاس، يحمل صورة مواطن، وطابع ليوم الطابع من فئة ٥ بزيتاس يحمل صورة الملكة ايزابيل، ومجموعة عادية من ١٦ طابعاً، ومجموعة جوية من سبعة طوابع، وطابع واحد للبريد المستعجل، تحمل صور الصحراء والخيام والنخيل والجمال، ويظهر في الزاوية العليا من كل طابع، صورة الجنرال فرانكو.

- منطقة طنجة الدولية -

أما بخصوص منطقة طنجة التي أخذت وضعاً دوليا كما هو معروف، بموجب المعاهدة الفرنسية الاسبانية لعام ١٩١٢ ثم تعديلها بموجب اتفاقية باريس سنة ١٩٢٣، فقد افتتحت فيها مكاتب بريد أجنبية كالآتي:

(١٤) المكتب الفرنسي ١٩١٨ - ١٩٤٢.
أول مكتب فرنسي افتتح أعماله في طنجة، كان سنة ١٨٦٢، واستعمل الطوابع الفرنسية بدون أي توشيح.

وفي نيسان/أبريل ١٩١٨، وشح مجموعة من ١٨ طابعاً من (١) سنتيم الى ٥ فرنك، بكلمة (Tanger)، على الطوابع الخاصة بالمغرب التي اصدرها المكتب الفرنسي (اصدار ١٩٠٢)، ومجموعتين ايضاً للأجور المستحقة من ٧ و٤ طوابع، ثم في آب / اغسطس ١٩٢٨، أصدر مجموعة تذكارية جوية لمساعدة منكوبي الفيضان موشحة «TANGER» بأحرف مختلفة عن سباقاتها، على مجموعة تذكارية إصدار ١٩٢٨ للمكتب الفرنسي تحت الحماية، وهي من ٥ سنتيم الى ٥ فرنك. وفي آذار / مارس ١٩٤٢، توحدت مكاتب البريد الفرنسية مع مكاتب البريد الاسبانية بعد ما احتلت اسبانيا طنجة في سنة ١٩٤٠.

(١٥) المكتب الاسباني ١٩٢١ - ١٩٥٧.
أول مكتب بريد أسباني افتتح أعماله في طنجة كان سنة ١٨٦١، واستعمل الطوابع الاسبانية بدون توشيح.

وفي ٢٧ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٤، استعمل المجموعة التي صدرت سنة ١٩٠٩/١٠ للمكاتب الاجنبية الاسبانية والمؤلفة من ١٢ طابعاً، من ٢ س إلى ١٠ ب، وهي مجموعة أسبانية موشحة بسطرين: -
١ - «laCORREO ESPAGNOL».
«MARRUECOS» بحرف منحن،
وهي التي خصصت لمنطقة طنجة كما ذكرنا في حينه.

وفي سنة ١٩٢١/٢٧، صدرت المجموعة الثانية لطنجة، من أربعة طوابع اسبانية موشحة

مثل المجموعة السابقة . ثم مجموعة ثالثة من ثمانية طوابع أسبانية ، توشحت مثل سالفتها أيضا ، إلا أن المجموعة الرابعة ، كانت مؤلفة من ١٣ طابعا عاديا وطابع واحد للبريد المستعجل ، موشحة بسطرين : -

١ - « CORREO ESPAGNOL » .

٢ - « TANGER » ، أفقيا ثم درجت الاصدارات على هذا المنوال لمجموعات عدة ، كلها من المجموعات الاسبانية العادية والتذكارية والجوية ، توشحت بالافرنجي بكلمة طنجة أو بريد طنجة الاسباني أو بريد جوي طنجة ، بأحرف مختلفة عادية ومزخرفة ، نذكر منها مجموعتين تذكاريتين للمؤتمر التاسع لاتحاد البريد العالمي في لندن سنة ١٩٢٩ ، ومعرض أشبيليا وبرشلونا الاسباني .

وأثناء الحرب الأهلية الاسبانية سنة ١٩٣٦/٣٩ ، افتتح في طنجة مكتبان اسبانيان للبريد ، الأول كان تحت رقابة الوطنيين ، والآخر كان تحت رقابة حكومة الجمهوريين في مدريد . وقد صدرت سبع مجموعات من الطوابع ما بين ١٩٣٧ و ١٩٣٩ من قبل بريد الجمهوريين ، إلى أن حل الوطنيون محلهم سنة ١٩٤٠ .

ولا بد من الاشارة إلى أنه في سنة ١٩٤٠ ، وشح الجمهوريون عدداً من الطوابع « TANGER CORREO AERO » ، بفئات مختلفة ، ولكن لم تصدر رسميا ولم تستعمل في البريد ، بل تسربت إلى الهواة من قبل الرسميين الجمهوريين الذين مكثوا في القنصلية بعد انتهاء الحرب .

في ١٤ حزيران/يونيو ١٩٤٠ ، احتلت طنجة من قبل جيوش ممثل السلطان في المنطقة الاسبانية ، وفي ٤ تشرين الثاني/نوفمبر إلحقت بموجب مرسوم لتضم إلى المنطقة الاسبانية ، إلا أن الادارة الدولية لطنجة استرجعت في ١١ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٤٥ .

وفي ١٦ شباط/فبراير ١٩٤٨ ، صدرت أول مجموعة مصورة لطنجة تمثل مرافق المنطقة والبلاد ، مؤلفة من ١٤ طابعا ، وفي أول آب/اغسطس ١٩٤٩ ، صدرت مجموعة مصورة أخرى للبريد الجوي ، من ستة طوابع ، مع طابع للبريد المستعجل فئة ٢٥ س . وفي ٢٩ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٦ ، انتهى الحكم الدولي في طنجة وألحقت المنطقة بالمغرب ، ولكن البريد الاسباني لم يقفل إلا في ٣٠ نيسان/إبريل ١٩٥٧ .

(١٦) المكتب البريطاني ١٩٢٧ - ١٩٥٧ .

افتتح مكتب البريد البريطاني أعماله سنة ١٩٢٧ واستعمل الطوابع الانكليزية بعد أن وشحها بكلمة « TANGIER » بأحرف مختلفة المرة عن الأخرى . وصدر ما بين سنة ١٩٢٧ وأول نيسان/إبريل ١٩٥٧ ، تسع عشرة مجموعة هي كالآتي :

ثلاث مجموعات للملك جورج الخامس ، منها واحدة لذكرى اليوبيل الفضي (١٩٣٥) ، ثم مجموعة الملك ادوار الثامن ، وعشر مجموعات للملك جورج السادس ، منها التذكارية لمناسبة التتويج الملكي (١٩٣٧) ، والذكرى المئوية لأول طابع في العالم (١٩٤٠) ، وذكرى النصر (١٩٤٦) ، واليوبيل الفضي للزواج الملكي (١٩٤٨) ، والالعاب الاولمبية (١٩٤٨) ، والذكرى ال ٧٥ لاتحاد البريد العالمي (١٩٤٩) ، وأخيراً خمس مجموعات للملكة اليزابيث ، منها التتويج (١٩٥٣) ، وآخر مجموعة لطنجة كانت للذكرى المئوية لمكتب البريد البريطاني في طنجة ، وشحت « 1857 – 1957 TANGIER » ، وفي أول نيسان/أبريل ١٩٥٧ ، صدرت مجموعة مؤلفة من ٢٠ طابعاً من نصف بنس إلى ١٠ شلن ، وكان من بينها طابع فئة ٩ بنسات ظهر خطأ بدون كلمة طنجة بالانكليزية ، وأصبحت قيمته اليوم تزيد على ١٠٠٠ جنيه استرليني ، وكان هناك ستة طوابع أخرى مغلوطة ، لم تتجاوز اغلاها الخمسين جنيهاً استرلينياً . وأما مجموع ما أصدره المكتب البريطاني في طنجة فهو ١١٢ طابعاً .

وفي ٣٠ نيسان/أبريل ١٩٥٧ ، سحبت جميع طوابع طنجة من الاستعمال .

(١٧) المغرب في عهد الاستقلال ١٩٥٦ .

عندما اعترفت فرنسا بسيدي محمد بن يوسف سلطاناً على المغرب في ٥ تشرين الثاني/نوفمبر واعترفت باستقلال البلاد في ٣ آذار/مارس ١٩٥٦ ، واعترفت أسبانيا بذلك في ٧ نيسان/أبريل ١٩٥٦ ، وانتهى وضع منطقة طنجة الدولي في ٢٩ تشرين الأول/اكتوبر ١٩٥٦ كما هو معروف ، توحدت البلاد بعد أن كانت منقسمة إلى جزئين ، المنطقة الشمالية تستعمل العملة الاسبانية ، والمنطقة الجنوبية تستعمل العملة الفرنسية ، واقرت العملة الفرنسية في كل البلاد في شباط/فبراير ١٩٥٨ ، ثم أعلنت بعدئذ المملكة المغربية الحالية وعلى رأسها الملك محمد الخامس .

وفي ١٧ آب/اغسطس ١٩٥٦ ، صدرت أول مجموعة في المنطقة الشمالية ., بالعملة الاسبانية

مؤلفة من ثمانية طوابع ، ويحمل إثنان منها صورة الملك محمد الخامس ، والباقي مناظر عن مرافق البلاد المهمة ، ثم تلتها ست مجموعات ، منهـا مجموعتان عاديتان ، وثلاث مجموعات تذكارية ، لمناسبات وطنية ، ومجموعة جوية ، ومجموعها ٢٩ طابعاً ، أخرها صدرت في ١٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٧ .

أما المنطقة الجنوبية ، فقـد بدأت في ١٩ أيار/مايو ١٩٥٦ ، باصدار أول مجموعة من سبعة طوابع ، بالعملة الفرنسية تحمل كلها صورة الملك محمد الخامس ، ثم تلتها خمس مجموعات تذكارية لمناسبات وطنية ، ومجموعهـا ٢٤ طابعاً ، وكان آخرها في ١٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٧

وبعد هذا التاريخ ، أصبحت الحكومة تصدر الطوابع لجميع مناطق البلاد على السواء ، بالعملة الفرنسية فاصدرت في ٢٠ نيسان/أبريل ١٩٥٨ ، أول مجموعة لمناسبة معرض بلجيكا الدولي ، مؤلفة من ثلاثة طوابع ، ثم تلتها ١٢ مجموعة تذكارية لمناسبات وطنية وعالمية ، ومجموعها ٣٥ طابعاً ، كان آخرها في ٢٦ أيلول/سبتمبر ١٩٦٠ .

وفي ٢٦ شباط/فبراير ١٩٦١ ، اعتلى الملك الحسن الثاني العرش المغربي ، بعد وفاة والده الملك محمد الخامس ، وفي ٣٠ آب/اغسطس ١٩٦١ ، صدرت أول مجموعة في عهد الملك الحسن الثاني ، مؤلفة من ثلاثة طوابع لمناسبة الدورة الرياضية العربية ، وتلتها مجموعة تذكارية أخرى من ثلاثة طوابع ، لمناسبة مؤتمر اتحاد البريد واللاسلكي الافريقي ، ثم تغيرت العملة المحلية فصارت الدرهم المغربي (١٠٠ فرنك تساوي درهماً واحداً) ، وبها صدرت مجموعات عدة بعدئذ ، منهـا العاديـة والتذكارية المختلفة ، للمناسبات الوطنية والعالمية ، ومجموعة للاجور المستحقة ، وقد طبعت كلها في مطابع عالمية من الدرجة الأولى ، فاعطت مظهراً جذاباً وفخماً ، ومجموعها عدة مئات من الطوابع .

أما البطاقات ، فلم يصدر منها إلا خمس حتى ١٩٧٧ ، أهمها الذكرى الاربعون لمولد الملك ، التي صدرت في ٣ تموز/يوليو ١٩٦٩ ، وأصبحت قيمتها اليوم عشر جنيهات استرلينية .

- حركة البيع والشراء -

نشكر الادارة العامة للبريد في الجمهوريـة العربية اليمنية ومديرها السيد محمد عبد الله زايد الذي تكرم وأرسل إلينا نماذج ونشرات بتواريخ الاصدارات اليمنية الأخيرة ، ونشـكر الاستـاذ عبد الغني شنن الذي سلمنـا هذه النمـاذج والمعلومات لننشرها ، خدمة لهواة جمع الطوابع وللقراء جميعاً . ونأمـل استمـرار تسلـم هذه المعلومات مع الشكر .

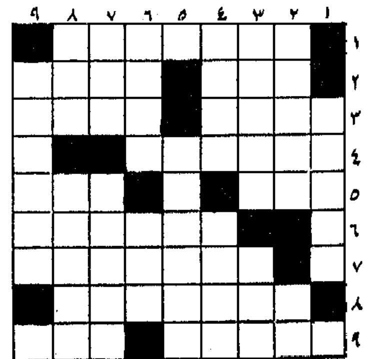
١ - بتاريخ ١٥ تشرين الثـاني نوفمبـر ١٩٧٩ ، صدرت مجموعة من طابعيـن وبطاقـة للذكرى الثلاثين لتأسيس هيئة الطيران المدنـي العالمية الواقع في ٢٣ آذار/مارس ١٩٧٧ ، من فئة ٧٥ و ١٣٥ فلس والبطاقة من فئة ١٣٥ فلس أيضاً .

٢ - وبتاريخ ١ كانـون الأول/ديسمبـر ١٩٧٩ ، صدرت مجموعة من طابعين وبطاقة من فئة ٢٥ و ٧٥ فلس والبطاقة من فئة ٧٥ فلس أيضاً ، تحمل اسم « العرب » وترمز برسومها إلى تصدير العرب للعلم والمعرفة إلى جميع أنحاء العالم .

٣ - وبتاريخ ١ كانون الثاني/يناير ١٩٨٠ ، صدرت مجموعة من طابعين وبطاقة ، لمناسبة العيد الدولي للاتصالات السلكية واللاسلكية ، الواقع في ١٧ أيار/مايو ١٩٧٩ ، منفئة ٧٥ و ١٣٥ فلس ، و ١٣٥ فلس للبطاقة أيضاً .

٤ - وبتاريـخ ١ شباط/فبرايـر ١٩٨٠ ، صدرت مجموعة من طابعين من فئة ٥ و ١٠ فلس ، لصالح أسر ورعايا شهداء ومجاهدي فلسطين .

كلمات متقاطعة



حل الشبكة صفحة ٩٤

أفقياً : -

١ - دواء السـم (معكوسـة) . ٢ - كساح (معكوسة) ، استنبأ الأبـراج (معكوسـة) . ٣ - حسامـي ، أفنـان (معكوسـة) . ٤ - عاصمـة دولـة عربيـة . ٥ - فساد ، قسم من الذراع . ٦ - جذها في أقف يميناً . ٧ - مرفأ في المغرب على الأطلسي ويدعـى أيضـا الصويـرة . ٨ - اسطـرلاب (مبعثرة) . ٩ - مرفأ وقاعدة عسكرية في تونس (معكوسة) ، برز .

عمودياً :-
١ - مدينة في المملكة المغربية (معكوسة) .
٢ - نزيرة ، قياس للمساحة . ٣ - يخبز فيه ، غلام ظريف خفيف (معكوسة) . ٤ - يبيض شعره ، نغدر (معكوسة) . ٥ - دولة عربية . ٦ - مدينة مغربية في مضيق جبل طارق (معكوسة) ، مدينة مغربية . ٧ - زحافة من العظائيات (معكوسة) ، الاسم الثاني لمؤسس دار الهلال . ٨ - ريح شرقية يقابلها دبور (معكوسة) ، مدينة في شمال المغرب (معكوسة) . ٩ - مرفأ مغربي على الاطلسي .



«دعوة لأصحاب رسائل الماجستير والدكتوراه»

يسر مجلة «تاريخ العرب والعالم» أن تدعو أصحاب رسائل الدكتوراه والماجستير في التاريخ في الجامعات العربية والأجنبية للتعريف برسائلهم على صفحاتها وذلك في مقالة تتراوح ما بين الألف كلمة والألف والخمسمائة كلمة وتشمل على لمحة موجزة عن الموضوع المعالج ، مع الاشارة إلى مكان وزمان تقديمها وإسم الأستاذ المشرف عليها .

وإذ تفتح المجلة هذا الباب أمام اصحاب الرسائل في علم التاريخ ، تتوخى أن تحقق بعضاً من الأهداف والتي أهمها :

- أولا - التعريف بانجازات الباحثين والطلاب العرب في ميدان علم التاريخ .

- ثانياً - التعرف على توجهات الجامعات العربية والأجنبية في نوعية الموضوعات المطروحة ومناهج البحث المتبعة .

- ثالثاً - توفير جانب من الببليوغرافيا التاريخية في موضوعات الرسائل التي قدمت ونوقشت في الجامعات العربية .



■ إذا صرفت ذهنك الى ما كان أمامك وعملت بجد ونشاط ورزانة وفقا لما يوحيه اليك عقلك من دون أن يلهيك عن عملك أمر أو طارئ - اذا سلكت هذا المسلك وحافظت على طهارة ضميرك كما لو كنت مطلوبا للدينونة في ساعتك .. فلم تسته شيئا بل كنت مقتنعا بصنع يديك وواثقا بجميع اقوالك وجميع اعمالك - فانت انت السعيد ولن يستطيع احد أن ينتزع منك تلك السعادة .

مركس اوريليوس

■ السعادة القصوى هي أن نكون محبوبين لأجل أنفسنا أو بالحري بالرغم من أنفسنا .

فكتور هوغو

الـوزارة والـوزراء في العصر العباسي الأول

نتناول في هذا البحث وضع الوزارة في العصر العباسي الأول. ونبدأ بالتعريف بكلمة الوزير: الوزير لغة مشتقة من الوزر والوزر الثقل أو العبء لأن الوزير يتحمل أعباء الحكم واثقاله. أو من الوَزَرْ وهو المعتصم وقد جاء في القرآن الكريم «كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر» لأن الناس يلجأون إلى الوزير في أمورهم المعاشية. كذلك ورد في القرآن الكريم قول موسى مخاطباً ربه «وأجعل لي وزيراً من أهلي» وهنا بمعنى النصير. ولكن الكلمة بمدلولها السياسي مستحدثة في الاسلام.

المراحل التاريخية للوزراة وأوضاعها.



في العهـد الاسلامي «عهـد النبي والخلفاء الراشدين» كانت الأمور الادارية شورى بين النـاس، أمـا في العهـد الأموي فلم تكن الوزارة مقننة القواعد ولا مقررة القوانين. وكان ذوو الاراء من مستشاري الخليفة يقومون مقام الوزراء في عهد معاوية. ان منصب الوزير استحدث مباشرة بعد انتصار العباسيين على الأمويين قبيل مبايعة الخليفة العباسي الأول حيث يقول آدم ميتز في كتابه الحضارة الاسلامية «عند انتهاء عهد الادارة الاقطاعية ومجيئ عهد التنظيم البيروقراطي ظهر منصب الوزير في عهد الخلفاء الأولين من بني العباس» ويظهر أنه حين أُقر أمر الوزارة روعي تطور الدولة واتجاهها نحو التمركز وتوزيع السلطات، وذلك بتأثير الفرس وان كانت سلطتها لم تتخذ أشكالها المختلفة بصورة واضحة في عهد أبي سلمة الخلال أول الوزراء العباسيين. فسلطة الوزارة تدرجت حتى اتخذت شكلها المحدد في منتصف وأواخر العصر العباسي الأول، فمع أن أبا سلمه سمي وزيراً إلا أنه لم يتمتع بصلاحيات كاملة في جميع الدواوين. ثم أصبح الوزير ساعد الخليفة الأيمن يقضي باسمه في جميع شؤون الدولة، وله الحق في تنصيب العمال والاشراف على الضرائب، وينوب عن الخليفة في حكم البلاد. ويجمع السلطتين الحربية والمدنية، إلى جانب الواجبات العادية من نصح الخليفة ومساعدته.

ولكن كثيراً ما وقع الصدام بين الخليفة الوزير، فالخليفة يعتبر وزيره مساعداً له. بينما الوزير يود لو يسيطر على الجهاز الاداري كله وينفذ جميع الصلاحيات. من هنا نرى أن الوزارة لم ترسخ اصولها في عهد الخليفة العباسي الثاني المنصور. فكان أغلب وزرائه من الموالي ولم يعطهم كثيراً من السلطة والنفوذ فهم عرضة للعزل دائماً. حتى أن الوزراء كانوا يخافون على أنفسهم من بطش الخلفاء بهم فكان كل منهم يتجنب أن يسمى وزيراً. خصوصاً بعد أن مات أبو الجهم على يد الخليفة المنصور. وكان خالد بن برمك يعمل عمل الوزراء ويرفض أن يسمى وزيراً على الرغم من علو منزلته عند الخلفاء. أما في عهد المهدي فكانت أعمال الوزارة أكثر اتساعاً وفاعلية من ايام المنصور. لأن المهدي اعتمد على وزرائه واعطاهم صلاحيات اضافية. منها الرئاسة على الدواوين وحتى على الجيش. فاتسعت سلطتهم حتى وصلت إلى مركز من القوة في عهد الرشيد بلغ حداً كبيراً من النفوذ والقوة. ففوّض يحي بن برمك بجميع أنواع السلطة. فحصر البرامكة الوظائف بأيدي أعوانهم وأنصارهم ومن هنا كانت نكبتهم. كذلك فُوض وزير المأمون

الفضل بن سهل في الأمور السياسية وقيادة الحرب ورئاسة الشؤون الادارية وعرف «بذي الرياستين». وبسبب ازدواجية السلطة وتضارب الصلاحيات، اضطر المأمون أن يتخلص من الفضل بعد أن شعر بخطره. وحين تسلط الأتراك في عهد المعتصم ضعف مركز الوزارة وانتقلت السلطة إلى الجيش. وفي السياق التاريخي لتطور الوزارة وتنوع أشكال سلطتها وصلاحياتها رأى الفقهاء المسلمون أن الوزارة يمكن أن تكون من حيث حجم السلطة والصلاحية على نوعين:

أ - وزارة التنفيذ - تنحصر في تنفيذ أوامر الخليفة ولا يتصرف الوزير تصرفاً شخصياً فهو همزة وصل بين الخليفة والشعب.

ب - وزارة التفويض - تقوم على تصرف الوزير المطلق في شؤون الدولة بعد أن يفوض الخليفة اليه ذلك.

أما شروط وزارة التنفيذ كما جاء في كتاب الأحكام لأبي يعلى فهي:

الأمانة - الصدق في اللهجة - قلة الطموح - أن يسلم ما بينه وبين الناس من عداوة - أن يكون ذا ذاكرة حتى يعلم ما يفعل - ذكياً - ألا يكون من أهل الأهواء - ذا حنكة وتجربة.

ويحق لوزير التنفيذ أن يكون من أهل الذمة أما وزير التفويض فلا.

أما وزارة التفويض فتعتبر فيها كما يقول الماوردي «شروط الأمانة الأولى كلها إلا النسب، وأن يكون الوزير من أهل الكفاية في أمر الخراج وفي الحرب صاحب خبرة ومعرفة».

أما الفروق بين الوزارتين فهي كما يلي:

١ - يجوز لوزير التفويض مباشرة الحكم والنظر في المظالم وليس ذلك لوزير التنفيذ.

- يجوز لوزير التفويض أن يستبد بتقليد الولاة وليس ذلك لوزير التنفيذ.

٣ - يجوز لوزير التفويض أن ينفرد بتسيير الجيوش وتدبير الحروب وليس ذلك لوزير التنفيذ.

٤ - يجوز لوزير التفويض أن يتصرف بأموال بيت المال بالقبض والدفع وليس ذلك لوزير التنفيذ.

وكان يحق للخليفة أن يقلد وزيري تنفيذ مجتمعين ومنفردين وكذلك وزيري تفويض مجتمعين لا منفردين لأنهما إذا انفردا تعارضا وعند ذلك يصبح الحكم فوضى. ومن وزراء التفويض في العصر العباسي الأول آل برمك. ولكثرة الوزراء في ذلك العصر عين موظفون لمعاونة الوزير والاشراف على الدواوين المختلفة وادارة شؤونها. إلى جانب ذلك أصبح الوزير مقدماً على جميع القواد مع كونه ليس إلا رئيس الكتاب، أما رسم الوزير في لباسه فهو رسم سائر العمال، فكان يلبس دراعة وقميصاً مبطنة وخفاً وكان السواد هو اللباس العباسي الرسمي. وفي أيام الاحتفالات يرتدي ثياب الموكب وهي قباء وسيف وعمامة سوداء وهي الجزء الذي لا ينزعه الوزير من لباسه الذي يلبسه وكان الخليفة يخلع عليه هذه الثياب وهي عادة من مراسيم تقليد الوزير.

أما كيفية عمل الوزير: يحضر اليه الكتّاب ويوزع عليهم العمل ثم يعودوا لاطلاعه عما فعلوا في مجلس خاص بالوزير. وفي مثل هذا المجلس كان الكتّاب يجلسون أمام الوزير كل في مكانه ومعه ادواته ورئيس هؤلاء الكتاب متقدماً عليهم. كان الوزير يحتفظ بصورة عن الوثائق المهمّة ويضعها في جملة سجلاته، ومتى عزل الوزير تنقل هذه السجلات إلى دار من يخلفه في الوزارة ويذكر أن بعض الرقاع الهامة كانت تحفظ في سفط خيزران ويكتب عليها بخط الوزير ما يحتفظ به من المهات ويختم السفط بختم الوزير.

وعلى باب الوزير كان كثير من الرجال يقفون لحراسته، حتى أنه أخذ منهم ثلاثون دفعة واحدة في مهمة، مما يدل على كثرة عددهم، وكان في مجلس الوزير غلمان مسلمون يسيرون بين يدي الوجهاء من الناس ويخرجون بين يدي الوزير دائماً يجرون سيوفهم والناس يشاهدونهم. كان على الوزير ألا يذهب إلى دار الخلافة إلا في أيام الموكب، وذلك كل يوم اثنين وخميس، على أن يسير مع الوزير أحد كتابه الأربعة الذين يتولون الديوان وله في دار الخلافة دار مفردة يجلس فيها الخواص والحواشي بين يديه حتى يستدعيه الخليفة، فيجلس في مجلسه موالياً له. وإذا أراد أن

يكتب شيئاً تحضر له دواة نظيفة بسلسلة فيمسكها بيده اليسرى ويكتب باليمنى ، وقد رأى المقتدر مشقة ذلك على وزيره علي بن عبس وهو يكتب كتاباً هاماً بحضرته فأمر الخدم أن يحملوا الدواة حتى ينتهي . كل هذه المظاهر من الأبهة أخذت في التناقص والتغير حتى أنه في عام ٣١٢هـ - ٩٢٤م أصبح الوزير يجلس في دار الحاجب وهذا مما يشير إلى نقص في منزلته.

والخليفة هو الذي كان يعين الوزير، وكان في العادة يقر وزير الخليفة السابق في منصب الوزارة. وكانت الحكومة ارستقراطية في ذلك الوقت ، حتى أدى ذلك إلى ظهور جيل لكل طائفة من اصحاب المناصب. فكان أولاد الوزراء والكتاب والأمراء والاشراف هم الطبقة العليا بين ابناء العمال. وكانت المناصب تتصل بصورة وراثية. وذكر أن ابن مقلة - خلفه ابنه وهو في الثامنة عشرة من عمره كذلك أبو الفتح بن العميد تسلم بعد أبيه وعمره وأحد وعشرون سنة ومن آل خاقان اربعة وزراء في سبعين عاماً واربعة من بني الفرات في خمسين سنة. وكان ابن العميد وزيراً لعماد الدولة رأس اسرة بني بويه.

في أوائل القرن الرابع الهجري انتقص اختصاص الوزير، فأخذ الخليفة منه الضياع العباسية التي كانت اقطاعاً يديره الوزراء ويحصلون منها ١٧٠ الف دينار، وأجرى للوزير رزقاً ثابتاً قدره خمسة الاف دينار ثم أصبح سبعة. وكان له مركز ممتاز بين سائر رجال الدواوين ولكل ولد من أولاده خمسمائة دينار في كل شهر.

من هم وزراء العصر العباسي الأول ؟

قامت الدولة العباسية على أكتاف الفرس ، وقد اعترف العباسيون لهؤلاء بمساعدتهم في تأسيس الدولة ، إلا أنهم لم يتخلوا عن عصبيتهم العربية وحبهم للملك فلم يسمحوا لهم أن يزاحموهم في السلطة (الخلافة). وهنا يكمن سبب تنكيل الخلفاء العباسيين بوزرائهم الذين مالوا إلى العلويين ، فنرى السفاح ينكل بأبي سلمة الخلال. والمهدي بيعقوب بن داود والرشيد بالبرامكة ، والمأمون بالفضل بن سهل. ومع ذلك لم يكن للوزراء الفرس أثر في النزاع الذي قام بين العلويين والعباسيين في عهد المنصور لضعف هؤلاء الوزراء في عهده ، وقد نكب أغلب الوزراء على يد خلفائهم.

وإذا حاولنا أن نستعرض الوزراء في عهد كل خليفة من خلفاء العصر العباسي الأول نرى هذا العصر تميز ببعض الأسر التي تولى عدد من افرادها منصب الوزارة ويأتي في المقدمة البرامكة فقد تولى منهم أربعة وزراء وهم خالد بن برمك وابنه يحيى وابناه الفضل وجعفر واسرة الربيع بن يونس وهو عربي استوزره المنصور وال المورياني والفضل بن سهل وأخوه الحسن وزيرا المأمون.

وكان اول وزير لأول خليفة عباسي هو أبو سلمة الخلال حيث لقب بوزير آل محمد ولكنه قتل على يد ابي مسلم الخراساني بأمر من الخليفة أبو العباس السفاح ، ثم استوزر السفاح من بعده خالد بن برمك ، أما الخليفة ابو جعفر المنصور فقد عين وزيراً له أبا ايوب المورياني ومن بعده الربيع بن يونس الذي استمر في الوزارة حتى وفاة المنصور فأخذ البيعة للمهدي ولكنه قتل مسموماً على يد الخليفة الهادي ؛ ربما انتقاماً. وفي عهد الخليفة المهدي ازدهرت الوزارة بسبب كفاءة وزيره ابو عبيد الله معاوية بن يسار ثم من بعده ابو عبد الله يعقوب بن داود. وآخر وزراء المهدي هو الفيض بن أبي صالح. أما الخليفة الهادي والذي لم تطل مدة خلافته فكان وزيره الربيع بن يونس الذي عاد وقتله وأعطى الوزارة من بعده لابراهيم بن ذكوان الحراني.

وعندما بويع الخليفة هارون الرشيد استوزر كاتبه قبل الخلافة يحيى بن برمك وبرزت اسرة برمك منذ ذلك الوقت حيث نهض يحيى باعباء الوزارة وكان صائب الاراء وحسن التدبير ولكن بعد نكبة البرامكة عين الرشيد ابا العباس الفضل بن الربيع الذي كان حاجباً للمنصور والمهدي والهادي والرشيد ، وفي عهد المأمون برز آل سهل حيث كان الفضل بن سهل وهو من أولاد ملوك الفرس ، أول وزراء المأمون لكنه راح ضحية ميله للعلويين وقد سمي الفضل «ذو الرياستين» لجمعه بين السيف والقلم ، وقد مثل العنصر العباسي في الفتنة التي قامت بين الأمين والمأمون بينا مثل الفضل ابن الربيع وزير الأمين العنصر العربي - هنا نلاحظ تدخل الوزراء في الصراع الذي كان يقوم بين الخلفاء وتعصبهم لعرقهم الأصلي - ثم ولي الوزارة من بعده

أخوه الحسن بن سهل ومن بعده أحمد بن أبي خالد الاحول، وآخر وزراء المأمون أبو عبد الله محمد بن يزداد بن سويد من خراسان واصله مجوسي، وقد مات المأمون وهو وزيره.

نجوى الحسنية

المراجع

- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري : ادام ميتز، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده، الجزء الأول، الفصل السابع، الطبعة الرابعة، دار الكتاب العربي.
- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي : د. حسن ابراهيم حسن، الجزء الثاني، الطبعة السابعة ١٩٦٤، مكتبة النهضة المصرية.
- النظم الإسلامية : الدكتور صبحي الصالح، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الثانية ١٩٦٨.

طرابلس الأمس

مدينة طرابلس هي الثغر الرئيسي في المنطقة الشمالية من لبنان، اشتهرت عبر التاريخ بالازدهار التجاري، والصناعي، والثقافي.

أما اسمها – وهو يعني باليونانية : المدن الثلاث (الاتحاد الفدرالي لصور وصيدون وارواد) فيعود الى القرن الرابع ق.م.

وقد بلغت في العصور اليونانية والرومانية مرتبة رفيعة من التقدم، وظلت من أهم المدن وأعظم المراكز الاقتصادية والصناعية حتى هجرها قسم كبير من سكانها عام ٦٣٥.

ففي هذه السنة كان معاوية بن أبي سفيان عاملا للخليفة عثمان بن عفان على دمشق، فوجه إلى طرابلس حملة عسكرية بقيادة الأزدي الذي بنى في ظاهر المدينة قلعة حولها الامويون في ما بعد إلى قاعدة بحرية.

وقد ظلت طرابلس تنمو وتزدهر حتى في عصر الانحطاط العباسي.

وفي سنة ٩٦٦، فتحها الفاطميون في عهد المعز لدين الله فغدت قاعدة للخلافة الفاطمية المتمركزة في القاهرة.

وسنة ١٠٧٠ غدت طرابلس دولة مستقلة، يحكمها القاضي العلامة حسن بن عمار.

ولكن ما أن اطلت سنة ١٠٩٩ حتى مرت بطرابلس جيوش الحملة الصليبية الأولى بقيادة ريمون دي سان جيل الذي ما لبث أن عاد إليها سنة ١١٠١ وضرب عليها الحصار ثم توفى سنة ١١٠٥ ودفن بين أنقاض قلعته المحترقة والمعروفة حتى اليوم بأسم «صنجيل».

ولم يبق اليوم من العهود الصليبية التي استمرت ١٨٠ عاما سوى قلعة صنجيل ومئذنة المسجد الكبير وجسر البرنس الذي ظل صالحا لجر المياه حتى هدم الفيضان جانباً منه عام ١٩٥٥.

ورأى قلاوون أن طرابلس معرضة للحصار والهجوم فأقام على الشواطىء سلسلة من الحصون والأبراج «كبرج السباع» لرد غارات الصليبيين. وأصبحت الفيحاء مدينة عربية.

ومن أجمل مباني ذلك العصر الجامع الكبير الذي بناه قلاوون وابنه الأشرف مدرسة قرطاي باغ.

ثم جاء الأمير سيف الدين طينال فحول الى جامع كنيسة كرملية يعرف اليوم بجامع طنيال

ولما تولى الأمير عز الدين أيبك الحكم، بنى في وسط المدينة الحمامات العامة الباقية حتى اليوم والمدعوة بأسمه.

ومن أبرز آثار المماليك والعثمانيين المدرسة البرطاسية التي بناها عيسى بن عمر البرطاسي بالقرب من الجسر القديم، جامع الطحام العثماني، جامع عبد الواحد، وخان الصابون.

ولكن حتى أثناء سيطرة العثمانيين التي دامت من سنة ١٥١٦ – الى سنة ١٩١٨ احتفظت طرابلس بطابع المماليك لذلك نجد فيها اليوم حوالي ٤٠ بناية من عهد المماليك منها الأبراج الضخمة على الشاطيء وسبعة أبنية عثمانية فقط.

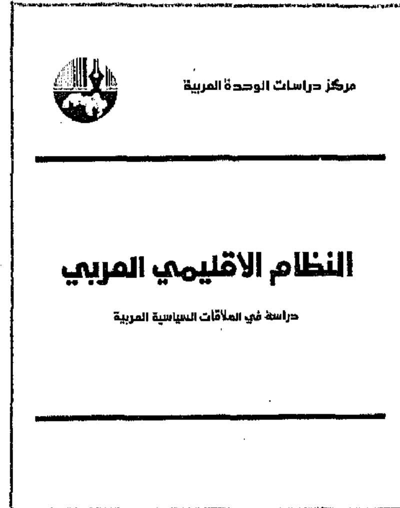
المرجع : من أرشيف عبد القادر جميل عدرة.

لواحظ عبد القادر عدرة

النظام الاقليمي العربي

دراسة في العلاقات السياسية العربية

تأليف : جميل مطر
والدكتور علي الدين هلال





يعتبر هذا الكتاب أول دراسة علمية باللغة العربية في موضوع النظام الاقليمي العربي ومحاولة لتأصيل العلاقات السياسية بين الدول العربية وتحليلها وفقاً لإطار منهجي منظم . يدور هذا الكتاب حول مفهوم «النظام العربي» ، نظرياً وتطبيقياً ، من الناحية التاريخية وفي وضعه الراهن وفي تطوراته المستقبلية . فيتناول الكتاب عناصر الإستمرار والتغير فيه ، والتحديات التي تواجهه وتسعى لاضعاف الأسس التي يقوم عليها ، ومحاولات النظام للدفاع عن ذاته والحفاظ على هويته المستقلة .

القضية المحورية في هذه الدراسة هي موضوع النظام العربي كنظام اقليمي له طابع قومي ، ويتكون من شبكة معقدة من التفاعلات السياسية والإجتماعية والاقتصادية ، والذي تربط بين أقطاره عديد من الروابط كالخبرة التاريخية والوحدة الحضارية والثقافية والمستقبل المشترك .

تطرح الدراسة مفهوم النظام العربي كنقيض لمفهوم الشرق الأوسط الذي تطرحه الدراسات الغربية التي تتناول منطقتنا ، وترفض هذا المفهوم – أي الشرق الأوسط – بناء على عدة اعتبارات . أولها انه لا يوجد أساس جغرافي لهذا المفهوم وانه تعبير سياسي استراتيجي في المقام الأول ، وثانيها انه تعريف غيري أي لا ينطلق من الخصائص الذاتية للمنطقة ولكن من نظرة الغير إليها ، ثالثها انه تعبير متحيز سياسياً وايديولوجيا . وتعرض الدراسة بالتفصيل لهذا الموضوع متناولة النشأة التاريخية لمفهوم الشرق الأوسط والدلالات السياسية التي يتضمنها .

إزاء ذلك تطرح الدراسة مفهوم النظام العربي الذي يتكون من منظومات الأقطار العربية التي تملك فيما بينها كل العناصر التي تؤهلها لأن تكون نظاماً اقليمياً مستقلاً كعنصر التواصل الجغرافي وعنصر التماثل وعنصر العلاقات الوثيقة والتفاعلات بين الدول التي تعتبر أعضاء في النظام . يضاف إلى هذا عنصر رائع يتميز به النظام العربي عن الأنظمة الاقليمية الأخرى في عالمنا المعاصر وهو عنصر القومية والسعي من أجل الوحدة . وإلى جانب هذا الطرح النظري تقدم الدراسة عرضاً كمياً للتفاعلات السياسية بين الأقطار العربية موضحة مدى كثافة وحدة هذه التفاعلات .

كما تتناول الدراسة الاطار التنظيمي والمؤسسي للنظام العربي فتدرس جامعة الدول العربية وكذا المنظمات والاتحادات العربية المختلفة ، رسمية

وشعبية ، سياسية واقتصادية واجتماعية لتوضيح مدى التشابك الذي يربط الأقطار العربية بعضها ببعض (ويشمل الكتاب ملحقاً بأسماء ونشاط هذه المنظمات العربية).

كما تتناول الدراسة التحديات التي يواجهها النظام العربي والتي يمكن تلخيصها فيما يلي .

١ - تحدي المواجهة العربية - الإسرائيلية وبالذات توقيع معاهدة كامب دايفيد بين مصر واسرائيل والتي تؤدي إلى اعادة طرح هذه القضية على ضوء المعطيات الجديدة والآثار التي ترتبها على مستقبل المنطقة وهويتها .

٢ - تحدي الثروة التي اضافت بعداً جديداً للتمييز بين أقطار غنية وأقطار فقيرة وزادت من أهمية المنطقة اقتصادياً وسياسياً الأمر الذي رتب زيادة اطماع وتغلغل القوة الأجنبية فيها .

٣ - تحدي الطائفية والانقسامات الدينية أو السلالية التي يمكن أن تنهش في جسد العديد من أعضاء النظام العربي وتقود إلى عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي فيها .

٤ - تحدي الواقعية السياسية والتركيز على المصالح القطرية والمشاكل الداخلية وبروز ما أسماه بعض المعلقين «بمنطق الدولة» .

وهكذا فإن الدراسة تتناول القضايا الأساسية التي يواجهها النظام العربي في المرحلة الراهنة ، وتبين ان القرارات التي سوف تؤخذ في الأعوام القليلة القادمة سوف تطرح تأثيراتها على النظام العربي لسنوات طويلة قادمة ، وأن المطلوب هو حماية النظام العربي من تحدي الذوبان في اطار أكبر ، أو تحدي منطق الدولة والقطري ، والتأكيد على الطابع القومي العربي لهذا النظام بإستمرار .

الحدود الدولية

لكل دولة ، في الوقت الحاضر ، حدود دولية ، أي المعترف بها دولياً . ولهذه الحدود قداسة معينة تكفلها المعاهدات والمواثيق الدولية . ومن ثم ينبغي علينا أن نشير هنا إلى أن خطوط الحدود كما تبينها الخرائط ليست إلا حدثاً جديداً في العلاقات الدولية . ولم يكن يعرفه العالم قبل قرنين من الزمان . وهناك عدة أنواع من الحدود القائمة بين البلاد ، نذكر منها :

١ — الحدود الجغرافية :

وهي تتكون من :

أ — الجبال لقد كان من البديهي أن تعتمد الدول على الظواهر الجغرافية وتتخذها خطوطاً لحدودها . وأهم هذه الظواهر سلاسل الجبال والأنهار والبحيرات . وقد تبدو سلاسل الجبال أو مجاري الأنهار على الخرائط ذات المقياس الصغير ملائمة تماماً لرسم الحدود . ولكن الدراسة الاقليمية لهذه الجبال والأنهار لا تلبث أن تبين أنها وحدات طبيعية خاصة . فليست سلاسل الجبال حواجز طبيعية في جميع الحالات .

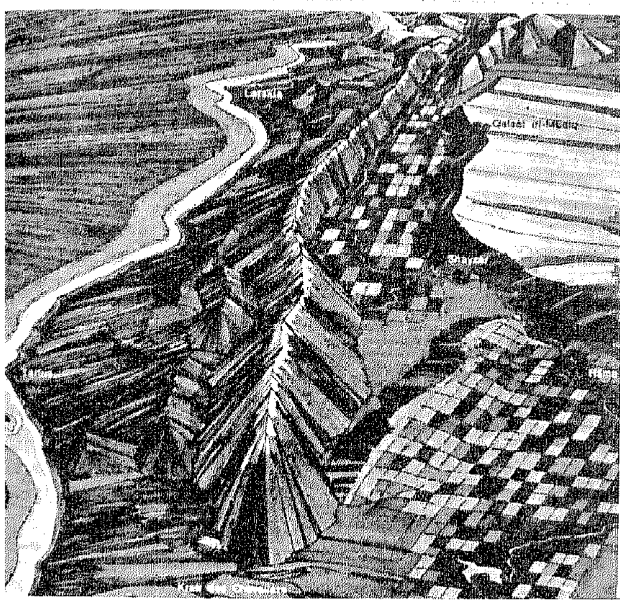
ب — الأنهار : كانت الأنهار الخطوط البديهية لرسم الحدود بين القوافل بعضها ببعض . غير أنها فقدت قيمتها كحدود سياسية لأنها عوامل وحدة أكثر منها عوامل فصل ، ولا سيما زيادة عدد السكان والتوسع في الاستقلال الاقتصادي . واتخاذ الأنهار طرقاً للملاحة وشق القنوات لايصال مجاري الأنهار بعضها بالبعض الآخر واستغلال مساقط المياه في توليد الطاقة الكهربائيه . هذا إلى استخدام مياه الأنهار في البلاد الجافة في أعمال الري .

وعند رسم الحدود النهرية يلاحظ أنها أما تتبع منتصف المجري أو منتصف الجزء العميق من النهر الصالح للملاحة . وفي هذه الحالة تتقاسم الدولتان **مجرى النهر، وليس كمية مياهه الصالحة للملاحة . أما الحالة الثالثة فهي أقل الحالات استعمالاً .**

الثالثة فهي أقل الحالات استعمالاً .

ج — البحيرات والمستنقعات :

البحيرات كالأنهار عامل اتصال بين الدول ، فهي تكون حدوداً جيدة بين دولتين لأنها أكثر ثباتاً على سطح الأرض من الأنهار التي تغير مجراها بسهولة .



تتخذ الدول من سلاسل الجبال والأنهار والبحار خطوطاً لحدودها .

٢ — الحدود الجغرافية البشرية :

ان الحدود رغم أنها ظاهرة حديثة نسبياً إلا أنها ذات أثر كبير في السكان . فهي التي تحد القوانين التي يخضع لها المواطن والعادات والتقاليد التي يجب أن يراعيها .

٣ — الحدود الهندسية :

هذه الحدود تسير في خطوط مستقيمة وتجعل من الدول أشكالاً هندسية منتظمة لا ترسم إلا في مناطق الصحاري أو الأقاليم الجديدة التي لم تعمر

بعد. وتنحصر أهمية هذه الحدود عند نقط الالتقاء، حيث تعبر الحدود من دولة إلى أخرى، وحيث تقام الجمارك.

انشاء الحدود وتخطيطها:

ازدادت أهمية خطوط الحدود في عصرنا الحالي نتيجة لنمو عدد السكان، وزيادة كثافتهم على الأرض، ولزيادة استغلال الموارد الطبيعية. وأصبح من المتعذر حالياً في مناطق الحدود ترك جهات خالية لا تخضع لملكية أحد. وقد بدأ هذا التطور منذ نهاية العصور الوسطى.

وقد يسر تحسن وسائل المسح الجغرافي وطرق رسم الخرائط مسائل تعيين خطوط الحدود ورسمها بدقة. فقد كانت معظم جهات العالم لا تهتم كثيراً بدقة تعيين الحدود. وعملية إنشاء الحدود وتخطيطها بالدقة تمر بعدة مراحل متميزة هي:

أولاً: تخصيص منطقة معينة تمارس فيها الدولة سيادتها أو الأقاليم التي تضيفها وتفرض عليها سلطاتها.

ثانياً: تحديد وتعيين رقعة اقليم الدولة أو ممتلكاتها وتعريفها تعريفاً دقيقاً حسب ما تنص عليه المعاهدات والإتفاقيات الدولية.

ثالثاً: عملية المسح الجغرافية وتخطيط الحدود. وتشمل العملية الأولى منها اعطاء مساحة معينة إلى دولة ما والاعتراف بحق سيادتها عليها. ولما كان تخصيص هذه المنطقة المعينة يتضمن وصفها ووصف حدودها فسوف يؤدي هذا إلى المرحلة الثانية. وهي عملية التحديد. وتشمل تعريف خط الحدود تعريفاً دقيقاً وفق نصوص معاهدة أو اتفاقية خاصة أو وثيقة رسمية بين الأطراف المعنية بالأمر. وقد أصبح اقليم الدولة وممتلكاتها تقاس الآن بما يسمى الأبعاد الأربعة أي بالطول والعرض.. وتمثل سطح الأرض والمياه الاقليمية وبالعمق والارتفاع أما الخطوة الثالثة، وهي عملية التخطيط، فتبدأ بتكوين اللجان المشتركة التي تضم ممثلي الدول المتجاورة أو المهتمة بتخطيط الحدود. وتقوم هذه اللجان بعمليات المسح الجغرافي ورسم خطوط الحدود على الطبيعة

التحديد:

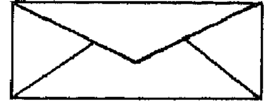
تتوقف طريقة تعيين الحدود وتعريفها إلى درجة كبيرة على نوع الحدود وعلى الظواهر الطبيعية أو البشرية للمنطقة التي تخترقها الحدود. وعلى ما تم كشفه أو وضعه على الخرائط منها. ففي حالة بعض الخطوط الهندسية قد تشمل المعاهدة تعريفاً شاملاً للحدود لا يترك سوى القليل لتصرف مهندسي المساحة والمخططين وفي أحوال أخرى لا تذكر سوى بضع نقاط رئيسية تحدد اتجاه خط الحدود. ويترك الخط بين هذه النقط إلى تصرف مخططي الحدود. وقد يلجأ في بعض الأحيان إلى تعيين الاتجاه العام.

التخطيط (رسم الحدود على الطبيعة):

عملية التخطيط عملية فنية كبيرة تعقب عملية تعيين الحدود التي يتم الاتفاق عليها في مؤتمرات المواثيق والمعاهدات وهي تحتاج إلى الانتقال إلى الميدان وإلى المسح الجغرافي ورسم الخرائط، واقامة العلامات المحددة. وقد يأخذ هذا بضعة أشهر أو عشرات السنوات من العمل المتواصل. لأن خطوط الحدود قد تخترق أملاكاً خاصة قد تنزع ملكيتها أو لمشاكل بين أعضاء اللجان، أو نتيجة للظروف الجوية، أو لصعوبات السطح وتعذر الانتقال.

لقد استخدم في السنوات الأخيرة في تخطيط الحدود الطرق العلمية والتصوير الجوي. ويكمل هذه العملية وضع العلامات على الخطوط لتجعلها واضحة. أما حدود الدول الحديثة فهي تخطط بوسائل مختلفة كوضع أعمدة من الأسمنت أو شواهد صخرية توضح أيضاً المسافات الكيلو مترية. وقد تكفي في بعض الحالات أكوام الحشائش المتشابكة. وفي حالات أخرى قد تستخدم الخنادق أو المصارف أو القنوات كعلامات مميزة للحدود.

بقلم: ممدوح حلمي



بريد القراء

○ **محمد مفرج – طنجة – المملكة المغربية**

« انني معجب جداً بمجلتكم لأنها المجلة الوحيدة في العالم العربي التي تحمل في طياتها ما لذ وطاب حيث نجد بين طياتها الكاتب الشهير والموضوع التاريخي الجيد المدعم بالصورة النادرة والوثائق القديمة.

«لقد اصبحت هذه المجلة بالنسبة لي بمثابة القاموس او دائرة المعارف. كما انني معجب بركن تاريخ الطوابع، لما فيه من معلومات قيمة وطوابع نادرة.»

■ نحيي في الأخ محمد مفرج اندفاعه النبيل نحو المجلة ونحو جميع العاملين فيها ونعده بأننا سنبقى اوفياء على العهد الذي قطعناه على أنفسنا في العدد الأول من المجلة. ونحن بانتظار بعض الطوابع المغربية القديمة كما وعدنا.

○ **عبد الله علي التعزي – مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية**

■ نشكر للأخ عبد الله علي التعزي عواطفه النبيلة نحو مجلة «تاريخ العرب والعالم» ونستمد من تأييده قوة للاستمرار والتقدم.

○ **جهور عبد الله التتنجي – نينوى – العراق**

■ نقدر بادرتك النبيلة ونشكرك عليها. ارسلنا لك العدد السابع بالبريد الجوي كما طلبت ونأسف لعدم تمكننا من ارسال العدد الثالث لنفاذه. بالنسبة للمواد السياحية التي طلبتها فاننا نقترح عليك الاتصال بوزارة الاعلام اللبنانية او بالسفارة اللبنانية في بغداد.

○ **الآنسة لواحظ عبد القادر عدرة – طرابلس – لبنان**

■ استلمنا رسالتك القيمة ونشكرك على الجهد الكبير الذي بذلتيه. الموضوع جيد وسننشره في باب القراء يكتبون ونأسف لعدم تمكننا من ادراجه في المسابقة بسبب عدم توفر الشروط اللازمة فيه.

○ **عماد محمد خسان – ثانوية الحكمة – بعلبك – لبنان**

« اود أن أشكركم على هذه المجلة الغراء التي أتت لتسد ثغرة كبيرة في المكتبة العربية. وقد استطاعت ان تقوم بهذا العمل بصدق وأمانة تستحق التقدير والاعجاب».

■ نشكر للأخ عماد عواطفه الطيبة النبيلة ونأمل ان يجد في كل عدد يصدر في المستقبل نقلة جديدة نحو الأحسن.

بخصوص مساهمتك بمسابقة القرى والأحياء في الوطن العربي، فاننا نأسف لعدم استطاعتنا ادراج القطعة التي ارسلتها بالمسابقة بسبب عدم توفر الشروط المطلوبة، وابرزها الكتابة عن «القرى والأحياء» فقط وليس عن المدن الكبرى الرئيسية. ولكننا نعد الأخ عماد بنشرها في باب القراء يكتبون في اول مناسبة.

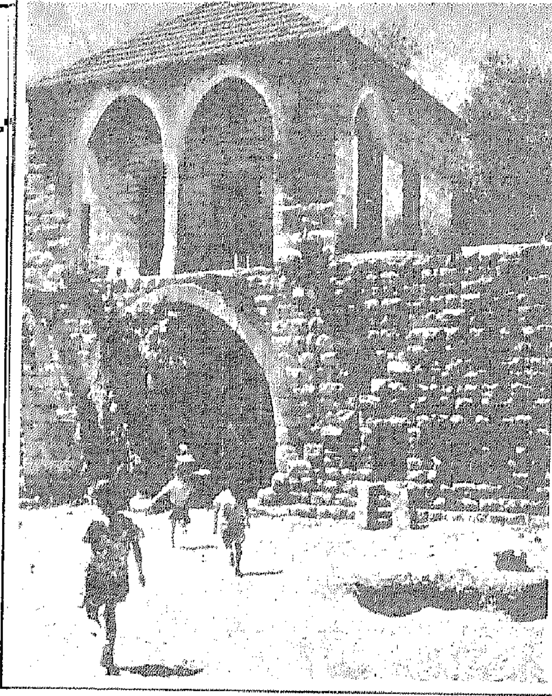
○ **عبد الحكيم محمد كشاد – طرابلس – ليبيا**

«يرسل تحية اعجاب لكل العاملين في المجلة وشكر للبواسل الأبطال الذين يرعونها بكل اهتمام منذ صدورها و«تاريخ العرب والعالم» اصبحت محط انظار الشباب منذ صدورها»

■ نحيي في الأخ عبد الحكيم اندفاعه الكريم ونعده بان نبقى عند حسن ظنه في المجلة. الموضوع الذي ارسله جيد ولكنه طويل جداً من جهة ولا يعالج الموضوع المطلوب وهو كناية عن ٢٠٠–٢٥٠ كلمة عن قرية أو حي او أثر تاريخي بارز في الوطن العربي ولكنه عالج دولة بكاملها ونأسف لعدم تمكننا ادراج دراسته في المسابقة.

حل الشبكة

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩
١		ق	ا	ي	ر	ت	ل	ا	
٢		ل	ل	ش		ج	ر	ب	ا
٣	س	ي	ف	ي		ن	و	ص	غ
٤	ا	ل	ر	ب	ا	ط			ا
٥	ن	ة	ن		ل		ز	ن	د
٦	ك			ق	م	ف	ي	ا	ي
٧	م		م	و	غ	ا	د	و	ر
٨		ا	ل	ب	ر	س	ا	ط	
٩	ت	ر	ز	ن	ب		ن	ت	ا



تاريخ وأسماء ومعالم القرى والأحياء في الوطن العربي

إلى القراء الاعزاء :

ترغب مجلة «تاريخ العرب والعالم» أن تفتح باباً خاصاً للقراء ، لا سيما للطلاب في الثانويات والجامعات ، تدعو فيه إلى الكتابة المختصرة في موضوع : «تاريخ واسماء ومعالم القرى والأحياء في الوطن العربي» . والمجلة إذ تفتح باب هذا الموضوع تخصص مكافأة قدرها ١٠٠ ليرة لبنانية ، أو ما يعادلها للفائز الأول ، واشتراكاً سنوياً في المجلة للفائز الثاني ، على أن تتضمن المساهمة المقدمة معلومات جديدة وشيقة عن القرية أو الحي أو المعْلم وعن تاريخه واسمه وظروفه ، أو ما يحتوي من آثار عمرانية قديمة أو مظاهر حضارية ، وإذا أمكن صورة فوتوغرافية مأخوذة للحي أو القرية أو لأي مظهر عمراني أو اثري فيها ، كذلك على أن لا تتجاوز المساهمة الـ ٢٠٠ كلمة .

هذا ، وإذ تشدد المجلة على جدّة المعلومات الواردة ، تطلب من الكتاب الاعزاء ان يتقيدوا بأصول الكتابة العلمية وأن يشيروا إلى مصدر الاقتباس ، وتترك لهيئة التحرير حقها في اختيار المساهمات الصالحة للنشر ، وكذلك اختيار المساهمات الفائزة ؛ إذ من حصيلة ما يصل الينا ستختار هيئة التحرير ثلاث مساهمات للنشر في كل عدد بينها المساهمتان الأولى والثانية الفائزتان بالمكافأة .

* * *

نرجو من المشترك أن يكتب اسمه وعنوانه بخط واضح في نهاية مقاله وأن يرسله الينا بالبريد على العنوان التالي :

مجلة «تاريخ العرب والعالم» بيروت ص . ب . ٥٩٠٥

«مسابقة القرى والاحياء في الوطن العربي» .

* * *

تعتبر المواد المرسلة ملكاً للمجلة ، إذا نشرت أو لم تنشر .



رأي حر

محمد علي حماده

في مطلع القرن العشريـن، وبالضبط في العشرينـات منـه، بعـد الحرب العالميـة الأولى، شن بعض الكتاب الاوروبيين هجوماً عنيفاً على الطريقة التي، بها، يدرس التاريـخ، في المدارس والمعاهـد والجامعات. وأعلنوا أنها تربي الأجيـال على الأحقاد بسرد محرف او مزور لأخبار المجموعات الانسانية. وبذلك تتهيأ أسباب الكوارث التي تنزل بالأمم، في دورات منتظمة، تكاد تترسخ في اعتقادنا على أنها من الحتميات النهائية.

إن المجازر التي سببتها الصراعات بين الدول وما ألحقته من مظاهر الخراب، وأثارته من مشاعر القهر والعذاب، دفعت الى الشك في قدرة الانسان على كبت أنانيته والسيطرة على غرائزه البدائية، ما دامت الاثارة تتبعه من مهده الى لحده.

ولقد دعا بعض أنصار المؤيدين، يومئذ، للحملة على طريقة تدريس التاريخ، حكام الدول وقادة الشعوب، الغالب منها والمغلوب، إلى إلغاء اخبار الحروب وفظائعها من مناهج التعليم، وان تستبدل بها مادة تبرز، بصورة معززة، مآتي الانسان وتطور قيمه الروحية والاخلاقية. هذه القيم التي تنمي فيه ارادة التعايش مع امثاله في بيئته القوميـة، ومـع أنـداده في المجتمعات البشرية الأخرى. فتتداخـل بذلك المبـادرات الفرديـة والجماعيـة وتتشابـك الحضارات ويتضامن بناتها من فلاسفة وعلماء وأدباء، لتعم اغاني الحب فوق سرر الأطفال وأهازيج البناء في المدن والقرى، في الحقول والمصانع.

ولكن هذه المثالية، مثالية الصارخين في وجه العنف والدمار، كانت ترتد دائماً وتذهب مع رياح النافخين في أبواق الحروب، الطامعين في السيطرة وانتزاع الثروات من أصحابها.

ثم جاءت الحرب العالمية الثانية واهوالها لتنذر بأخرى لا بد قادمة وسوف تكون أشد هولا. ومع ذلك فقد بقيت البذرة الرديئة في النفوس لتدفع بالعقول الى اختـراع انمـاط متطورة جديدة من آلات القتل والتخريـب، القادرة على تفجير الأرض ومن عليها، خلال ساعات أو أيام، وافناء البشر، بلا استثناء، القوي والضعيف على حد سواء.

وعاد المثاليون الى المعركة ليواجهوا: في هذه المرحلة، تحالفاً جهنمياً بين مصالح المال وطموحات السياسة وخيلاء العسكرية، وهي متوازنة، وإن لم تكن متطابقة، وهي متواطئة دائماً، ولا تتحقق الا على حساب الأغلبيـة الساحقة من الشعوب، أي على حساب انسانية الانسان في كل مكان.

ونتساءل: هل يستطيع دعاة السلام ان يحققوا أهدافهم؟ وكيف؟ هل يكفي لذلك أن يعدلوا مناهج التعليم ويجعلوا من تدوين التاريخ علماً مكتمل الشروط في دقته وموضوعيته، لا بتعطيل المواد المتفجرة من أخبار الأمم، بل بتعليل هذه الأخبار وكشف المسؤولين عنهـا وبيان وسائل اجتثاثها من الجذور بل باجتثاث أسبابها: فالانسان المقهور في نفسه وجسده، او المحروم في رزقه أو المطعون في كرامته، أو المعتدى على وطنه، يتمرد، ومن أقدس حقوقه الطبيعية أن يثور ولو أدى ذلك الى تفجير ما حوله من معالم الحياة. اذاً فأول الطريق الى السلام، هو كبح القاهر والمجوّع والطاعـن والمعتدي.

في رأي المثاليين أن المدرسـة والمعهـد والجامعة يمكن أن تلعب دوراً رئيسيا في تكوين شخصية الانسان تصنع الضغينة وتربي على العنف، أو تصنع السلام بخلق الانسان المتزن الذي يميز الحق من الباطل، يمسك بميزان العدل، فلا كفة المستضعف تنخفض ولا كفة المستقوي ترجح.

ويبقى علم التاريخ يتيماً في معركة السلام، ان لم تنصره العلوم جميعاً.



معركة مونتينيكرو ـ الحرب العالمية الأولى (راجع المقالة ص ٧٤)



البتراء ـ الأردن (راجع المقال ص ٤٨)